Black plate (1,1)

شَـــرْحُ
مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (2,1)

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (3,1)

شَـــرْحُ
مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة

«المُحَرَّرُ الوَجيز فِي تَفسِيرِ الْكِتابِ الْعَزِيز»

لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي

المتوفى: ٥٤١هـ

تأليف

أ. د. مُسَاعِد بن سُلَيْمَان الطَّيَّار

أُسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ القُرآنِية بِكُليَّة التَّربيَة

جَامِعَة المَلِكِ سُعُود

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (4,1)

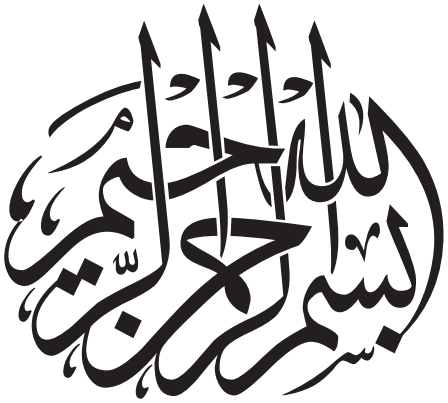

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (5,1)



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فلمّا كان القرآن الكريم أشرف الكلام لفظاً، وأكثره من المعاني حظّاً، كتب في تفسيره كلٌّ على قَدْرِ قُدْرَتِهِ، وحسب ثروته، فما ركدت ريحه، وما خبت مصابيحه، وهذا شرح لكتاب من تلكم الكتب التي رأى أصحابها في تأليفها غُنْم، والابتعاد عنها حسرة وغُرْم، ألا وهو كتاب (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام القاضي الفقيه المالكي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، وهو ـ أي: الكتاب ـ كما يقال: اسم على مسمى، فهو محرر ووجيز.

أما الوجازة فقد تكون نسبية، ولكن من اطلع على التفاسير الطوال مثل تفسير الطبري (ت: ٣١٠)، أو تفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧)، أو تفسير الرازي (ت: ٦٠٦)، فإنه يظهر له معنى الوجازة في هذا الكتاب، وسأنقل من نصوصه لاحقاً ما يدل على أن الوجازة في هذا الكتاب كانت من مقاصده في تأليفه.

وأما كونه محرراً، فهذا أيضاً وصف صادق من المؤلف على تصنيفه هذا[(١)]، فهذا التفسير من أنفس التفاسير، وقد تعاهده العلماء شرقاً وغرباً، قديماً وحديثاً، بل ذاع صيته وشاع ذكره في حياة المؤلف، ومن قرأ فيه تجلَّى له فضله وعرف التحرير الذي فيه.

ومما ينبغي لفت النظر إليه، والتنبيه عليه؛ عناية ابن عطية بتحرير

(١) قال الفاضل بن الطاهر ابن عاشور: «فلا بدع أن يوصف تفسير ابن عطية بأنه «محرر» لا سيما وقد دفع الشبه، وخلص الحقائق، فحرر ما هو محتاج إلى التحرير، وقد نوه بذلك في مقدمته»، انظر: التفسير ورجاله (ص٦٨).

Black plate (6,1)

عبارات السلف، وتبيين مراداتهم بعباراتهم، وهو وإن لم يشر إلى ذلك في مقدمة كتابه، إلا أنه أَولى هذا الأمر عناية كما هو ظاهر في كتابه، وهي قضية كبرى من قضايا التفسير.

وممن أشار إليها واعتنى بها: الواحدي (ت:٤٦٨) في مقدمة البسيط، قال: «. . . كذلك آيات القرآن التي فسَّرها الصحابة والتابعون، إنما فسروها بذكر معناها المقصود؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، قال قتادة: إذا قيل له: مهلاً مهلاً، ازداد إقداماً على المعصية.

فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية؟ إلا بعد الجهد وطول التفكر.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال السدي: يعظم أولياءه في صدوركم. فانظر، هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى في قالب هذِه الألفاظ إلا بعد التعب في معرفة ما ذكره أرباب النحو؟ وكذلك قوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١]، تدبر هل تعرف صحة هذِه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون؟ وهل يحسن أن يقال: من قام فإنه يقوم، ومن ركب فإنه يركب؟ وعلى هذا أكثر آيات القرآن وكلام العرب. وإنما ذكرت هذِه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين، ووقف على معاني أقوالهم، لم يقف على معاني كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو.

والمعنيُّون بالتصنيف في هذا العلم طبقات: فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل؛ لأنهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وصفناهم قبل»[(١)].

وإن كان الواحدي قد أشار إلى هذا في مقدِّمته، ومارسه في تطبيقاته في

(١) التفسير البسيط، للواحدي (١/ ٤١٤ ـ ٤١٦).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (7,1)

التفسير، فإن ابن عطية لم يذكر في مقدمته هذا الأمر، مع أن الناظر في ثنايا كتابه يجد له العناية التامة بها، ويمكن أن نضع لها مصطلحاً فنقول: «توجيه أقوال السلف»، والمراد بهذا المصطلح: أن يعمد المؤلف إلى العبارات الواردة عن السلف التي يعتريها شيء من الغموض أو مما قد نتوقع نكارته أو غرابته، فيجتهد المفسر المتأخر في بيان وجهة هذا القول وعلّته، ومن أين صدر هذا القول؟ وما سبب صدوره؟ فيكشف الحُجُب عن كل ذلك، وهذا ظاهر في تفسير المؤلف، ولو جمع طالب العلم هذه التوجيهات فإنه سيجد علماً غزيراً ونافعاً يعينه في تطبيق هذه التوجيهات على أقوال أخرى لم يوجِّهها الإمام ابن عطية.

وتأمل توجيهه لما قد يبدو من تعارض في كلام السلف لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، قال: «حكى الطبري عن عكرمة ومجاهد أن هذه الآية مكية[(١)]، وحكى عن ابن زيد أنها نزلت عقب كفاية الله رسوله المستهزئين بما أحله بكل واحد منهم، الحديث المشهور[(٢)].

ويحتمل عندي قول عكرمة ومجاهد: هذه مكية أن أشارا إلى القصة لا إلى الآية»[(٣)]، فبيَّن ألا تعارض بين القولين، وذلك بتوجيه قول عكرمة (ت: ١٠٥)، ومجاهد (ت: ١٠٤) إلى حكاية زمان الواقعة والحدث، لا وقت النزول، بخلاف مَن ذكر مدنية الآية، فمراده موجه نحو وقت النزول، ومثل هذا كثير في تفسيره.

❍ أنواع المعلومات في مقدمات المفسرين:

يذكر علماء التفسير في مقدمات تفاسيرهم عدداً من المعلومات، ويمكن أن تنقسم هذه المعلومات إلى ثلاثة أقسام:

(١) تفسير ابن جرير (١٣/ ٥٠٢).
(٢) المرجع السابق (١٣/ ٤٩٩).
(٣) تفسير ابن عطية (٢/ ٥١٨).

Black plate (8,1)

١ ـ قسم يتعلق بأصول التفسير.

٢ ـ قسم يتعلق بعلوم القرآن.

٣ ـ قسم يتعلق بمنهج المفسر.

والذي يغلب على مقدمات المفسرين: القسم الثاني: وهو علوم القرآن.



سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (9,1)

ترجمة المؤلف

❍ اسمه ونسبه وكنيته ومولده:

القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي[١]، مولده سنة ثمانين وأربعمائة[٢].

❍ مكانته العلمية:

نهل ابن عطية من شتى أنواع العلوم، فكان متضلِّعاً منها، ومتبحراً فيها بشكلٍ ملفتٍ للنظر، وكلام أهل العلم في اكتمال شخصيته فيها تدل على ذلك، فكان ذا منزلة رفيعة، ومكانة مرموقة لتزوده من أصناف العلوم، قال لسان الدين ابن الخطيب (ت:٧٧٦): «كان عبد الحق فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مقيّداً حسن التّقييد، له نظم ونثر، ولّي القضاء بمدينة ألمريّة في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الدّهاء والذكاء، والتّهمّم بالعلم، سريّ الهمّة في اقتناء الكتب، توخّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزّ الخطّة»[٣].

وقال السيوطي (ت:٩١١): «وكان فقيهاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في

(١) فهرس ابن عطية (ص٥٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٧٦)، تاريخ قضاة الأندلس (ص١٠٩).

(٢) طبقات المفسرين، للسيوطي (ص٦١).

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤١٢).

Black plate (10,1)

الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور»[(١)]، فلم يقتصر على نوع واحد من العلوم؛ بل جمع منها فأوعى، ثم تقلَّد القضاء، فـ«توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة»[(٢)]، ثم تركه.

❍ وفـاتـه:

توفي القاضي أبو محمد عبد الحق المذكور بمدينة لورقة عام أحد وأربعين وخمسمائة[(٣)].

❍ تفسيره:

ابن عطية أحد علماء القرن السادس، وقد ذكرنا ثناء العلماء عليه، والشهادة له بتبحّره في العلوم، والتأليف فيها، إلا أن علم التفسير كان أحب العلوم إليه كما سيأتي، فلما صار لديه منه أوفر الحظ والنصيب، ألَّف فيه، ولقد بدأ كتابته في زمن مبكر من حياته، ولا أدلَّ على ذلك مما أورده أبو جعفر الضبي (ت:٥٩٩) في كتابه «بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس»، قال: «قال لي القاضي أبو القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان الفقيه أبو بكر غالب بن عبد الرحمٰن ربما أيقظ ابنه أبا محمد عبد الحق في الليلة مرتين يقول له: قم يا بني اكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك، له فيه نكت كثيرة حدثني عنه أبو محمد عبد الحق بن بونة»[(٤)].

ووالده هو: غالب بن عبد الرحمٰن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية المحاربي، فقيه زاهد محدث عالم (٤٤١ ـ ٥١٨)[(٥)].

---

(١) طبقات المفسرين، للسيوطي (ص٦١).
(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٥٧).
(٣) عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة (ص٣٦٣)، طبقات المفسرين، للسيوطي (ص٦١).
(٤) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي (ص٤٤١).
(٥) المرجع السابق (ص٤٤٠).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | [17x24] z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d

Black plate (11,1)

وهذا يعني: أنه كان قد بدأ تفسيره قديماً، وفي عهد والده؛ أي: قبل أكثر من ٢٣ سنة قبل وفاة الابن المفسر عبد الحق؛ لأنه توفي سنة (٥٤١) أو (٥٤٢).

وقد أسند في تفسيره عن أبيه في بعض المواضع، ومنها: «قال القاضي أبو محمد: حدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت الواعظ أبا الفضل بن الجوهري على المنبر بمصر يقول: إن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ [يوسف: ٩٣]، قال يهوذا لإخوته: قد علمتم أني ذهبت إليه بقميص الترحة، فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة فتركوه وذلك»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧]: «قال القاضي أبو محمد: وكان أبي رضي الله عنه يقول: أحسن العمل أخذٌ بحقٍّ واتفاق في حق مع الإيمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم، والإكثار من المندوب إليه».

وفي قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، «قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه، قال: سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله»[(٢)].

وقد بذل ابن عطية جهوداً عظيمة فيه، وجمع فيه الكثير من علم التفسير، وهذا ما صرح به ابن عطية فقال: «ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي»[(٣)]، فلقي تفسيره قبولاً لدى العلماء، وطار كل مطار.

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٨٠).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٥٠٤).
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٥).

Black plate (12,1)

قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً، وأبعد من البدع، وإن اشتمل على بعضها؛ بل هو خير منه بكثير؛ بل لعله أرجح هذه التفاسير»(١).

وقال أبو الحسن المالقي (ت:٧٩٢): «ألَّف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير، فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف»(٢).

وقال التلمساني (ت:١٠٤١): «ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق، وصاحبه من فضلاء المائة السادسة»(٣).

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص٥٣).
(٢) تاريخ قضاة الأندلس (ص١٠٩).
(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٣/ ١٧٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (13,1)

مقدمة المؤلف

قال المصنف: «الحمد لله الذي بَرَأَ[(١)] النَّسم[(٢)]، وأفاض النعم، ومنح القِسَم، وسنَّى[(٣)] من توحيده وعبادته العِصم[(٤)]، ذي العزة القاهرة، والقدرة الباهرة، والآلاء المتظاهرة، الذي أوجدنا بعد العدم، وجعلنا الخيار الوسط من الأمم، وخولنا عوارف لا تحصى، وهدانا شرعة رمت بنا من رضوانه إلى الغرض الأقصى، أنزل إلينا القرآن العزيز، وعَدَ فيه وبشَّر، وأوعد وحذّر، ونهى وأمر، وأكمل فيه الدين، وجعله الوسيلة الناجعة والحبل المتين، ويسره للذكر، وخلده غابر الدهر، عصمة للمعتصمين، ونوراً صادعاً في مشكلات المختصمين، وحجة قائمة على العالم، ودعوة لفرق بني آدم، كلامه الذي أعجز الفصحاء، وأخرس البلغاء، وشرف العلماء، له الحمد شاملة دائباً[(٥)]،

---

(١) **البَرْءُ**، مهموز: الخلْق، برأ اللهُ الخلق يَبرَؤُهُمْ برءاً، فهو بارِئٌ، **والبرية**: الخلق، وأصلها الهمز، لكن العرب تركت همزها لكثرة استعمالهم إياها، وقرأ نافع وابن عامر على الأصل قوله تعالى: (خَيْرُ البَرِيئَةِ) وقوله تعالى: (شَرُّ البَرِيئَةِ) انظر: العين (٨/ ٢٨٩)، جمهرة اللغة (٣/ ١٢٦٧)، حجة القراءات (ص٧٦٩).

(٢) **النَّسَمُ والنَّسَمةُ**: نَفَسُ الرُّوح، وما بها نَسَمَةٌ؛ أي: نَفَسٌ، والجمعُ: نَسَمٌ، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٥٣٣).

(٣) سهّل ويسّر، ومنه قول الشاعر:

إذا الله سَـنَّـى عـقـد أمـر تـيـسـرا

انظر: الدلائل في غريب الحديث (٣/ ١٠٦٨).

(٤) من العصمة وهي المنع والحفظ، انظر: الصحاح (٥/ ١٩٨٦)، والمعنى: أن الله حفظ عباده ومنعهم من الوقوع في الشرك بسبب ما يسّره لهم من التوحيد وسهل من العبادة.

(٥) الدال والهمزة والباء أصل واحد يدل على ملازمة ودوام، **فالدأب**: العادة والشأن، انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٢١).

Black plate (14,1)

والشكر واصباً[١]، لا إلٰه إلا هو رب العرش العظيم، وأفضل الصلاة والتسليم، على محمد رسوله الكريم، صفوته من العباد، وشفيع الخلائق في المعاد، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، الناهض بأعباء الرسالة والتبليغ الأعصم[٢]، والمخصوص بشرف السعاية في الصلاح الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة مستمرة الدوام، جديدة على مر الليالي والأيام»[٣].

(١) **الوصوب**: ديمومة الشيء، فهو واصب دائم، انظر: العين (٧/ ١٦٨).

(٢) البياض، انظر: الصحاح (٥/ ١٩٨٦)، والمعنى: أن البلاغ كان تامّاً واضحاً جليّاً لا لبس فيه، كما قال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها**»، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، برقم (٣٣١)، وفي بعض النسخ الأعم، وهو ظاهر.

(٣) تفسير ابن عطية (ص٥ ـ ٦).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (15,1)

سبب تأليف الكتاب

قال المؤلف: «وبعد، أرشدني الله وإياك، فإني لما رأيت العلوم فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كلٍّ للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أن الوجه لمن تشوق للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كل علم طرفاً خياراً، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غراراً(١)، ولن يرتقي هذا النجد(٢)، ويبلغ هذا المجد، حتى ينضي(٣) مطايا(٤) الاجتهاد، ويصل التأويب(٥) بالإسآد(٦)، ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد(٧)، فجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقاً، وأدمنت حتى تفسخت(٨) أيناً(٩)

(١) **الغِرارُ** بالكسر: النوم القليل، انظر: الصحاح (٢/ ٧٦٨).
(٢) ما ارتفع من الأرض، انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٥٠)، والمراد هنا: العلو والارتفاع.
(٣) النضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها، انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٧٢).
(٤) **المطية**: البعير يمتطى ظهره، وجمعه المطايا يقع على الذكر والأنثى، انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٣٢)، والمعنى: الأكثار من اعتلاء ظهر المجد واتعابه ليصبح منقاداً له، وذلكم لا يتأتى إلا ببذل الوسع والطاقة في سبيل ذلك.
(٥) سير النهار إلى الليل، انظر: العين (٨/ ٤١٧).
(٦) **السأد**: دأب السير في الليل، وأسأد ليله؛ أي: أدأب السير فيه، انظر: العين (٧/ ٢٨٦).
(٧) نقيض الرقاد، ومنه قول الشاعر:
أرقت وما هذا السهاد المؤرق
انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٧٣).
(٨) تفسخ الشعر عن الجلد: زال وتطاير، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٨٧).
(٩) التعب والشدَّة، انظر: الصحاح (٦/ ٢١٩٨).

Black plate (16,1)

وتصببت عرقاً، إلى أن انتهج بفضل الله عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى[١]، وتخيّر من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون إليه في أقواله، ويحتذون على مثاله.

فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي[٢]، سبرتها[٣] بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالاً، وأرسخها جبالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلَّت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي استقل بالسُّنَّة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً، منه تؤخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع، وما خالفه رُفِض ودفع، فهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير، وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضّاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل[٤] حامله من منازلها صيداً[٥]، ويمشي في التلطف لها رويداً.

ورجوت أن الله ـ تعالى ـ يحرم على النار فكراً عمرته ـ أكثر عمره ـ معانيه، ولساناً مرن على آياته ومثانيه، ونفساً ميزت براعة رصفه

(١) احتبى الرجل يحتبي احتباء، إذا جمع ظهره ورجليه بثوب، وهي الحبوة بكسر الحاء، انظر: جمهرة اللغة (٢/ ١٠١٧).
(٢) **التراب**، انظر: العين (٧/ ٢٥٤)، والمراد هنا: القبر.
(٣) التجربة، وسبر الجرح بالمسبار؛ أي: نظر ما مقداره، انظر: العين (٧/ ٢٥١).
(٤) التخفي، ومنه ختل الذئب الصيد: تخفى له، انظر: تاج العروس (٢٨/ ٣٩٢).
(٥) لا يستطيع الالتفات من داء، انظر: الصحاح (٢/ ٤٩٩).

Black plate (17,1)

ومبانيه، وجالت صوامها في ميادينه ومغانيه، فثنيت إليه عنان النظر، وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت[١] ـ علم الله ـ إلا عن ضرورة بحسب ما يلم في هذه الدار من شغوب[٢]، ويمس من لغوب[٣]، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف»[٤].



(١) **ونيت في الأمر**: فترت، انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٠١).
(٢) الشر والاضطراب والفتنة، انظر: تاج العروس (٣/ ١٤٨).
(٣) أعيا اشد الإعياء، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٥٣٣).
(٤) تفسير ابن عطية (ص٦ ـ ٨).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (18,1)

الشَّرْح

أشار المؤلف في حديثه السابق إلى جملة من الأسباب التي دعته إلى الاشتغال بعلم التفسير، ولم يقتصر على ذكرها بأسلوب يشد القارئ إلى اقتفاء أثره، عند سماع خبره، بل ضمن ذلك جملة من التوصيات لمن أراد للعلوم نيلاً، وللمعارف وصولاً وتحصيلاً، ومن ذلك **قوله**: **(أن يأخذ من كل طرف خياراً)**، فهذا إرشاد إلى أنه أخذ جملة من العلوم الإسلامية، وتوجيه للمشتغل بالعلوم الشرعية ـ لا سيما من كان في بدايات الطلب ـ أن يحرص على هذه الحيثية التي طرحها ابن عطية، وهي: أن العلم فنون، فيأخذ من كل علم بطرف.

ومن نعمة الله علينا أن العلوم الإسلامية علوم منظّمة، لها متون معروفة، ومرتقى واضح مضبوط، وحينئذ يتسنى للطالب أن يترقّى في كل علم من العلوم على حسب المتون الموجودة، فالفقه مذاهبه معلومة، وطرق معرفته معلومة كذلك، حيث إن لكل مذهب متوناً يترقى فيها الطالب شيئاً فشيئاً، وكذلك الحال في البلاغة والنحو والأصول وغيرها من العلوم، ومن ثَمَّ لا يتعين على الطالب سوى تنظيم أخذه لهذه العلوم، وبأيّها يبدأ، وذلك يُحَتِّم عليه الرجوع إلى أهل الاختصاص لبيان الطريق الأمثل لتحصيل هذه العلوم.

فمعرفة أصول العلوم من أوجب الواجبات، وأعظم المهمات لطالب العلم، قال ابن خلدون (ت:٨٠٨): «وذلك أن الحذق في العلم، والتفنن فيه، والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً»[(١)]، وما ذلك إلا لكون هذه

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٤٣).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (19,1)

العلوم يرتبط بعضها ببعض، إما على سبيل الاستلزام، وإما على سبيل الاستمداد[١]، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨): «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزيئات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»[٢].

وبما أن الحديث عن علم التفسير، فلا بد لمريد هذا العلم من معرفة علوم الآلة، والتي تتمثل في علم النحو واللغة والصرف والبلاغة وأصول الفقه؛ لأن مادة أغلب كتب التفاسير من هذه العلوم، فإذا لم يكن عند طالب علم التفسير أصولٌ من هذه العلوم فإنه سيقع عنده إشكالات كثيرة وهو يقرأ في كتب التفسير؛ بل قد تكون هذه المشكلات التي ترجع إلى هذه العلوم، قاطعة له عن تعلم التفسير.

إذا تبيَّن هذا؛ فإنَّ أَخْذ طالب علم التفسير لتلكم العلوم مقصور على الأصول فحسب، أما الدخول في التفاصيل والجزئيات فهي متروكة للمشتغلين بتلكم العلوم، قال ابن خلدون (ت:٨٠٨): «فلا ينبغي أن ينظر فيها إلّا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسّع فيها الكلام ولا تفرّع المسائل[٣]؛ لأن ذلك مخرج لها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير، فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها، وربما يكون ذلك

(١) الفلاكة والمفلوكون (ص٤٢).
(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٨٣).
(٣) قال الشاطبي ـ عند حديثه عن أهمية النحو أنه لا يلزم أن يكون طالب العلم كالأئمة فيه؛ بل يكفي ما ذكره: «لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيّاً أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب، أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم، وليس المراد أن يكون حافظاً كحفظهم وجامعاً كجمعهم، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيّاً في الجملة»، انظر: الاعتصام (٢/ ٨٠٩).

Black plate (20,1)

عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهمّ، والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآليّة تضييعاً للعمر، وشغلاً بما لا يغني»[(١)].

إن هذا الأمر الذي نبَّه عليه المؤلف هو الذي سار عليه الأئمة، فأخذوا من العلوم التي لا مناص لهم منها، ولا محيد عنها[(٢)]، فالواحدي (ت:٤٦٨) كان بلدية المفسر الثعلبي (ت:٤٢٧) إمام زمانه في التفسير، لكنه انشغل عن الثعلبي الذي كان الناس يأتونه من كل قطر يأخذون عنه علم التفسير، بتعلم علوم اللغة وأخذ الشعر ودواوينه من علماء الأدب، وكان يعتذر لنفسه أن فعله ذلك تمهيد وتوطيد لعلم التفسير، قال الواحدي: «عاتبني شيخي[(٣)] يوماً من الأيام، وقال: إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز؟! يقرؤه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني: الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي.

فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب، لم أرم في غرض التفسير عن كثب»[(٤)].

وهذا المنهج الذي ذهب إليه الواحدي (ت:٤٦٨) منهج صحيح، ومن قرأ في كتب التفسير علم أنه بحاجة إلى هذه العلوم لا محالة، فإذا قَتَّر طالب العلم على نفسه من هذه العلوم وزهد فيها، فإن ذلك يظهر عليه حينما يلقي درساً أو عند تقريره مسألة ما أو عند مجيء مسألة لها تعلق بهذه العلوم، وهذا ظاهر وواضح، ومن ثَمَّ يتعين ضبط أصول هذه العلوم، لتتضح كثير من

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٣٩).
(٢) ولكن بالقيد الذي ذكره ابن خلدون، وللاستزادة انظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم لمساعد الطيار (ص٢٣).
(٣) يقصد أبا الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي.
(٤) التفسير البسيط، للواحدي (١/ ٤١٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (21,1)

الإشكالات التي قد يقع فيها من كان نصيبه من هذه العلوم أقل، وحظه منها اليسير النزر، فلو مر بمصطلح: الاشتراك والترادف والاشتقاق والتضمين، والمشاكلة، والمزاوجة، وغيرها من العبارات التي لا تتأتى معرفتها بغير معرفة علوم العربية، فسيكون بمنأى عن فهم مراد المفسرين عند حديثهم عن هذه الأمور.

قول المؤلف: (فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم...) إلخ، فيه إشارة إلى أمرين:

أحدهما: التنبيه على ما سبق تقريره من تضلعه في العلوم، وحثه لغيره على ذلك.

والثاني: تفضيل علم التفسير على ما عداه من العلوم، لهذا يَمَّمَ وجهه إليه، وصبر في العكوف عليه، وقد قال الأول:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ... حمل فأبصر أي شيء تحمل
فإذا علمت بأنه متفاضل ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل[1]

ولم يكن هذا التفضيل عن جهل يفتقر إلى العلم؛ بل كان مترتّباً على تقسيم العلوم ومن ثم سبرها، ومعرفة مزايا كل علم وما يترتب عليه في الدنيا والآخرة، فاختار التفسير، وذكر أنه أناط ذلك بقاعدة شرف العلم على قدر شرف المعلوم، وهذه إحدى الوجوه التي يعرف بها شرف الشيء، فقد يكون شرفه من جهة موضوعه أو شرفه من جهة معلومه، فالتفسير اجتمعت له أنواع الشرف سواء في موضوعه أو في معلومه[2]، فهو مرتبط بكلام الله،

(١) تاريخ دمشق (٢٣/ ٣٥٤).

(٢) قال الراغب الأصفهاني: «صناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أن **موضوع المفسر** كلام الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضله، **وصورة فعله**: إظهار خفيات ما أودعه مُنْزِلُهُ من أسراره ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، **وغرضه**: التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا فناء لها، ولهذا عظمَ الله محله بقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قيل: هو تفسير القرآن»، تفسير =

Black plate (22,1)

وموضوعه: بيان معاني كلام الله، وبهذا يفترق عن غيره من العلوم التي قد يجتمع معها في الارتباط بكلام الله ﷻ، فالتجويد موضوعه كلام الله، لكنه مقصور على معرفة كيفية إخراج الحروف وإعطاءها صفاتها.

❍ وهل بيان المعاني أعلى أم معرفة بيان الحروف وكيفية إخراجها؟

لا شكَّ أن البيان له أوفر الحظ والنصيب من العلو، ومن ثَمَّ، قد يشترك مع التفسير في الموضوع أكثر من علم، ولكن يتميز التفسير عنها، وأما المعلوم فهو واحد فيها جميعاً، فالمعلوم في التجويد والقراءات والتفسير هو كلام الله ﷻ، فإذاً المقصد من ذلك أن الإمام ذكر هذه القاعدة التي اتفق عليها العلماء أن شرف العلم بشرف المعلوم.

أيضاً نبَّه على قضية أخرى من قضايا العلوم، وهي أن العلوم الإسلامية خادمة للقرآن، ولهذا إذا رجعنا إلى نشوء بعض علوم الإسلام مثل: علم النحو، فأصل نشوء علم النحو من أجلِّ خدمة القرآن وصيانته عن اللحن الذي يفضي إلى تغيَّر المعاني، ثم تطوّر هذا العلم حتى صار علماً مستقلّاً، قال ابن خلدون (ت:٨٠٨): «احتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين»[(١)]، وقِس على ذلك غيره من العلوم.

فعلم البلاغة نشأ من الحديث عن إعجاز القرآن ـ كما سيأتي إن شاء الله عند كلام المؤلف عن إعجاز القرآن ـ وهو خادمٌ لكتاب الله، وجزء من علوم هذا الكتاب، ولكنه تطور حتى صار علماً خاصّاً له استقلاليته، ثم صار البحث فيه في جميع أنواع الكلام العربي، سواء كان في كتاب الله أو في سُنَّة نبيّه ﷺ أو في أشعار العرب ونثرها.

= الراغب (١/ ٣٦)، وزاد السيوطي: «**جهة شدة الحاجة**، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله»، الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٩٩).

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٥٦).

Black plate (23,1)

والفقه منبعه من القرآن، والسُّنَّة، والقرآن هو كليّة الشريعة كما يعبّر عنه الشاطبي (ت: ٧٩٠)[١]؛ لأنه المرجع الأول والأساس في هذه الشريعة، وهذا الذي ذهب إليه المؤلف هنا أيضاً، ومنه يستنبط الفقهاء ويبينون الأحكام.

والحاصل: أن المؤلف يشير إلى أن سائر العلوم تعتبر خادمة للقرآن، والله الموفق.



(١) قال الشاطبي: إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، انظر: الموافقات (٤/ ١٤٤).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (24,1)

منهج المؤلف في التفسير

قال المؤلف: «فلما سلكت سبيله بفضل الله ذللاً، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملاً، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسنح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تتفصَّى[(١)] من الصدر تفصي الإبل من العقل[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، قال المفسرون: أي: علم معانيه والعمل بها، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**قيدوا العلم بالكتاب**»[(٣)].

(١) أصل **الفصية**: الشيء تكون فيه ثم تخرج منه، **والتفصي**: التخلص من المضيق والبلية، انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٥٥).

(٢) أصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلاً، **والعقال**: حبل يثنى به يد البعير إلى ركبتيه فيشد به، انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٥٩).

(٣) روي هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً، فجاء مرفوعاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه، انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (٤٤٠)، وهو ضعيف، وآفته: عبد الحميد بن سليمان، ضعّفه العلماء، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٦/ ١٤)، المجروحين، لابن حبان (٢/ ١٤١)، الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٥)، وجاء مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، انظر: المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، برقم (٣٦٢)، والحديث فيه عبد الله بن المؤمل، ضعّفه ابن معين، وقال أحمد: أحاديثه مناكير، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٥/ ١٧٥)، وضعّفه النسائي، انظر: الضعفاء والمتروكون (ص٦٢)، وقد جاء موقوفاً على طائفة من الصحابة منهم: عمر بن الخطاب بسند حسن، انظر: المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، برقم (٣٦٠)، وجاء للحديث شواهد في الإذن بالكتابة منها: حديث أبي هريرة أنه قال: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب، أخرجه البخاري، كتاب العلم، برقم (١١٣)، وحديث أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث.. وفي آخر الحديث: قال النبي ﷺ: «**اكتبوا لأبي فلان**»، أخرجه البخاري، كتاب العلم، برقم (١١٢)، هذه الشواهد =

Black plate (25,1)

ففزَعتُ إلى تعليق ما يتنخل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني، وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقّى السلف الصالح ﷺ كتاب الله من مقاصده العربية، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبّهت عليه، وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية: من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طَفَر[١] كما في كثير من كتب المفسرين.

ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوي (ت:٤٣١)[٢] مفرق للنظر، مشعب للفكر، وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول.

وأنا أسأل الله جلَّت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين، فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مُنَني[٣]، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف

= وكثرة الطرق هي التي حدت ببعض أهل العلم أن يرى ثبوت هذا الحديث.

(١) الوثوب في ارتفاع كما يطفر الإنسان الحائط إلى ما وراءه، انظر: المصباح المنير (٢/ ٣٧٤)، ومراده هنا: أن الوثوب والقفز والتجاوز غير حاصل عنده.

(٢) أحمد بن عمّار بن أبي العباس المهدوي المغربي، النحوي اللغوي المفسر، أصله من المهديّة من بلاد إفريقية، ألف كتباً كثيرة النفع، مثل كتاب: التفصيل، وهو كتابه الكبير في التفسير، انظر: إنباه الرواة (١/ ١٢٦).

(٣) **المُنَّةُ** بالضم: القوَّة، ومنهم من خصها بقوة القلب لا البدن، انظر: العين (٨/ ٣٧٤)، الصحاح (٦/ ٢٢٠٧).

Black plate (26,1)

جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة[١] مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولنقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد قدَّم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم، مجتمعة لذهنه»[٢].



(١) منتقى، انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٣٩).
(٢) تفسير ابن عطية (ص٨ ـ ١٠).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (27,1)

الشَّرْح

سلَّط المؤلف الضوء على مسألة مهمّة جدّاً، ومن جرّب مثل تجربته، عرف مثل معرفته، وهذه المسألة ترجع إلى تقييد العلوم والأفكار التي تجول بالخواطر وتسرح، وتذكو وتخمد، فلا يستفيد منها إلا من بادر إليها فدوَّنها، ذلك أنها إن ذهبت فقد لا تعود.

والمؤلف يشير إلى أنه سيؤلف هذا التفسير، وسيدوِّن ما ينقدح عنده من المعلومات التي إن لم يتم تقييدها فإنها تزول، وقد استشهد بحديث: «**قيدوا العلم بالكتاب**»، والحديث وإن كان في ثبوته نزاع، إلا أنه أراد أن يبيِّن ـ لك أيها الطالب ـ أن هذا الأمر طريقه السُّنَّة أيضاً، إضافة إلى ما أشار إليه آنفاً.

كذلك نبَّه المؤلف على ما فهمه من قوله ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]؛ أي: علم معانيه والعمل به، والحق أن الآية أعم من ذلك، فهي تشير إلى كل ما يتعلق بالقرآن، من ناحية نزوله، والعمل به، ومعرفة معانيه، كل هذا داخل في ذلكم الثقل، فلو رجعنا إلى الأحاديث التي تذكر طريقة نزوله على النَّبيِّ ﷺ لوجدنا أن هذا الوصف لا ينفك عن ذلك، وكذلك امتثال أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره، في العبادات والمعاملات، والأخلاق والسلوك، وغير ذلك مما أرشد إليه، ونبَّه عليه ليس بمنأى عن ذلكم الثقل، إضافة إلى التماس معانيه، ومعرفة المراد من الكلام الذي حواه يعتريه ذلكم الثقل الذي ذكره المؤلف، وحينئذ فإن هذا القرآن يحفّه الثقل من كل جانب، ولكن مع ذلك الثقل الذي أشرنا إليه، إلا أنه يسير على من يسّره الله عليه، ويتجلى ذلكم التيسير في نطقه وسهولة الكلام بما تكلم به الرب العلي جلَّ وعز، وهذه من المِنن التي يجب أن ننتبه إليها، وهي أن تالي هذا الكتاب يتكلّم بما تكلّم به الربّ ﷻ، وألقاه على جبريل عليه الصلاة والسلام، فسمعه جبريل من ربّ العالمين ثم نزل به جبريل فألقاه على

Black plate (28,1)

محمد ﷺ كما سمعه من ربّه، ثم ألقاه محمد ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم كما سمعه من جبريل، وبقي هذا الكتاب يتوارث تلقياً إلى يومنا هذا، وصاحب ذلك قيام علماء القراءة والتجويد ببيان كل ما يتعلق بكيفية اللفظ، ليسهل النطق به، وقراءته كما أنزل.

قول المؤلف رحمه الله: **(ففزَعت إلى تعليق ما يتنخل لي في المناظرة من علم التفسير)**؛ يعني: يتخير من كتب التفسير التي بين يديه، والحوارات التي تجري بينه وبين طلاب العلم ما هو جدير بأن يضعه في كتابه، بعد أن صفَّى الأفكار وتخيَّر من أفانين الآراء، وأفضل المعاني، فيعمد إلى ذلك كله ليحلي به كتابه.

قول المؤلف: (وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به)، هنا كشف اللثام عن المنهج الذي ارتضاه، والمزية التي تحلى بها هذا الكتاب، والأمور التي تخلى عنها، وتتضح من خلال أمرين:

الأول: أن يكون الكتاب جامعاً وجيزاً.

وقد كان رحمه الله ينبِّه إلى مقصوده في الإيجاز في بعض مواطن من تفسيره، ومن ذلك قوله: «قال القاضي: وما يمنعه أن يجعل نيته لله وإن كان لغير قبلة، وفي كتاب الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وفي الشرع إباحة التنفل للمسافر إلى غير القبلة، هذه قواعد مسألة التقية، وأما تشعب مسائلها فكثير لا يقتضي الإيجاز جمعه»[(١)].

الثاني: أنه لا يذكر من القصص سوى ما لا تنفكّ الآية إلا به، والمعنى: أن القصص التي ذكرت بروايات متعددة في كتب التفسير، لا يلتفت إليها لكونها تتنافى مع منهجه الذي وضعه في كتابه، وهو الايجاز، فمهما اجتهد المفسرون قبله في توشيح كتبهم بها، فإنه لا يذكر منها إلا ما لا تتبين

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٧٥).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (29,1)

الآية إلا به، وهذا المنهج منه يعني: أنه لم يُعرض عن الأخبار القديمة سواء أكانت عن بني إسرائيل أو غيرهم.

ومن ذلك قوله: «وروي في قصة داود وقتله جالوت، أن أصحاب طالوت كان فيهم إخوة داود وهم بنو إيشى، وكان داود صغيراً يرعى غنماً لأبيه، فلما حضرت الحرب قال في نفسه: لأذهبن لرؤية هذه الحرب، فلما نهض مرَّ في طريقه بحجر فناداه: يا داود، خذني فبي تقتل جالوت، ثم ناداه حجر آخر، ثم آخر، ثم آخر فأخذها وجعلها في مخلاته وسار، فلما حضر الناس، خرج جالوت يطلب مبارزاً فكعَّ الناس عنه حتى قال طالوت:

من يبرز له ويقتله فأنا أزوجه بنتي وأحكمه في مالي، فجاء داود، فقال: أنا أبرز له وأقتله، فقال له طالوت: فاركب فرسي، وخذ سلاحي، ففعل، وخرج في أحسن شِكَّة، فلما مشى قليلاً رجع. فقال الناس: جَبُن الفتى، فقال داود: إن كان الله إن لم يقتله لي ويُعِنِّي عليه لم ينفعني هذا الفرس ولا هذا السلاح، ولكني أحب أن أقاتله على عادتي.

قال: وكان داود من أرمى الناس بالمقلاع[(١)]، فنزل وأخذ مخلاته فتقلدها وأخذ مقلاعه، وخرج إلى جالوت وهو شاك في سلاحه، فقال له جالوت: أنت يا فتى تخرج إليّ، قال: نعم، قال: هكذا كما يخرج إلى الكلب. قال: نعم وأنت أهون، قال: لأطعمن اليوم لحمك الطير والسباع، ثم تدانيا فأدار داود مقلاعه، وأدخل يده إلى الحجارة، فروي أنها التأمت فصارت حجراً واحداً، فأخذه فوضعه في المقلاع، وسمَّى الله، وأداره، ورماه، فأصاب به رأس جالوت فقتله، وحزَّ رأسه، وجعله في مخلاته، واختلط الناس، وحمل أصحاب طالوت وكانت الهزيمة.

ثم إن داود جاء يطلب شرطه من طالوت، فقال له: إن بنات الملوك لهن غرائب من المهر، ولا بدَّ لك من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين

(١) **المقلاع**: هو الذي يجعل فيه الحجر ويرمى به لطرد الطير وغير ذلك، جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٥٨٢).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (30,1)

يؤذون الناس، وتجيئني بغلفهم، وطمع طالوت أن يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مائتين، وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها إليه طالوت، وعظم أمر داود، فيروى أن طالوت تخلى له عن الملك وصار هو الملك، ويروى أن بني إسرائيل غلبت طالوت على ذلك بسبب أن داود قتل جالوت، وكان سبب الفتح، وروي أن طالوت أخاف داود حتى هرب منه فكان في جبل إلى أن مات طالوت، فذهبت بنو إسرائيل إلى داود، فملّكته أمرها.

وروي أن نبي الله شمويل أوحى الله إليه أن يذهب إلى إيشى ويسأله أن يعرض عليه بنيه فيدهن الذي يشار إليه بدهن القدس ويجعله ملك بني إسرائيل.

والله أعلم أي ذلك كان، غير أنه يقطع من ألفاظ الآية على أن داود صار ملك بني إسرائيل.

وقد روي في صدر هذه القصة: أن داود كان يسير في مطبخة[١] طالوت ثم كلمه حجر فأخذه فكان ذلك سبب قتله جالوت ومملكته، وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وذلك كله ليِّن الأسانيد، فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية، وتعلم به مناقل النازلة، واختصرت سائر ذلك»[٢].

ومن أمثلة ما نبَّه عليه بقصد الإيجاز، قوله: «قال القاضي أبو محمد: وهذا القصص اقتضبته من كثير أورده الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ رغبة الإيجاز»[٣].

وقوله: «وروى علباء بن أحمر اليشكري[٤] قال: لما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم، فقال شاب من اليهود: ويحكم، أليس عهدكم بالأمس بإخوانكم

(١) المِطْبَخة: جمعها مطابخ، وهي الموضع الذي يطبخ فيه، انظر: لسان العرب (٣/ ٣٦)، تكلمة المعاجم العربية (٧/ ١٣).
(٢) تفسير ابن عطية (٢/ ١٤٩ ـ ١٥١).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٤٢٢).
(٤) علباء بن أحمر اليشكري، ممن صحب أبا زيد الانصاري واسمه عمرو بن أاخطب، وهو جده، سكن مرو وبها مات، انظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ص٢٠٢).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (31,1)

الذين مسخوا قردة وخنازير؟ فلا تلاعنوا فانتهوا، وفي هذه القصة اختلافات للرواة وعبارات تجري كلها في معنى ما ذكرناه لكنا قصدنا الإيجاز»[(١)].

وقوله: «قال القاضي أبو محمد: وهذا الشرط فيه نظر، قال ابن حبيب[(٢)]: وينبغي للإمام أن يأمر السعاة بتفريقها بالمواضع التي جبيت فيها ولا يحمل منه شيء إلى الإمام إلا أن يرى ذلك لحاجة أو فاقة نزلت بقوم[(٣)]، قال مالك: ومن له مزرعة أو شيء في ثمنه إذا باعه ما يغنيه لم يجز له أخذ الصدقة، وهذه جملة من فقه الآية كافية على شرطنا في الإيجاز والله الموفق برحمته»[(٤)].

وقوله: «قال القاضي أبو محمد: والأول أبعد من التعقيب الذي يصحب الفاء في أغلب حالها فتأمله، وفي هذه النبذة ما يطلع منه على عيون هذه المسألة، وشرط الإيجاز منع من بسط الاعتراضات والانفصالات»[(٥)].

وقوله: «قال القاضي أبو محمد: ومسألة الاجتهاد طويلة متشعبة إلا أن هذه النبذة تليق بالآية، ويقتضيها حرصنا على الإيجاز، ويتعلق بالآية فصل آخر لا بد من ذكره وهو رجوع الحاكم بعد قضاء من اجتهاد إلى اجتهاد آخر أرجح من الأول...»[(٦)].

كما يفيد **قوله**: **(ما لا تنفك الآية إلا به)** في تصور مفهوم التفسير عنده، وأن المعلومات التي لا تنفك الآية إلا بها فهي من صلب التفسير، وأنها من مرادات المؤلف في تفسيره.

---

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٤٤٦).

(٢) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان: عالم الأندلس وفقيهها في عصره، أصله من طليطلة، من بني سُليم، ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة سنة مائتين وثمان وثلاثين، انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ١٥٧).

(٣) النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ (٢/ ٢٩١).

(٤) تفسير ابن عطية (٣/ ٥٢).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٣٩٤).

(٦) المرجع السابق (٤/ ٩٢).

Black plate (32,1)

وهذا يدل على وضوح المنهج المتبع عنده، وأنه كتب كتابه من خلال خطة رسمها، واتبعها بحذافيرها.

قول المؤلف: **(وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم)**، لا يزال في بيان منهجه، فبعد أن ذكر السمة العليا لكتابه، عمد بعد ذلك إلى كل ما يخدم تلك المزية، ومن ذلك:

١ ـ حذف الأسانيد، فيكتفي بنسبة الأقوال إلى قائليها، والذي حمله على ذلك أن ذكر الإسناد قد يطيل كتابه، فيتعارض مع السمة التي قصدها في تأليفه وهي الوجازة، إضافة إلى ذلك، فإن الأسانيد مدونة ومذكورة في الكتب التي لا يشوبها أي تعارض في ذكرها، مثل تفسير الطبري (ت: ٣١٠).

وكأنه أشار إلى ذلك في قوله: «ثم إن محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد، وشفى في الإسناد».

٢ ـ نسبة الأقوال إلى الكتب أو إلى مؤلفي الكتب، كأن يقول: قال ابن قتيبة، أو: وفي معاني القرآن للفراء، وهكذا.

وهذا الصنيع هو الأصل المتفق عليه، وهو إسناد القول إلى قائله، وأن هذا من الأمانة العلمية، ومن بركة العلم.

قول المؤلف: **(السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن[1]، وغيرهم..)** إلخ، يشير إلى فرق شتى، هم في تفسير كلام الله طرائق قدداً، وكأن هذه القضية العلمية كانت تمثل مشكلة في وقته، فوُجِد من يقول بالرموز، وبالتفسير الباطن الذي لا يدل عليه دليل، ولا يتسع له اللفظ، وقد

(١) لم يبيِّن ابن عطية المراد بالباطن المحمود والباطن المذموم، ولكن سياق كلامه هنا يبيِّن شيئاً من مراده بالباطن المذموم، وأما ما يتعلق بالظاهر والباطن، فقد ذكر فيه تعريفاً للرماني، ولم يعترض عليه، ويظهر أنه ارتضاه، والله أعلم، قال: «وقال الرماني: كل ما يعلم بأوائل العقول فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن، قال القاضي أبو محمد: وفيه تقع الغفلة وتقصير الجهال»، تفسير ابن عطية (٤/ ٣٢٩).

Black plate (33,1)

نبَّه المؤلف على أن تفاسير السلف كانت على المقاصد العربية وهي سليمة مما يقع من إلحاد أهل الرموز وأهل الباطن[١] وغيرهم ممن قلَّد هؤلاء القوم في المقال، فردَّ المؤلف زيف هذه الأقوال في التفسير بقاعدة مهمّة جدّاً في هذه القضية وهي: أن العمدة في التعامل مع الأقوال هي العربية السليمة، فإذا جاءت عبارات لا تتناسق مع عربية القرآن فإنه يتوقف فيها؛ لأنها قد تكون من عبارات أهل الرمز والإلحاد، وهو قد أورد بعض أقوالهم واعترض عليها في التفسير[٢]، وأما ما قد يقع لبعض العلماء من تفسيرات إشارية لا يظهر له فيها دليل، فإنه ينبِّه على ذلك، وقد يحكم عليها بعدم صحة النسبة إليهم، أو يجتهد في توجيهها توجيهاً صحيحاً يتفق مع الأصول الشرعية والقواعد الكلية،

(١) ذكر المؤلف أن تفسير هذه الفرقة يبرأ منها القرآن، فقال ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ـ: وقالت فرقة: الظُّلُماتِ الكفر والنُّورَ الإيمان، قال القاضي أبو محمد: وهذا غير جيد لأنه إخراج لفظ بيِّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه، والنُّورَ أيضاً هنا للجنس فإفراده بمثابة جمعه، انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٢٦٦).

(٢) أشار المؤلف في كتابه إلى جملة من تأويل هذه الفرقة التي أخرجت النص من دلالته الظاهرية إلى دلالة رمزية في زعمهم، ومن ذلك تفسير قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال المؤلف: وحكى النقاش عن جعفر بن محمد قولاً: أن «الورقة» يراد بها السقط من أولاد بني آدم، و«الحبة» يراد بها الذي ليس يسقط، و«الرطب» يراد به الحي، و«اليابس» يراد به الميت، وهذا قول جار على طريقة الرموز، ولا يصح عن جعفر بن محمد ﷺ، ولا ينبغي أن يلتفت إليه، وكذلك عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧]، قال روي عن ابن عباس أنه قال: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يريد به الشرع والدين. وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾: يريد به القلوب؛ أي: أخذ النبيل بحظه. والبليد بحظه، قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا يصح ـ والله أعلم ـ عن ابن عباس؛ لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، وقد تمسك به الغزالي وأهل ذلك الطريق، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة، انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٣٠٠)، (٣/ ٣٠٨)، فهذه الأمثلة من التفسير بالرمز لم تلق قبولاً لدى ابن عطية؛ بل اعتبرها إلحاداً، وخروجاً عن الأصل في التفسير وهو ترجمة الألفاظ بمعانيها الظاهرة، وجعلهم الألفاظ مسرحاً للألغاز.

Black plate (34,1)

لكي يخرجه مما قد يُظَنُّ أن هذا المفسر قد تكلم بالرموز في كلام الله، وهذا يدخل فيما سبق أن ذكرت من حرصه على تحرير عبارات السلف وتوجيهها.

قول المؤلف: (وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية: من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة)، بيّن في هذا الكلام طريقته في ترتيب الكلام على الآيات، وأنه سيرتب الكلام في تفسير الآيات حسب ترتيب الألفاظ فيها، فإن جاء ليفسر قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، فإنه يلتزم ترتيب الآيات، فلا يتجاوز لفظ الحمد إلى لفظ الجلالة دون أن يبيِّن المراد من الحمد، وكذلك لن يحصل عنده طفر في الذهاب إلى العالمين وترك لفظ الرب مبهماً من غير أن يبيَّن المراد منه، فهذا منهجه في رتبة ألفاظ الآية، وعند التزامه الترتيب، فإنه يتناول كل ما يخص الآية من أنواع العلوم التي فيها، من بيان ما يتعلق بها من أحكام(١)، أو نحو(٢) بذكر إعراب الكلمات من حيث مواقعها في ذلك، أو اللغات والمعاني، والقراءات(٣)، والذي حمله على ذلك هو ما سيبينه من كلامه على تفسير المهدوي (ت: ٤٣١).

قول المؤلف: (وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طَفَر كما في كثير من

---

(١) سواء أكانت في العقيدة كما في كلامه عن القدرية في تفسير الضالين في سورة الفاتحة، أو كانت في الفقه مثل الأحكام التي تكلم عنها في تفسير آية الدَّين.

(٢) انظر: كلام ابن عطية على حركة الدال في لفظ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في أول سورة الفاتحة، فقد تكلم عن أوجه الاعراب فيها، ولكن ينبغي التنبيه على الضوابط والقواعد التي ينبغي أن يستحضرها المفسر عند ذكر مسائل النحو في التفسير، وللاستزادة في هذا الأمر، انظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، لمساعد الطيار (ص٣٦ ـ ٥٤)، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد الطيار (ص١٣٠)، (ص٢٧٤)، (ص٢٧٨ ـ ٢٨٣)، (ص٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٣) انظر: ما ذكره من القراءات في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ﴾ من سورة الفاتحة، وللاستزادة في القدر الذي يحتاجه المفسر من علم القراءات، انظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، لمساعد الطيار (ص١٢٩)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، لمساعد الطيار (ص١٠٣).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (35,1)

كتب المفسرين، ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوي مفرق للنظر، مشعب للفكر)، أراد بهذا الكلام بيان منهج آخر وهو تجرده من الطفر وهو القفز والتجاوز لبعض كلمات أو آيات القرآن، ومن ثمَّ فإن تفسيره للآيات شامل لجميع الألفاظ الموجودة في القرآن الكريم مما يجعله ينجو من هذا الإشكال الذي تكلم عن وجوده في كتب بعض المفسرين، فلا يكاد يمر بآية حتى يتناول كل ما سبق بيانه من حكم، ونحو ولغة، ومعنى، وقراءة.

إن هذا الاستيعاب الذي تحدث عنه جعله يشير إلى تفسير من التفاسير وهو كتاب المهدوي الذي وسمه بـ(التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)[١]، ثم اختصره في كتابه الذي سماه بـ(التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)[٢]، وقد سار المهدوي (ت: ٤٣١) في تفسيره على منهج ذكره فقال: «وأنا مبتدئ إن شاء الله في نظم هذا المختصر الصغير، مجتهد أن أجمع فيه جميع أغراض الجامع الكبير من الأحكام المجملة، والآيات المنسوخة، وأحكامها المهملة، والقراءات المعهودة المستعملة، والتفسير والغريب والمشكل والإعراب والمواعظ والمثال والآداب، وما تعلق بذلك من سائر علوم التنزيل المحتملة للتأويل، ويكون المحذوف من الأصل ما أنا ذاكره في هذا الفصل فأحذفه من الأحكام الذي هي أصول الحلال والحرام أكثر تفريع المسائل المنثورة مما ليس بمنصوص في السورة، وأقتصر من ذكر الاختلاف على الأقوال المشهورة، وأذكر الناسخ والمنسوخ بكماله وأورده مختصراً على أتم أحواله، وأذكر القراءات السبع في الروايات التي اقتصر عليها أهل

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص٤١)، وقد ذكروا في سبب اختصاره ما حكاه القفطي فقال: ولما أظهر هذا الكتاب في الأندلس قيل لمتولي الجهة التي نزل بها من الأندلس: ليس الكتاب له، وإذا أردت علم ذلك فخذ الكتاب إليك، واطلب منه تأليف غيره، ففعل ذلك، وطلب غيره؛ فألَّف له التحصيل، وهو كالمختصر منه، وإن تغير الترتيب بعض تغير، والكتابان مشهوران في الآفاق، سائران على أيدى الرفاق، انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، وقد أشار المهدوي إلى شيء من ذلك، انظر: التحصيل (١/ ١٠٧).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (36,1)

الأمصار، سوى من لم يبلغ مبلغهم من الاشتهار إلا ما لا اختلاف فيه بين السبعة القراء، فإني أذكره منسوباً إلى بعض من روى عنه القراء ليعرف من هذا الاختصار ما هو من القراءات المروية مما لم يُقرأ به قارئ، وإن كان جائزاً في العربية، وأذكر من مسائل الإعراب الخفية ما يحتاج إليه، مما اختلف القراء فيه، أو كان جائزاً في المقاييس العقلية، فإذا أكملت السورة من هذا المختصر جمعت في آخره أصول القراءات واختصار التعليل فيها، وأصول مواقف القراءة ومبادئها؛ ليجمع ـ بعون الله وتوفيقه ـ هذا الاختصار ما لم تجمعه الدواوين الكبرى، ولتكون أغراض الجامع مضمنة فيه، ومجملة في معانيه.

وأجعل ترتيب السور مفصلاً، ليكون أقرب متناولاً، فأقول: القول من أول سورة كذا إلى موضع كذا منها، فأجمع من آيِهَا عشرين آية أو نحوها، بقدر طول الآية وقصرها.

ثم أقول الأحكام والنسخ وأذكرهما.

ثم أقول التفسير فأذكره.

ثم أقول القراءات فأذكرها.

ثم أقول الإعراب فأذكره.

ثم أذكر الجزء الذي يليه حتى آتي على آخر الكتاب إن شاء الله على ما شرطته فيه، وأذكر في آخر كل سورة موضع نزولها، واختلاف أهل الأمصار في عددها، وأستغني عن تسمية رؤوس آيها، وأبلغ غاية الجهد في التقريب والقصد»[(١)].

فهذا المنهج يصيب الباحث بالتعب؛ لأنه يلزم منه قراءة ما يتعلق بالآية في خمسة مواطن ليجمع ما فيها من علوم، ولهذا أشار إلى صنيع المهدوي (ت: ٤٣١) لأجل أن ينبّه على الطريقة المثلى عنده، وإلا فإن منهج المهدوي أسلوب من أساليب الجمع بين التفسير وعلوم القرآن، فهو تفسير، لكنه مرتَّب على بعض أنواع علوم القرآن.

(١) التحصيل (١/ ١٠٩ ـ ١١١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (37,1)

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها وشاذها)**، قابل الشاذ بالمستعمل، ولم يقل المتواتر[١]، وهذا أمر يجب التنبيه عليه ولفت النظر إليه، وهو معرفة اصطلاحات العلماء، فإن لكل قوم اصطلاحاً خاصّاً بهم، والمستعمل عند علماء الأندلس قد يكون مغايراً للمستعمل عند علماء المشرق، فبعض القراءات التي تُعدُّ شاذة عند علماء المشرق، نجد أن ابن جزي (ت: ٧٤١) يجعلها قريبة من رتبة القراءات التي حكم المتأخرون عليها بالتواتر[٢]، قال: «. . . وهي على نوعين: مشهورة وشاذة.

فالمشهورة القراءات السبع، وهي: حرف نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وحمزة وعاصم والكسائي الكوفيين.

ويجري مجراهم في الصحة والشهرة؛ يعقوب وابن محيصن ويزيد بن القعقاع.

والشاذ ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذة لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة وقوية المعنى»[٣].

وقد اعتمد ابن عطية على كتب مهمة في القراءات وتوجيهها، ومنها: كتب تُعد اليوم في المفقودات مثل كتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥)[٤] وهو من الكتب النفيسة، ومن ما نقله عنه: «وقرأ الجمهور

(١) استعمل ابن جزي لفظ المشهور وليس المستعمل ولا المتواتر، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٦)، وكذلك النقاش في كتابه شفاء الصدور، انظر: أبو بكر النقاش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم (ص١٨٣)، ومصطلح التواتر تعتريه إشكالات، انظر: مصطلحات علماء القراءة للقراءة المقبولة، من خلال كتب القراءات في القرنين الهجريين الرابع والخامس لمساعد الطيار (ص٢٦٢) وما بعدها.

(٢) انظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، لمساعد الطيار (ص٢٣١).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٢٣).

(٤) الإمام العلامة أبو حاتم، سهل بن محمد السجستاني ثم البصري المقرئ النحوي =

Black plate (38,1)

﴿يُمَنِّعَكُم﴾ بشد التاء، وقرأ ابن محيصن «يمتعكم» بسكون الميم وتخفيف التاء، وفي كتاب أبي حاتم: «إن هذه القراءات بالنون»، وفي هذا نظر»[(١)].

قول المؤلف: (واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي)، لا يزال المؤلف في بيان منهجه، وحديثه هنا في صلب التفسير، وهو بيان المعنى، وبيان المعنى أهم شيء في علم التفسير، والمفسرون كلهم يتفقون على هذا الأمر، ثم يزيد ـ بعد ذلك ـ كل مفسر على حسب ما عنده من معلومات من العلم الذي برع فيه[(٢)].

ثم انتقل المؤلف إلى ذكر المعاني المحتملات لألفاظ الآية، وهي على قسمين:

الأول: المحتملات التي ينقلها عن غيره، وأهمها ما كانت واردة عن السلف، حيث اعتنى بذكرها، واعتنى بتوجيهها وبيانها[(٣)].

الثاني: ما يلوح له من محتملات في معاني الآيات فينص على أن ما يذكره احتمالاً من عنده.

ومن أمثلة ذلك: قال ـ في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الصافات: ٢٨] ـ: «واضطرب المتأوِّلون في معنى قولهم: عَنِ الْيَمِينِ وعبر ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة والخير ونحو هذا من العبارات التي هي تفسير بالمعنى لا تختص باللفظة، وبعضهم أيضاً نحا في تفسير الآية إلى ما يخصها.

والذي يتحصل من ذلك معان، منها:

= اللغوي صاحب التصانيف، له كتاب: (إعراب القرآن)، وكتاب: (ما يلحن فيه العامة)، وغيرهما، انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠).

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٤٩).

(٢) للاستزادة من معرفة العلوم والقدر الذي يتعلق منها بالتفسير وعدمه، انظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد الطيار (ص٥٥ ـ ٦٥).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

Black plate (39,1)

أن يريد بالْيَمِينِ القوة والشدة، فكأنهم قالوا إنكم كنتم تغوروننا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدة، فعبّر عن هذا المعنى بالْيَمِينِ؛ كما قالت العرب: «بيدين ما أورد»[(١)].

وكما قالوا: «اليد» ـ في غير موضع ـ عن[(٢)] القوة، وقد ذهب بعض الناس ببيت الشماخ[(٣)] هذا المذهب، وهو قوله: [الوافر]

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين[(٤)]

فقالوا: معناه بقوة وعزيمة، وإلا فكل أحد كان يتلقاها بيمينه، لو كانت الجارحة، وأيضاً فإنما استعار الراية للمجد، فكذلك لم يرد باليمين الجارحة.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا﴾ من الجهة التي يُحسِّنُها تمويهكم وإغواؤكم ويظهر فيها أنها جهة الرشد والصواب، فتصير عندنا كاليمين التي بيمين السانح الذي يجيء من قبلها.

قال القاضي أبو محمد: فكأنهم شبهوا أقوال هؤلاء المغوين بالسوانح التي هي عندهم محمودة، كأن التمويه في هذه الغوايات قد أظهر فيها ما يوشك أن يحمد به.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا﴾؛ أي: تقطعون بنا عن أخبار الخير واليُمْن، فعبر عنها بالْيَمِينِ، إذ اليمين هي الجهة التي يتيمن بها، وبكل ما كان منها وفيها.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: أنكم كنتم تجيئوننا من جهة

(١) كذا ورد المثل ناقصاً، وتمامه: «بيدين ما أوردها زائدة»؛ أي: بالقوة والجلادة، وزائدة اسم رجل، انظر: مجمع الأمثال، للميداني (١/ ٣٠٧).

(٢) لعلها: كناية عن القوة.

(٣) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان بن ذبيان الغطفانيّ، يكنّى أبا سعيد، وأبا كثير، أدرك الجاهليّة والإسلام، والشماخ لقب، واسمه معقل، وقيل: الهيثم، توفي في غزوة موقان في زمن عثمان، وشهد الشماخ القادسيّة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٤) ديوان الشماخ (ص٣٣١).

Black plate (40,1)

الشهوات وعدم النظر، والجهة الثقيلة من الإنسان وهي اليمنى لأن كبده فيها، وجهة شماله فيها قلبه وهي أخف، وهذا معنى قول الشاعر:

تركنا لهم شق الشمال..... .....[١]

أي: نزلنا لهم عن موضع الهروب؛ لأن المنهزم إنما يرجع على شقه الأيسر إذ هو أخف شقيه، وإذ قَلْبُ الإنسان في شماله وثَمَّ نظره، فكأن هؤلاء كانوا يأتون من جهة الشهوات والثقل.

قال القاضي أبو محمد: وأكثر ما يتمكن هذا التأويل مع إغواء الشياطين. وهو قَلِقٌ مع إغواء بني آدم.

وقيل: المعنى: تحلفون لنا وتأتوننا إتيان من إذا حلف لنا صدَّقناه.

قال القاضي أبو محمد: فاليمين على هذا: القسم»[٢].

هذا؛ وإن وقع أن لفظاً من الألفاظ احتف به عدة احتمالات ولم يذكرها ابن عطية لعدم وقوفه على ذلك، فقد اعتذر بأنه من البشر الذين يعتريهم عدم الكمال وغياب بعض المعارف، وذلك **قوله**: **(كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي)**.

❍ تنبيه علمي:

ومما يجب التنبيه عليه هنا: أن فتح باب الاحتمال بدون ضوابط يُعد من مشكلات التفسير الكبرى التي تحتاج إلى دراسة علمية تكشف هذه المشكلة وأبعادها.

قول المؤلف: (وأنا.. وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير)، أشار بهذا الكلام إلى أنه قد ذكر الكثير من

---

(١) البيت بتمامه:
تركنا لهم شِقَّ الشمال فأصبحوا جميعاً يزجون المطي المخزما
انظر: شرح ديوان الحماسة، للأصفهاني (ص٢٤٤).
(٢) تفسير ابن عطية (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

Black plate (41,1)

علم التفسير، ولم يستوعب كل ما وقف عليه لكونه ينافي منهجه في الإيجاز والاختصار، إذ لو نقل كل ما في كتاب منذر بن سعيد بن البلوطي (ت:٣٥٥)[١]، وكتاب المهدوي (ت:٤٣١)، وكتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني (ت:٢٥٥)، وغير تلك المصادر التي رجع إليها، لكان الكتاب أضعاف ما هو عليه الآن، لكن ابن عطية صاحب انتخاب وتحرير، وحينئذ لا يذكر في كتابه إلا ما سبق بيانه في منهجه.

قول المؤلف: (ولنقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون).

الناظر في ما ذكره المؤلف وغيره من المفسرين كالطبري (ت:٣١٠) والماوردي (ت:٤٥٠) يجد أن هناك اتفاقاً في طرح بعض الموضوعات، والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا قبل الدخول في الموضوعات التي تكلم عنها المؤلف مفاده الآتي: هل كان من مقاصد المفسرين عندما يذكرون تلكم المقدمات أن يذكروا ما له أثر على تفاسيرهم من جهة بيان المعاني أو العلوم التي يوردونها؟ هذا السؤال يحتاج إلى جواب، ولا يتأتى الجواب إلا بعد أن يستقرئ الباحث ما ذكره المفسرون في كتبهم، ويتتبع ما كتبوه لكي يتوصل إلى معرفة ارتباط ما ذكره أي مؤلف من معلومات في المقدمات، هل كان ذكرُها لأجل أن يطبقها في تفسيره أو هي مجرد مقدمة لبعض أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن فقط، وإن لم يكن لها أثر في تفسيره؟.



(١) أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيهاً محققاً، وخطيباً بليغاً مفوهاً، من تصانيفه: (الإنباه عن الأحكام من كتاب الله) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٦).

Black plate (42,1)

باب ما ورد عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، وعن نبهاء العلماء، في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به

قال رسول الله ﷺ: «**إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم**، قيل: فما النجاة منها يا رسول الله؟ قال: **كتاب الله تعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، من تركه تجبرا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم**»[(١)].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قال: «هي القرآن»[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**من أراد علم الأولين والآخرين فليثور**[(٣)] **القرآن**»[(٤)]، .....

(١) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، برقم (٢٩٠٦)، وغيره، والحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، ففيه الحارث بن عبد الله الأعور، كذبه الشعبي، وآخرون، انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧)، المغني في الضعفاء (١/ ١٤١)، وفيه مجهول أيضاً كما ذكر الترمذي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، برقم (٣٠٠١٧).

(٣) **تثوير القرآن**: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه، انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٨٠)، تفسير القرطبي (١/ ٤٤٦)، وهذا الأثر يصلح أن يكون شاهداً لما سيذكره المؤلف في الباب التالي لهذا الباب.

(٤) غالب المصادر التي وقفت عليها لم يرفع؛ أي: واحد من أصحابها هذا الحديث، =

Black plate (43,1)

وقال عليه السلام[١]: «**اتلوا هذا القرآن، فإن الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات، أما إني لا أقول «الم» حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف**»[٢]، وروي عنه عليه السلام أنه قال في آخر خطبة خطبها وهو مريض: «**أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، إنه لن تعمى أبصاركم، ولن تضل قلوبكم، ولن تزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم، كتاب الله سبب بينكم وبينه، طرفه بيده، وطرفه بأيديكم، فاعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، ألا وعترتي، وأهل بيتي، هو الثقل الآخر، فلا تسبعوهم فتهلكوا**»[٣].

= إلا ما كان من المؤلف ولعل أبا حيان تبعه في تفسيره، وكذلك المتقي الهندي في كنز العمال، والصواب: وقفه على ابن مسعود رضي الله عنه، وقد جاء بلفظ: أثيروا القرآن، واللفظ الآخر: هو الذي ذكره المؤلف، والحديث رواه ابن المبارك في الزهد، برقم (٨١٤)، وإن كان فيه أبو إسحاق السبيعي، لكن من روى عنه هو سفيان الثوري، ورواية سفيان عنه أخرجها الشيخان.

(١) يكثر في تفسير ابن عطية إفراد السلام دون الصلاة، وكذلك قد يصلي على النبي ﷺ دون أن يسلم، وهذا الأمر وإن كان للحافظ ابن حجر تفصيل فيه، إلا أن الصواب هو امتثال ما جاء في الآية، وهو الجمع بين الصلاة والسلام، وقد نص جماعة من أهل العلم على كراهة الاقتصار على الصلاة دون السلام أو العكس، قال الحطاب الرعيني: شاع في كثير من كلام العلماء كراهة إفراد الصلاة عن السلام وعكسه وممن صرح بالكراهة النووي، انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (١/ ١٩)، وقال ابن علان: تضمن نص العلماء أو من نص منهم على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غير تسليم، انظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٣/ ٣٣١).

(٢) أخرجه الترمذي وصححه وهو كذلك، أبواب فضائل القرآن، برقم (٢٩١٠)، بلفظ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

(٣) هذا الحديث كأن المؤلف أخذه من عدة مصادر، وجمع الألفاظ في مكان واحد، فجزء منه عزاه البقاعي إلى أبي نعيم بسند ضعيف، انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ٣٠٢)، وآخره أخذه من السُّنَّة، لابن أبي عاصم، وشرح مشكل الآثار، وفي السند كثير بن زيد، ضعّفه ابن معين والنسائي وآخرون، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٥١)، الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي =

Black plate (44,1)

وقيل لجعفر بن محمد الصادق (ت:١٤٨): «لم صار الشعر والخطب يمل ما أعيد منها، والقرآن لا يمل؟ فقال: لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثاني، كما هو حجة على أهل الدهر الأول، فكل طائفة تتلقاه غضّاً جديداً ولأن كل امرئ في نفسه متى أعاده وفكر فيه تلقى منه في كل مرة علوماً غضة، وليس هذا كله في الشعر والخطب»، وقيل لمحمد بن سعيد: «ما هذا الترديد للقصص في القرآن؟ فقال: ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله**»(١)، وقال عليه السلام: «**ما من شفيع أفضل عند الله من القرآن، لا نبي ولا ملك**»(٢)، وقال عليه السلام: «**أفضل عبادة أمتي القرآن**»(٣)، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه»(٤)،

= (٣/ ٢٢)، تهذيب الكمال (٢٤/ ١١٥).

(١) رواه ابن عدي في الكامل، وفيه: حمزة بن أبي حمزة النصيبي، كان يضع الحديث، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٢٦٦)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص٢٩٧).

(٢) قال العراقي: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً، انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (ص٣٢٣)، وقد جاءت بعض الأخبار الثابتة تبين شفاعة القرآن لصاحبه، من ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»، أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٠٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (١٨٦٥)، وفيه: العباس بن الفضل، فإن كان الموصلي فهو متكلم فيه، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٣٨٥)، والعباس يرويه عن: مسكين بن بكير، قال أبو أحمد الحاكم: له مناكير كثيرة، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ١٠١)، ومسكين يرويه عن عباد بن كثير، إن كان الثقفي فهو متروك، انظر: الضعفاء الصغير (ص٧٥)، وإن كان الرملي فهو ضعيف، انظر: الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص٧٤).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم (٧٩٩)، وفي سنده إسماعيل بن رافع، وهو متروك، انظر: الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص١٦).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (45,1)

وحدّث أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن**»(١)، وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أشراف أمتي حملة القرآن**»(٢)، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، فقال: «**سابقكم سابق، ومقتصدكم ناج، وظالمكم مغفور له**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**ألا إن أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله**»(٤)، وروى أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**القرآن شافع، مشفع، وماحل مصدق، من شفع له القرآن نجا، ومن محل به القرآن يوم**

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم (٦٧١) بإسناد كلهم ثقات اللَّهُمَّ إلا ما قيل من خلاف في ابن لهيعة، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (٧٧٤٨)، بسند فيه: يحيى بن عقبة بن أبي العيزار، كذبه ابن معين، انظر: تاريخ ابن معين (١/ ٦١)، وقال البخاري: منكر الحديث، انظر: التاريخ الأوسط (٢/ ٢٤٨)، وكذلك الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم (٢٠٤٢)، بسند فيه: عبد الله بن زياد المخزومي المدني، كذبه غير واحد، انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (١٢٦٦٢)، قال الهيثمي: فيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف، انظر: مجمع الزوائد (٧/ ١٦١)، قلت: بل هو أعظم من ذلك، ذلك أن نهشلاً أحد رواته كذاب، متروك الحديث، ليس بشيء، إلى غير تلك الأوصاف التي قيلت فيه، انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٣١ ـ ٣٢)، إضافة إلى الانقطاع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس، فالضحاك لم يسمع من ابن عباس كما سيأتي في كلام ابن عطية، وذكر المصادر التي تشهد لذلك هناك.

(٣) هذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً، والوجه الموقوف الذي ذكره المؤلف أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل (٢/ ١٥١)، برقم (٢٣٠٨)، والحديث معلول بجهالة أحد الرواة، وبضعف فرج بن فضالة، انظر: تقريب التهذيب (ص٤٤٤).

(٤) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، برقم (٣٥٣٧) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وليس مرفوعاً كما فعل المؤلف، وهو ضعيف لوجود إبراهيم بن مسلم الهجري، انظر: الضعفاء والمتروكون، للنسائي (ص١١).

Black plate (46,1)

القيامة كبه الله لوجهه في النار، وأحق من شفع له القرآن أهله وحملته، وأولى من محل به من عدل عنه وضيّعه»[(١)]، وقال ﷺ: «**إن الذي يتعاهد هذا القرآن ويشتد عليه له أجران، والذي يقرأه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة**»[(٢)]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «مل أصحاب النبي ﷺ ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: قصَّ علينا يا رسول الله، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف: ٣]»[(٣)].

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٤)]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله القرآن»[(٥)]، ومرَّ أعرابي على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنده قوم يقرؤون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال له ابن مسعود رضي الله عنه: «يقتسمون ميراث محمد ﷺ»[(٦)]، ومرّت امرأة على عيسى

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (١٨٥٥)، من دون زيادة: وأحق من شفع... إلخ، قال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد (١/ ١٧١).

(٢) ذكره البخاري معلقاً، كتاب التوحيد، كذا أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٧٩٨)، بلفظ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران**».

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية مرسلاً، وفيه المسعودي، وهو عبد الرحمٰن بن عبد الله، اختلط آخر عمره، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٥/ ٢٥١)، المجروحين، لابن حبان (٢/ ٤٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم (٥٠٢٧)، بلفظ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (١٨٥٧)، وفي سنده غياث بن كلوب ضعيف، وشيخه مطرف بن سمرة مجهول الحال، انظر: الضعفاء والمتروكون، للدارقطني (٣/ ١٢٧)، الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي (٢/ ٢٤٧).

(٦) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن بسند فيه انقطاع، فالأعمش لم يدرك =

Black plate (47,1)

ابن مريم عليه السلام فقالت: «طوبى لبطن حملك، ولثديين رضعت منهما، فقال عيسى: طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبع ما فيه»(١).

وقال محمد بن كعب القرظي (ت:١٠٨) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، قال: هو القرآن، ليس كلهم رأى النبي ﷺ، وقال بعض العلماء في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨]، قال: «الإسلام والقرآن»، وقيل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنك لتقل الصوم؟ فقال: «إنه يشغلني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إليّ منه»(٢)، وقال قوم من الأنصار للنَّبيِّ ﷺ: «ألم تر يا رسول الله ثابت بن قيس رضي الله عنه لم تزل داره البارحة يزهر فيها وحولها أمثال المصابيح فقال لهم: **فلعله قرأ سورة البقرة**، فسئل ثابت بن قيس رضي الله عنه، فقال: نعم قرأت سورة البقرة»(٣).

وفي هذا المعنى حديث صحيح عن أسيد بن حضير رضي الله عنه في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة(٤)، وذكر أبو عمرو الداني

= ابن مسعود ولم يسمع منه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، برقم (٣١٨٧٨)، وسنده صحيح إلى خيثمة، ولكن هل المراد بالقرآن في كلام عيسى هو الذي أنزل على النبي ﷺ، هذا هو الظاهر، قال الراغب: والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، فصار له كالعلم كما أن التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم، قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٦٨ ـ ٦٦٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصيام، برقم (٨٩٠٩)، وسنده صحيح، والنسخة التي بين يدي الكاتب وقع فيها وهم، حيث ذكر سفيان، والصواب: هو شقيق بن سلمة الأسدي، انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٨٨).

(٣) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢).

(٤) ذكره البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم (٥٠١٨) ونص الحديث: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ =

Black plate (48,1)

(ت:٤٤٤)[١] عن علي الأثرم (ت:٢٣٢)[٢] قال: كنت أتكلم في الكسائي (ت:١٨٩) وأقع فيه، فرأيته في النوم وعليه ثياب بيض ووجهه كالقمر فقلت: يا أبا الحسن ما فعل الله بك؟ فقال: «غفر لي بالقرآن»، وقال عقبة بن عامر ﷺ (ت:٥٨)[٣]: «عهد إلينا رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: عليكم بالقرآن»[٤]، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يبسط القول، ويخزن الفعل، ويرفع الأشرار، ويوضع

= فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**»، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «**وتدري ما ذاك؟**»، قال: لا، قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم**»، وقد استشكل ابن كثير هذا الإسناد لكونه منقطعاً ومعلقاً، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٥)، لكن قال العيني: ومحمد بن إبراهيم هو التيمي من صغار التابعين، ولم يدرك أسيد بن حضير فروايته عنه منقطعة، لكن الاعتماد في وصل الحديث المذكور على الإسناد الثاني وهو قوله: (قال ابن الهاد) على ما يجيء عن قريب، وهذا الإسناد منقطع ومعلق وصله أبو عبيد في فضائل القرآن عن يحيى بن بكير عن الليث بالإسنادين جميعاً، انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٣٦)، وبهذا يزول الإشكال.

(١) المجود المقرئ عثمان بن سعيد القرطبي ثم الداني، ويعرف قديماً بابن الصيرفي، مصنف «التيسير» و«جامع البيان»، وغير ذلك، مولده سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، مات أبو عمرو يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٧٥ ـ ٨٣).

(٢) علي بن المغيرة أبو الحسن الأثرم صاحب النحو والغريب واللغة، سمع أبا عبيدة معمر بن المثنى، وأبا سعيد الأصمعي، روى عنه الزبير بن بكار، وأبو العباس ثعلب، وغيرهم، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، انظر: تاريخ بغداد (١٨/ ٧٥ ـ ٨٣).

(٣) الإمام، المقرئ أبو عبس عقبة بن عامر الجهني صاحب النبي ﷺ، شهد فتح مصر، له في «مسند بقي» خمسة وخمسون حديثاً، مات سنة ثمان وخمسين، انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٩).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (٦٥٨)، وفيه ابن لهيعة.

Black plate (49,1)

الأخيار، وأن تقرأ الْمُثَنَّاة[١] على رؤوس الناس لا تغير، قيل: وما المثناة؟ قال: ما استكتب من غير كتاب الله، قيل له: فكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه، وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل»[٢].

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه (ت:٣٢): «إن إخواناً لك من أهل الكوفة يقرئونك السلام، ويأمرونك أن توصيهم، فقال: أقرئهم السلام، ومرهم

(١) قال القاسم بن سلام: سألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأول قد عرفها وقرأها عن المثناة فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى وضعوا كتاباً فيهما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تبارك وتعالى فسموه المثناة، كأنه يعني أنهم أحلوا فيه ما شاؤا، وحرموا فيه ما شاؤا، على خلاف كتاب الله تبارك وتعالى، انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٢٨٢)، لكن الألباني له تفسير آخر، حيث يقول: «الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين، التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة، فإنهم جميعاً يتدينون بالتمذهب، ويوجبونه على الناس حتى العلماء منهم، فهذا كبيرهم أبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلمته المشهورة: «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ». فقد جعلوا المذهب أصلاً، والقرآن الكريم تبعاً، فذلك هو (المثناة) دون ما شك أو ريب، وأما ما جاء في «النهاية» عقب الحديث وفيه تفسير (المثناة): «وقيل: إن المثناة هي أخبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو (المثناة)، فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كان عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم. فقال هذا لمعرفته بما فيها»، قلت: وهذا التفسير بعيد كل البعد عن ظاهر الحديث، وأن (المثناة) من علامات اقتراب الساعة، فلا علاقة لها بما فعل اليهود قبل بعثته ﷺ، فلا جرم أن ابن الأثير أشار إلى تضعيف هذا التفسير بتصديره إياه بصيغة «قيل» وأشد ضعفاً منه ما ذكره عقبه: «قال الجوهري: (المثناة) هي التي تسمى بالفارسية (دوبيتي). وهو الغناء»، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٧٧٥ ـ ٧٧٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (٤٨٣٤) موقوفاً كما فعل المؤلف، وقد رفعه بعضهم، والحديث صحيح.

Black plate (50,1)

فليعطوا القرآن بخزائمهم، فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويجنبهم الجور والحزونة»[(١)]، وقال رجل لعبد الله بن مسعود ﷺ: «أوصني، فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه»[(٢)]، وروى أبو هريرة ﷺ (ت:٥٩): أن رسول الله ﷺ سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتاً بالقرآن، فقال: «**الذي إذا رأيته يخشى الله تعالى**»[(٣)]، وقال عليه السلام: «**اقرؤوا القرآن قبل أن يجيء قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**»[(٤)]، ويروى أن أهل اليمن لما قدموا أيام أبي بكر الصديق ﷺ سمعوا القرآن فجعلوا يبكون فقال أبو بكر ﷺ: «هكذا كنا، ثم قست القلوب»[(٥)].

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ مرة: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٧، ٨]، فأنّ أنَّةً عِيدَ منها عشرين يوماً[(٦)]، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري (ت:١١٠): إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً تركبونه، فتقطعون به المراحل، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب فضائل القرآن، برقم (٣٠١٦٢)، وهو منقطع، فأبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي لم يسمع من أبي الدرداء، وهو يدلس، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩).

(٢) رواه أحمد في الزهد، برقم (٨٦٦)، ومعن: هو ابن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود، ثقة، انظر: الثقات، للعجلي (ص٤٣٦)، لكنه لم يدرك ابن مسعود.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب فضائل القرآن، برقم (٢٩٩٤٥)، وهو مرسل.

(٤) أخرجه أبو داود، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، برقم (٨٣٠)، بلفظ: «**اقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه**»، وسنده حسن، وقال الألباني: صحيح.

(٥) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ولكن أبا صالح ذكوان السمان لم يسمع من أبي بكر ﷺ.

(٦) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ولكن الحسن البصري لم يدرك عمر ﷺ.

Black plate (51,1)

بالنهار، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملاً، إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به»(١).

قال القاضي عبد الحق رضي الله عنه: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل: ٥]، أي: علم معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسر، وتركوا الثقيل، وهو المطلوب منهم، وقيل ليوسف بن أسباط (ت:١٩٥)(٢): بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ قال: «أستغفر الله من تلاوتي لأني إذا ختمته وتذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح»، وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء، قال: فلما ختمته أردت الرجوع من أوله فقال لي: اتخذت القراءة عليّ عملاً اذهب فاقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به»(٣).



(١) لم أجده مسنداً.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن أسباط سكن أنطاكية، أصله من العراق، كان من خيار أهل زمانه من عباد أهل الشام وقرائهم، كان ممن لا يأكل إلا الحلال المحض فإن لم يجده استف التراب، مات يوسف بن أسباط سنة خمس وتسعين ومائة، انظر: الثقات، لابن حبان (٧/ ٦٣٨).

(٣) تفسير ابن عطية (ص١١ ـ ٢٠).

Black plate (52,1)

الشَّرْح

استرسل المؤلف في ذكر الآثار سواء أكانت مرفوعة أو موقوفة أو مقطوعة أو من كلام أهل العلم، وقد حملت في طياتها الاعتصام بالقرآن في ثلاثة أحاديث، وتلاوة القرآن وفضل تعليمه والعمل به في سبعة وعشرين حديثاً، ولا شك أن تلكم الأمور، دلت الأدلة المتضافرة، والأخبار المتواترة عليها جميعاً، وإن كان الكثير مما استدل به المؤلف غير ثابت، إلا أن هناك أدلة ثابتة تشهد لما سبق ذكره، فالاعتصام بالقرآن جاء في قوله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1] [آل عمران: ١٠٣]، وقراءة القرآن وتعليمه والعمل به أمور حث الشرع عليها، ودعا الناس إليها.

لكن قد يقول قائل: هذه الأمور التي تكلم عنها المؤلف من ذكر فضل تلاوة القرآن، وتعلمه وتعليمه، والحث على الاعتصام به، وذكر صور من ذلك، أي ارتباط لها بالتفسير لكي يذكرها المؤلف، وما أثرها على مهمة من تصدى لهذا العلم؟

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور قد لا يكون لها أثر في التفسير بادي الرأي، بمعنى: أن الناظر إلى هذه الآثار لأول مرة لا يتجلى له وجود علاقة بين موضوع فضل القرآن أو العمل به، ومهمة المفسِّر التي سيقوم بها من جهة بيان المعاني وبعض العلوم المرتبطة بالقرآن، إلا من جهة الأحكام الفقهية أو بعض الاستنباطات الحكمية أو السلوكية التي يوردها المؤلف، فما ذكره من الآثار قد لا يكون لها تعلق بالتفسير، إلا أن يقال: إن فيها تنشيطاً للقارئ الذي يريد أن يقرأ تفسير كلام الله ﷻ، والذي انتقل إليه ـ أي: التفسير ـ بعد أن تعرّف على فضل كلام الله ﷻ، فاشرأبت عنقه، وتاقت نفسه لفهم معاني

(١) وهو أحد الأقوال في تفسير الآية، انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٧١).

Black plate (53,1)

هذا الكلام الذي جاءت تلكم الآثار بالترغيب في الديمومة على قراءته، وتعليمه.

وأما العمل به فالعلاقة ظاهرة، ويتجلى ذلك في أن الغاية من إنزال القرآن هي العمل به، وهذا العمل لا يتأتى لأي أحد إلا بعد أن يفهم المطلوب فعله، أو تركه، ولا سبيل إلى ذلك في الغالب إلا بطلب تفسير ذلكم المطلوب، ويشهد لهذا ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: **هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، قال: فقال زياد بن لبيد الأنصاري**[(١)]: يا رسول الله وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال: **ثكلتك أمك يا زياد، إني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟**، قال جبير[(٢)]: فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت له: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء وأخبرته بالذي قال، قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً»[(٣)]، فتأمل كيف بيَّن النبي ﷺ العلاقة بين الفهم والعمل، وأن قراءة اليهود والنصارى للكتب التي عندهم من غير فهم لما فيهما أورثهم عدم العمل، وكذلك ما بيّنه عبادة رضي الله عنه وله حكم الرفع ـ من ذهاب الخشوع من صلاة الناس، مع أنهم يقرأون الحث عليه في القرآن، لكنها قراءة مفتقرة إلى

(١) زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي، خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي أول أيام معاوية، انظر: أسد الغابة (٢/ ٣٣٩).

(٢) جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي، أدرك حياة النبي ﷺ، وحدث عن: أبي بكر ـ فيحتمل أنه لقيه ـ وعن عمر وغيرهما، كان جبير من علماء أهل الشام، مات سنة خمس وسبعين، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، برقم (٣٣٨)، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

Black plate (54,1)

فهم معنى الخشوع، والذي سيترتب على ذلك وجوده في صلاتهم، بخلاف ما إذا فُهم، فإن وجوده كائن ولو في بعض الناس، لهذا أثبته الله لأهل العلم، فقال: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وما ذلك إلا لأن تلاوتهم للقرآن مقرونة بفهمه، وفي هذا الباب أدلة أخرى؛ كقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا كثرت قراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم»[(١)]، وهذا يؤكد أن العلاقة وطيدة، وشديدة الارتباط بين التفسير والعمل.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، برقم (٨٥٧٠)، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

Black plate (55,1)

باب في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه

روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: «أي علم القرآن أفضل؟ فقال النبي ﷺ: **عربيَّته فالتمسوها في الشعر**»(١)، وقال أيضاً ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه فإن الله يحب أن يُعرَب**»(٢).

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع، وقال أبو العالية (ت:٩٣) في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: «الحكمة» الفهم في القرآن، وقال قتادة (ت:١١٧): «الحكمة» القرآن والفقه فيه، وقال غيره: «الحكمة» تفسير القرآن.

وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم،

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، برقم (٢١١٢٥)، بلفظ: «**إن من الشعر حكمة، وإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه** من الشعر، فإنه عربي»، قال البيهقي: اللفظ الثاني، أي: ـ **إذا التبس عليكم** إلخ ـ فيحتمل أن يكون من قول ابن عباس، فأدرج في الحديث، وفي الحديث سماك بن حرب، وهو ثقة لكن روايته عن عكرمة ـ كما هو الحال هنا ـ مضطربة، انظر: تاريخ دمشق (٤١/ ٩٧)، تهذيب الكمال (١٢/ ١٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، برقم (٣٦٤٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي فقال: بل أجمع على ضعفه، وآفته: عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، كذبه يحيى القطان، انظر: الضعفاء الصغير، للبخاري (ص٦٥)، وقال النسائي: متروك الحديث، انظر: الضعفاء والمتروكون (ص٦٤).

Black plate (56,1)

فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[(١)] [القصص: ٨٥]، وقال الشعبي (ت:١٠٣): رحل مسروق[(٢)] إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها، وقال إياس بن معاوية (ت:١٢١)[(٣)]: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الذي يقرأ ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذ[(٤)] الشعر»[(٥)]، وقال النبي ﷺ: «**لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة**»[(٦)].

(١) هذا الأثر ذكره المفسرون في كتبهم من دون إسناد، انظر: تفسير السمعاني (٤/ ١٦٣)، تفسير القرطبي (١/ ٢٦)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ١٦)، وسيأتي التعليق عليه في المتن.

(٢) الإمام، القدوة أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني، قيل: إنه سُرِق وهو صغير، ثم وجد، فسمي مسروقاً، روى عن: أُبي بن كعب، وعمر، وغيرهم، مات سنة اثنتين وستين، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣ ـ ٦٩).

(٣) قاضي البصرة العلامة أبو واثلة إياس بن معاوية، يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، قلما روي عنه، وقد وثقه ابن معين، له شيء في مقدمة صحيح مسلم، انظر: سير اعلام النبلاء (٥/ ١٥٥).

(٤) **الهذ**: سرعة القطع، وسرعة القراءة، انظر: العين (٣/ ٣٤٩)، قال الخطابي: سرعة القراءة والمرور فيها من غير تأمل للمعنى، كما ينشد الشعر، إنما تعد أبياته وقوافيه، انظر: أعلام الحديث (٣/ ٩٥٠).

(٥) عزاه السيوطي إلى الهروي فقال: وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر، انظر: الإتقان (٤/ ١٩٨).

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، برقم: (١٥١٥)، وقال: قال أبو عمر: صدقة بن عبد الله هذا يعرف بالسمين، هو ضعيف عندهم مجمع على ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعاً وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء، انظر: =

Black plate (57,1)

وقال الحسن (ت:١١٠): «أهلكتهم العجمة، يقرأ أحدهم الآية فيعيى بوجوهها حتى يفتري على الله فيها»، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يبدأ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجل يعجز عنه»[(١)]»[(٢)].

= ترجمة صدقة السمين في كل من: تهذيب الكمال (١٣/ ١٣٥)، تقريب التهذيب (ص٢٧٥)، وفي الحديث آفة أخرى: أبان بن أبي عياش، متروك، انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٠)، وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على أبي الدرداء، كتاب فضائل القرآن، برقم (٣٠١٦٣)، لكن أبا قلابة عبد الله بن زيد الجرمي لم يسمع من أبي الدرداء.

(١) رواه نصر بن إبراهيم المقدسي في الحجة على تارك المحجة (ص٦٣٥)، وعزاه السيوطي إليه في كتابه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنَّة (ص٦٧)، ونصر ذكره عن أبي ظبيان عن علي، وأبو ظبيان هو: حصين بن جندب، تابعي ثقة، متفق على توثيقه. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٥١٥)، وقد روى عن علي وعن غيره من الصحابة، انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٩).

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٤٠).

Black plate (58,1)

الشَّرْح

لمّا ذكر المؤلف فضل القرآن، وما له بذلك من علاقة بالتفسير، انتقل في هذا الباب إلى فضل بيان القرآن، والنظر في معانيه، واستخراج اللطائف منه، معتمداً في ذلك على الآثار النبوية وبعض آثار الصحابة والتابعين، فافتتح حديثه بالحثِّ على التماس التفسير في شعر العرب، وهذا أمر درج عليه المفسرون من زمن الصحابة إلى هذا اليوم، قال ابن عباس ﷺ (ت:٦٨): «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب»[(١)]، وقال الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣): «في الشعر الحكم النادرة، والأمثال السائرة، وشواهد التفسير، ودلائل التأويل، فهو ديوان العرب، والمقيد للغاتها، ووجوه خطابها»[(٢)]، وليست الشواهد محصورة في عدد صغير لا يُلتفت إليه، بل ذُكر عن ابن الأنباري (ت:٣٢٨)[(٣)] «أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشواهد في القرآن»[(٤)]، ولو أن نافعاً بن الأزرق (ت:٦٥)[(٥)] مكث عند ابن عباس ﷺ أياماً أطول، لكانت الشواهد الشعرية

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، برقم (٣٨٤٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٩٧).

(٣) اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين، قيل: إن من جملة محفوظه عشرين ومائة تفسير بأسانيدها، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة عن سبع وخمسين سنة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩).

(٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٣/ ٣٩٧).

(٥) أبو راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، الحروري، رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس، وكان من الخوارج على عثمان، ووالوا عليّاً، إلى أن كانت قضية التحكيم، فاجتمعوا في حروراء، ونادوا بالخروج على علي، انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٣٥١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (59,1)

أكثر مما هي موجودة في مسائل نافع[١]، ومن منع الاستشهاد بالشعر فرأيه ضعيف، لا يُلتفت إليه، ولا يُعول عليه؛ بل يُضرب عن قوله صفحاً[٢].

أما قضية الإعراب التي وردت، فالمراد بها: إظهار عربية القرآن من جهة اللفظ والمعنى، لأنه إذا اختل اللفظ اختل المعنى، ومعلوم أن علم النحو لم ينشأ إلا متأخراً، ولم ينشأ في الأصل إلا لصيانة اللحن عن هذا الكتاب، فالإعراب غير مقصور على ما يتبادر إلى الأذهان اليوم من إظهار الحركات الإعرابية في النحو؛ بل المراد: أقيموا عربيته من جهة ألفاظه ومعانيه، فالنحو جزء من إعراب القرآن، وكذلك بيان المعاني، فالمراد بالإعراب في هذه الآثار هذا المعنى العام والشامل.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القاضي أبو محمد عبد الحق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع)**، كلام في غاية الإيجاز، لهذا استحق أن نقف عنده، فنقول: إن الإعراب بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً هو كما يقول المؤلف: أصل في الشريعة[٣]، وتقوم بذلك معانيه؛

---

(١) مجموعة من الأسئلة عن معاني بعض الألفاظ القرآنية، طالب فيها نافع ابن عباس معرفة العرب لهذه الألفاظ، فيقول له: ما معنى قوله ـ تعالى ـ، ويذكر لفظ الآية، فيقول كذا، فيقول نافع: وهل تعرف العرب ذلك، فيقول ابن عباس: نعم، ويذكر الشاهد الشعري، ولهذا يقول ابن الونان في فضل الشعر: لو لم يكن فيه بيان آية ما فسرت مسائل ابن الأزرق، انظر: شرح الشمقمقية للحسني (ص١٢٥).

(٢) للاستزادة في القول وحجته والرد عليه، انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار (ص١٥٩)، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، للدكتور عبد الرحمٰن الشهري (ص٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٣) للاستزادة، انظر: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي، فقد ذكر أهمية النحو لمريد فهم معاني كلام الله، ومن ذلك ما ذكره عن الوقشي الذي قال: ويضاف إلى ما تقدم ذكره مما يحتاج إليه طالب التفقه في القرآن والتحقق بمعانيه، أن يكون عنده من قوانين النحو ما يفهم به مقاصد العرب في كلامهم على طريق الإعراب، وأحكامه في الرفع، والنصب، والخفض، والجزم، وسائر ما تختص به هذه الصناعة، مما يسلم به من اللحن، وإفساد المعنى كما يسلم بمعرفة أعيان الألفاظ من التغيير، والتصحيف، =

Black plate (60,1)

أي: بالرجوع إلى لغة العرب، وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، لكي يكون مثالاً مرتبطاً بالأحكام، ذلك أن الفقهاء والمفسرين لما اختلفوا في معنى القرء في هذه الآية كان خلافهم راجعاً إلى اللغة، وما المراد بالقرء هنا؟ فالقرء عند العرب يأتي بمعنى: الحيض(١)، ويأتي بمعنى: الطهر(٢)، فوقع الخلاف بين الفقهاء والمفسرين في المراد بالقرء في هذه الآية فرجع إلى هذا المعنى، ولا خلاف بين القائلين بأن القرء هو الطهر أو هو الحيض أن اللفظ يأتي لهذا وذاك، ولم يُنزع عن أحدهما بتاتاً، وإنما الخلاف في المراد بالقرء في هذه الآية، أهو الطهر أم هو الحيض، فكلٌّ سلك مسلكاً لترجيح رأيه، ومن ذلكم اللغة، فالقائل بأن القرء بمعنى الطهر يقول: «إن هذا الجمع خاص بالقرء الذي هو الطهر، وذلك أن القرء الذي هو الحيض يجمع على أقراء، لا على قروء، وحكوا ذلك عن ابن الأنباري (ت:٣٢٨)، وأيضاً فإنهم قالوا: إن الحيضة مؤنثة، والطهر مذكر، فلو كان القرء الذي يراد به الحيض لما ثبت في جمعه الهاء؛ لأن الهاء لا تثبت في جمع المؤنث فيما دون العشرة، وقالوا أيضاً: إن الاشتقاق يدل على ذلك؛ لأن القرء مشتق من قرأت الماء في الحوض؛ أي: جمعته، وزمان

= انظر: الأعلام (ص٣١٥ ـ ٣١٦).

(١) أتى القرء بمعنى الحيض في قول الشاعر:

يا ربّ مولى حاسد مباغض ... عليّ ذي ضغن وضبّ فارض
له قروء كقروء الحائض ... يرمي العزاز أي سيل فائض

يقول لعداوته أوقات تهيج فيها مثل وقت الحائض، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ١٨٥).

(٢) أتى القرء بمعنى: الطهر في قول الأعشى:

أفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة عزاً وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

ومعنى البيتين: أنت في كل عام متكلف على مشقة غزوة تورثك مالاً وهو الغنيمة، وتورثك رفعة في الحي وهو القبيلة، تشد أنت عزيمة صبرك لنهاية تلك الغزوة، وإنما تنال المال والرفعة لتضييعك أطهار نسائك في هذه المدة؛ أي: لامتناعك عن استيفاء حظك منهن مع القدرة، انظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية (ص٥٣).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (61,1)

اجتماع الدم هو زمان الطهر»[(١)].

إن عربية القرآن، يحتاجها كل مفسِّر في كل آية، وأما العلوم الأخرى فيحتاجها في موطن من مواطن الآيات، وليس في كل آية، فمثلاً: ليس لكل آية سبب نزول، ومن ثمَّ لا يتوقف معرفة المراد من الآية حتى نستقرئ ألها سبب نزول، أم لا؟، كذلك أيضاً لسنا بحاجة إلى الرجوع إلى كتب الفقه لمعرفة أقوال الفقهاء في حكم الآية إذا كانت ليست من آيات الأحكام، وليست كل آية يدخلها النسخ فنحتاج إليه في كل آية، وهكذا غيرها من علوم الآية، لكن هل تخلو آية من بحث عربي؟ الجواب: لا، وحينئذ يتعين معرفة قيام التفسير على العربية.

فإن قال قائل: هل يمكن أن تتعارض مصادر التفسير الأخرى أو علومه مع عربية القرآن؟

فمثلاً: أسباب النزول هل يمكن أن تُغاير عربية القرآن؟

والجواب عن هذا: أن سبب النزول يحدد أحد المدلولات العربية المرادة بالنص إذا احتمل أكثر من معنى عربي، ولا يمكن أن يكون هناك تناقض بين سبب النزول وعربية القرآن؛ لأن أسباب النزول أشبه بالأحوال، حيث إن الحال يبيِّن المقال.

ولو تأملت قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ثم قلت: ما المراد بالبيوت التي جاء ذكرها في الآية، فلفظ البيت في لغة العرب يأتي لعدة معان[(٢)]، لهذا فسَّره أبو عبيدة (ت: ٢١٠) بقوله: «أي اطلبوا البر من أهله ووجهه، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين»[(٣)]، وفسَّره بعضهم على «أن البيوت كناية عن النساء، ويكون المعنى: وأتوا النساء من حيث أمركم الله، والعرب تسمي المرأة بيتاً، قال الشاعر:

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/١٠٩).
(٢) انظر: تاج العروس (٤/٤٥٩ ـ ٤٦٠).
(٣) مجاز القرآن (١/٦٨).

Black plate (62,1)

مـا لـي إذا أنـزعـهـا صـأيـت أكـبـر غـيـرنـي أم بـيـت[١]

أراد بالبيت. المرأة»[٢].

فالمعنيان من جهة العربية صحيحان، لكن سبب النزول حدد المراد، وأنه ليس الذي سبق ذكره آنفاً؛ بل المراد: هي البيوت المسكونة[٣].

هذا مع مخالفة القول بأن المراد بها إتيان النساء للسياق[٤].

وهكذا لو أجرينا موازنة عربية القرآن بغيرها من العلوم المرتبطة بالقرآن من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها؛ لوجدنا أنها ليس بينها وبين العربية أي تعارض؛ بل إن هذه تحدد المدلول العربي المراد إذا احتمل تعدد المعاني.

إذا تقرر هذا، فقد عقد ابن فارس (ت: ٣٩٥)[٥] باباً في هذا الأمر، وعنون له بـ(باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية،

(١) زهر الأكم (١/ ٣٣٩).

(٢) أمالي المرتضى (ص٣٨٧).

(٣) للاستزادة، انظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم (ص١٢٤ ـ ١٢٦)، والتفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص٥١٦)، والمحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار (ص١٣٥).

(٤) هذا التفسير مخالف للسياق، فالسياق لا علاقة له بكيفية إتيان النساء، ولو حُملت الآية عليه لكان في النظم تفككاً ملحوظاً ينبو عنه نظم القرآن المعجز، إذ يكون المعنى: «يسألونك عن فائدة الأهلة لهم، قل هي مواقيت يوقتون بها عِدَدَهم من بلوغ الدين والإجارة وغيرها، ومواقيت للحج الذي هو من أركان الإسلام، وليس البر بأن تأتوا النساء من أدبارهن، ولكن البر من اتقى وأتاهن من قُبُلِهن»، انظر: التفسير اللغوي، مساعد الطيار (ص٥١٦)، والمحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار (ص١٣٥).

(٥) اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي نزيل همذان، وصاحب كتاب: المجمل، كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقه مالك مناظراً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣ ـ ١٠٧).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (63,1)

فقال: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسُّنَّة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ﷻ، وما في سُنَّة رسول الله ﷺ، من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب ـ لم يجد من العلم باللغة بُدّاً، ولسنا نقول: إن الذي يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب؛ لأن ذلك غير مقدور عليه، ولا يكون إلا لنبي، كما قلناه أولاً؛ بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن وجاءت السُّنَّة»[(١)(٢)].

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال أبو العالية (ت:٩٣) في تفسير قوله ـ ﷻ ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: «الحكمة» الفهم في القرآن، وقال قتادة (ت:١١٧): «الحكمة» القرآن والفقه فيه، وقال غيره: «الحكمة» تفسير القرآن، وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥])**.

في هذا الكلام وقفتان:

الوقفة الأولى: ما ذكره عن أبي العالية في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، هي أحد الأقوال، وكذلك الوارد عن قتادة (ت:١١٧)، أحد الأقوال في المراد بالحكمة[(٣)]، وإن كانت

(١) الصاحبي في فقه اللغة (ص٥٠).

(٢) إن هذه الجملة التي ذكرها المؤلف يمكن أن يشتق منها بحث فيما يتعلق بعلاقة علم العربية بالقرآن، وقد يتصور البعض أن هذا قد بحث، وليس كذلك، وحينئذ نحن بأمس الحاجة إلى معرفة منزلة علوم العربية من القرآن؟ وهل هناك تعارض بين علوم العربية وغيرها من أنواع المعلومات التي أيضاً تفسر القرآن مثل أسباب النزول أو الناسخ والمنسوخ وغيرها؟ كل هذا بحاجة إلى أن يضع الطالب رحله عنده، ويبسط القول فيه.

(٣) قال ابن جرير: «يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيراً كثيراً»، ثم ذكر ستة أقوال للمفسرين، هي: =

Black plate (64,1)

الحكمة أشمل وأعم من ذلك، لكن من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة واستطاع أن يتصرف في الأمور، والمراد من الحكمة: وضع الشيء في موضعه، ومن ثمَّ لا يلزم أن كل من أوتي القرآن حفظاً أن يكون أوتي الحكمة: لأنه قد يكون من تصرفاته ما يخالف ما يحفظه.

أما الوقفة الثانية: فهي منوطة بما ذكره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في جابر بن عبد الله: أنه كان يعرف تفسير معنى المعاد في آية القصص، وهذا الأثر فيه إشكال وفيه أيضاً شبهة سبئية، وعندي أن هذا الأثر فيه خلط، وقد يكون المراد بجابر هنا هو جابر الجعفي الرافضي (ت:١٢٨)[(١)]، ويستشهدون بهذه الآية على ما يعتقدونه في أئمتهم من كونهم يرجعون إلى هذه الحياة قبل يوم القيامة، وأول من استدل بهذه الآية على فكرة الرجعة[(٢)] هو عبد الله بن سبأ، وادعى أن عليّاً لم يمت، بل رُفِع كما رُفِع عيسى، وأنه سيرجع، وقد جاء التصريح بأن هذه الآية تدل على هذه العقيدة في تفسير القُمّي[(٣)]، فعن أبي جعفر أنه سئل عن جابر ـ جابر بن يزيد الجعفي ـ فقال:

= القرآن والفقه به، الإصابة في القول والفعل، العلم بالدين، الفهم، الخشية، النبوة، ثم قال بعد ذلك: «وإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهماً خاشياً لله فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه؛ لأن الأنبياء مسددون مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة»، تفسير ابن جرير (٥/ ٥٧٦ ـ ٥٧٩).

(١) جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، رافضي، قال ابن معين: لا يكتب حديث جابر الجعفي ولا كرامة، وقال زائدة: كان جابر الجعفي كذاباً يؤمن بالرجعة، وقال أبو حنيفة: ما لقيت أكذب من جابر الجعفي ما أتيته بشيء من رأيي إلا جاءني فيه بأثر وزعم أن عنده ثلاثين ألف حديث لم يظهرها، انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٥).

(٢) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٦/ ٦٧).

(٣) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، ثقة في الحديث عند الشيعة، وثبت، معتمد، صحيح المذهب سمع فأكثر، وكذا حاله عند الشيعة، فلا يكادون يختلفون في توثيقه، انظر: مقدمة تفسير القمي (١/ ٨).

Black plate (65,1)

«رحم الله جابراً بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، يعني: الرجعة»(١)، وهذا يصحح ما ذكرته من أن المراد جابرٌ الجعفي، والوارد المشهور عن السلف في هذه الآية قولان محتملان: **الأول**: رادُّك إلى مكة، **والثاني**: إلى القيامة، وعبَّر بعضهم عنها بالموت، وعبَّر آخرون رادك إلى الجنة، ومحصلتها بعثه بعد الموت يوم القيامة، وما يكون مآله ﷺ.

قول المؤلف: **(قال الشعبي: رحل مسروق (ت:٦٢) إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها)**، فيه بيان أن العلم لا يستطاع ما لم يكن في تحصيله بذل الوسع، وهذا الأثر وغيره يذكره العلماء في باب الرحلة في طلب العلم، وقد ألف الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣) كتاباً يبيِّن ما بذله أولئك الرجال من اجتياز الفيافي والقفار لطلب حديث، أو لتفسير آية كما فعل مسروق (ت:٦٢)، وهذا يدل على همته العالية التي حدت به إلى قطع هذه المسافات الشاسعة من أجل تفسير آية ذهب يبحث عمن يعلم تأويلها ولما رآه قد ذهب إلى الشام لحق به أيضاً حتى علم تأويل هذه الآية، ولم أقف على هذه الآية التي رحل من أجلها.

قول المؤلف: **(وقال إياس بن معاوية (ت:١٢٢): مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب، وقال ابن عباس: «الذي يقرأ ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذ الشعر)**، وقال مجاهد: «أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل»، وقال الحسن (ت:١١٠): «والله ما أنزل الله آية إلا أَحبَّ أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها».

(١) انظر: تفسير القمي (٢/ ١٤٧)، وذكره الحويزي من علمائهم، انظر: تفسير نور الثقلين (٤/ ١٤٤)، والشاهرودي في مستدرك سفينة البحار (٧/ ٤٦٧).

Black plate (66,1)

هذه الآثار التي أوردها مرتبطة بفهم القرآن، وعناية السلف بفهم معانيه، وعدم الاقتصار على تلاوته دون معرفة المراد من ذلكم المقروء، كما هو الحال اليوم لدى الكثير ممن ينتسبون إلى العلم الشرعي فضلاً عن غيرهم، فإن كان الإمام الذهبي (ت:٧٤٨) يقول: «قل من يعتني اليوم بالتفسير»[(١)]، فكيف لو رأى ما آل إليه الحال، من الزهد في هذا العلم، وقلة بضاعة الناس فيه.

لقد تقرر أن القرآن ما أُنزل إلا لتُتَدبر معانيه[(٢)]، ومن ثم يُعمل بما فيه، ذلك أن ما يتلوه إما أن يكون أمراً، أو نهياً، أو حديثاً عن التوحيد والثواب

(١) زغل العلم (ص٤٠).

(٢) قال ابن جرير: أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه ـ ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه؛ لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: «اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام» ـ إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به، فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل، كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه، لو أنشد قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم: «اعتبر بما فيها من الأمثال، وادكر بما فيها من المواعظ» ـ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم، فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق، فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر؛ بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: «اعتبر بها» إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً؛ وإلا بمعنى الأمر ـ لمن كان بذلك منه جاهلاً ـ أن يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبره بعد، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره، فإذ كان ذلك كذلك ـ وكان الله جلَّ ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله ـ كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلاً، وإذ لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، صح أنهم ـ بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آيه الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه، الذي قد قدمنا صفته آنفاً ـ عارفون، وإذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين ـ من كتاب الله وتنزيله ـ ما لم يحجب عن خلقه تأويله، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨٢ ـ ٨٣).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (67,1)

والعقاب، وكل هذا يستلزم منه أن يرعي لذلك سمعه، وأن يمعن النظر فيه، وأن تكون قراءته مع حضور قلب، لا أن يكون حاله كما ذكر ابن عباس كالأعرابي الذي يهذ الشعر، فالإسراع في القراءة مع طلب المعاني نقيضان لا يلتقيان، ويشهد لهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه لرجل قال له: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال ابن مسعود: «هَذّاً كَهَذِّ الشِّعْرِ، إن أقواماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فَرَسَخ فيه نفع»[(١)]، قال النووي (ت:٦٧٦): فيه النهي عن الهذ[(٢)]، وهو شدة الإسراع والإفراط في العجلة، والحث على الترتيل والتدبر، بخلاف الأقوام الذين ذكرهم ابن مسعود ممن ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم فيصل إلى قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب؛ بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب[(٣)].

قول المؤلف رحمه الله: **(وقال النبي ﷺ: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»)**، هذا الأثر غير ثابت عن النبي ﷺ كما هو مبيَّن في تخريجه، لكنه موقوف على أبي الدرداء وفيه انقطاع، ومراد أبي الدرداء من الوجوه، المحتملات الصحيحة للألفاظ القرآنية، فهو يبيِّن أن القرآن يحتمل أكثر من معنى صحيح، وحينئذ ليس الفقه أن تبحث عن الصحيح منها بدعوى أن الحق لا يتعدد كما صنع الفراهي (ت:١٣٤٩)[(٤)] صاحب نظام القرآن[(٥)]، فهو في كتابه «التكميل في أصول التأويل»[(٦)] وقع في أمر يباين ما

(١) متفق عليه.
(٢) النهي هنا محمول على الكراهة، انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٥٥).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٠٥)
(٤) عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي، المعروف بحميد الدين الفراهي، أحد العلماء المشهورين، ولد في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائتين وألف، من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، مات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف، انظر: نزهة الخواطر (٨/ ١٢٦٧).
(٥) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبوع.
(٦) قال بعد أن ذكر الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في التفسير: «وما علمت الدواء =

Black plate (68,1)

ذُكر عن أبي الدرداء، ذلك أنه يقرر أن الحق لا يتعدد، وأن الاختلاف الوارد عن المفسرين مشكل، وأن من حق المفسر المتأخر أن يبحث عن الحق في هذه الأقوال وأنه قول واحد، فهذا الأسلوب في التعامل مع أقوال المفسرين يخالف ما يذكره أبو الدرداء «وإنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً»، ففقهك أن تعرف الوجوه المحتملة للنص، ولا تستطيع أن تعرف الوجوه المحتملة للنص إلا إذا كنت تعرف علل التفسير، وعلل التفسير التي كان يعتني بها الطبري (ت: ٣١٠) ويكثر منها في تفسيره هي نفس الفقه، فإذا نظرت إلى قوله ﷻ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: ٦]، هل المسجور بمعنى: الموقد، أو المسجور بمعنى: المملوء، أو المسجور بمعنى: الفارغ، أو المسجور بمعنى: المحبوس؟ هذه أقوال تنوعت وتباينت في هذه الآية[(١)]، ومن ثَمَّ فإن الفقه أن تعرف علل هذه الأقوال، وأن ترى هل الآية تحتمل هذه الأقوال جميعها أو لا تحتمل، أما أن تحجر واسعاً، وتذهب إلى أن الآية لا تحتمل إلا معنى واحداً تختاره من هذه المعاني، وتراه صواباً، وأن ما سواه يضرب عنه صفحاً، فإن الخلاف سيدبُّ من جديد، وما نأيت عنه وقعت فيه، فقد لا يرتضي غيرك ما اخترته من تلكم الأقوال، وقد يأتي ثالث فيختلف معك ومعه، ويختار قولاً آخر، وهكذا دواليك، فما رويت غليلاً ولا شفيت عليلاً؛ بل إن الأمر الذي أنكرته وقعت فيه، فليس الفقه أن تبحث بهذا الأسلوب، وإنما أن تعلل لهذه الأقوال، وأن تكون عندك القدرة العلمية أن تقول: إن جميع هذه الأقوال محتملة، أو أن ترى واحداً منها هو المقدم بتعلل لتقديمه، ولا تطَّرح ما عداه إذا كان له وجه، فإن هذا هو الفقه الذي أشار إليه أبو الدرداء، والله أعلم.

= لهذا الداء العضال إلا التمسك بالقرآن ورد الروايات والآراء إلى كتاب الله، وهذا لا يكون إلا أن نؤمن بأن القرآن لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً، وقد قدمت القول في أن القرآن قطعي الدلالة، وليس لعبارته إلا مدلول واحد، فها أنا أذكر أصولاً بها يتضح سبيل التأويل الواحد»، انظر: التكميل في أصول التأويل (ص٣٠).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٨ ـ ٤٦١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (69,1)

ولا يعني هذا فتحت باب الاحتمال التفسيري على مصراعيه؛ بل الأمر يعود إلى ضوابط لا بدَّ لطالب علم التفسير أن يعرفها، وقد سبق التنبيه على ذلك[١].

قول المؤلف: (وقال الحسن (ت:١١٠): أهلكتهم العجمة، يقرأ أحدهم الآية فيعيى بوجوهها حتى يفتري على الله فيها، وكان ابن عباس يبدأ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث... إلخ).

هذا فيه تأكيد لما سبق ذكره عن أبي الدرداء آنفاً؛ فالحسن البصري لما ذُكر عنده ما قد يقع من اختلاف بين الصحابة في معنى آيةٍ ما، واعتراض بعض من بضاعته مزجاة في لغة العرب على ذلك، بيَّن أن هذه المحتملات التي ترد عنهم ليس ضرباً من الخطأ والتناقض كما ظنَّ بعضهم[٢]؛ بل هذا من النظر في سعة معاني كتاب الله، واحتماله للأقاويل الصحيحة؛ إذ كلامه ـ سبحانه ـ ليس ككلم الواحد من البشر الذي ينتهي قصده إلى مراد واحد، وإن احتمل عند غيره أكثر من مراد، أما كلام الله سبحانه، فهو كلام الخالق العليم الذي يورد من الكلام أوجزه، ومن الألفاظ ما تدل على أكثر من معنى لو أراد المتكلم أن يعبر عنها لاضطر إلى جمل متعددة أو ألفاظ متعاطفة للدلالة عنها.

وفكرة المعاني المتنوعة، كانت ظاهرة في طبقات السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ثم من جاء بعدهم، وقد نقل المروزي (ت:٢٩٤)[٣] نصّاً

---

(١) انظر: (ص٢٩) في قول الشيخ: تنبيه علمي.

(٢) كما زعم أبو حيان في مقدمة تفسيره، قال: «وقد جرينا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك. والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف، متباينة الأوصاف، متعارضة، ينقض بعضها بعضاً»، البحر المحيط في التفسير (١/ ١٣).

(٣) أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الحافظ، مولده ببغداد في سنة اثنتين ومائتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، ذكره الحاكم فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، توفي: سنة أربع وتسعين ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣ ـ ٣٩).

Black plate (70,1)

عزيزاً في هذا الصدد، قال: «وسمعت إسحاق (ت:٢٣٨)[١] يقول في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قد يمكن أن يكون تفسير الآية على أولي العلم[٢]، وعلى أمراء السرايا[٣]؛ لأن الآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه، وليس ذلك باختلاف.

وقد قال سفيان بن عيينة: ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صح القول في ذلك[٤]، وقال: أيكون شيء أظهر خلافاً في الظاهر من الخنس؟ قال عبد الله بن مسعود: هي بقر الوحش[٥]، وقال علي: هي النجوم[٦].

قال سفيان: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إنسيّاً خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إنسيّاً ظهرت، قال سفيان: فكل خنس.

قال إسحاق: وتصديق ذلك ما جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ في ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، يعني: أن بعضهم قال: الزكاة[٧]، وقال بعضهم: عارية المتاع[٨]، قال: وقال عكرمة: الماعون: أعلاه الزكاة، وعارية المتاع منه[٩].

قال إسحاق: وجهل قوم هذه المعاني؛ فإذا لم توافق الكلمة الكلمة

---

(١) سيد الحفاظ، أبو يعقوب، إسحاق بن راهويه التميمي ثم الحنظلي المروزي، نزيل نيسابور، مولده في سنة إحدى وستين ومائة، كان إماماً في التفسير، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨ ـ ٣٧٧).
(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٥٠٠).
(٣) المرجع السابق (٨/ ٤٩٧).
(٤) نعم صح عنه، رواه عنه تلميذه سعيد بن منصور، انظر: سنن سعيد بن منصور، كتاب التفسير (٥/ ٣١٢).
(٥) تفسير ابن جرير (٢٤/ ٢٥٢).
(٦) المرجع السابق.
(٧) المرجع السابق (٢٤/ ٦٣٥).
(٨) المرجع السابق (٢٤/ ٦٣٨).
(٩) تفسير الثعلبي (٥/ ٦٣١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (71,1)

قالوا: هذا اختلاف، وقد قال الحسن (ت:١١٠) ـ وذكر عنده الاختلاف في نحو ما وصفنا، فقال ـ: إنما أتي القوم من قبل العجمة»[(١)].

أما من نظر إلى اختلافهم على غير ذلك ـ فذهب يبحث وينقب طلباً لوجه واحد للآية فقط، وأن ما سواه لا يحتمله اللفظ ـ فهذا من العجمة في الفهم التي توقعه فيما فيه هلكته، إذ قد يرد الاحتمال الصحيح ويزعم أن اللفظ لا يحتمل إلا ما توصل إليه هو دون غيرها من الأقوال، ويكون ذلك بسبب عجمته.

وما ذكره عن ابن عباس ففيه تأكيد لكلام ابن عطية السابق، وهو التضلع من العلوم الشرعية، وفيه تخصيصه لعلم التفسير من بقية العلوم، وأنه كان علماً قائماً بذاته، وأنه من ضمن اهتمامات ابن عباس العلمية والتدريسية.

وأما سعة علم ابن عباس فمما ذكروا فيها قول بعضهم: «ما رأيت أحداً أعلم من ابن عباس بما سبقه، من حديث رسول الله ﷺ، وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولا أفقه منه، ولا أعلم بتفسير القرآن والعربية والشعر والحساب والفرائض منه، وكان يجلس يوماً للتأويل، ويوماً للفقه، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لأيام العرب، وما رأيت قطُّ عالماً جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلاً يسأله إلا أخذ عنه علماً»[(٢)].

ثم انتقل إلى علي بن أبي طالب، فذكر ذلك الأثر عنه، وقد نبَّه الإمام الشاطبي (ت:٧٩٥) في الموافقات على هذا المأخذ الموجود في عبارة علي رضي الله عنه، فقال: «تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي... وإذا كان كذلك؛ فالقرآن على اختصاره جامع، ولا يكون جامعاً إلا

(١) السُّنَّة للمروزي (ص٦ ـ ٧)، للاستزادة ـ انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص٣٠٨ ـ ٣١١)، التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص٥٩٩ ـ ٦٠٥)، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي (ص١٢٦ ـ ١٢٩)، فصول في أصول التفسير (٧٦ ـ ٧٩)، جميعها لمساعد الطيار.

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣١٧)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٤/ ٣٧٣).

Black plate (72,1)

والمجموع فيه أمور كليات؛ لأن الشريعة تمت بتمام نزوله لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣]»[(١)].

وقال: «القرآن فيه بيان كل شيء على ذلك الترتيب المتقدم؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، ولا يعوزه منها شيء...»[(٢)].

وقد بيَّن أنه ليس المراد أن تفاصيل ما يقع للإنسان موجود في القرآن، وإنما مقصوده أن القرآن يشتمل على كليات وهذه الكلية تحتها جزئيات كثيرة جدّاً.

وإليك بيان ذلك بالمثال، لو تأمل الإنسان قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وألقى نظرة إلى حياته اليومية من جانب أوسع، وعلم أن كل ما حصل له من التغيرات مندرج تحت هذه الآية، لساعده ذلك في تخطي كثير من المواقف التي قد لا يتجاوزها غيره ممن لم يفتش في خبايا نفسه وواقعه عن سبب ما يحصل له في هذه الحياة، فمن أراد أن يتطلع إلى تغيير ما حل به، عليه قبل ذلك معرفة هذا الأمر، وأن تفسير واقعه يتطلب منه تغيير ما أحدثه مما يخالف الشرع، ومن ثم سيصل إلى التغيير الذي ينشده ويطلبه، ويشيد به غيره.

فما من شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن الرجل يعجز عنه، يعجز عن الوصول إلى سبب المشكلة الحقيقي، مع أنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وهو أقرب منالاً من الاسترسال في الافتراض الذي أوقعه في المصائب والنكبات، فلو وضع ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ في كثير من مصائب الدنيا وتأمل، سيجد أنها بسبب ذنب قد أصبته، فإذا القرآن ذكر كليات ويدخل تحتها جزئيات كثيرة جدّاً وهذا هو مراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

نعم؛ قد لا يستطيع المرء أن يتوصل إلى سبب المشكلة الحقيقي لعدم

(١) الموافقات (٤/ ١٨١).
(٢) المرجع السابق (٤/ ١٨٤).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | [17x24] z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d

Black plate (73,1)

ظهور علائمه له، فينطبق عليه قول علي: «رأي الرجل يعجز عنه»، ففي الأولى لم يكلف نفسه للنظر في حاله، وفي هذه نظر وخفيت عليه معالم الربط بين الواقعة والآية، وحينئذ يأتي قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فيرجع إلى من مدحهم الله بالقدرة على الاستنباط، وبيان ارتباط هذه الجزئيات الموجودة بتلك الكليات؛ ولهذا لو منّ الله على أحد منا في هذا العصر بأن جاء إلى ركام المشاكل والآفات كلها وربطها بالقرآن لكان السبيل إلى ذلكم ميسوراً، لكن ليس لكل أحد؛ بل إلى ذلكم الراسخ في العلم المستنبِط الذي يستطيع أن يلملم أطراف ما يقع في الحياة ويربطها بالقرآن.

ولو أخذنا أي مشكلة تواجه المسلمين اليوم كمشكلة اليهود، فإن الإنسان لا يحتاج إلى كبير عناء أو كثير ذكاء لكي يستخرج العلاقة الوطيدة بين يهود اليوم بما وصف الله ﷻ به يهود الأمس، والذي كانوا قبل ذلك؛ كالذين عاصروا النَّبي ﷺ، والذين كانوا قبلهم؛ بل سيجد أنهم يتحاذون في الفعال حذو النعال، وأن ما وصموا به في الأمس، لم يجانبوه في اليوم.

وخلاصة القول: أن هذا المبحث لطيف موضوعه، عظيمة فائدته، حري بطالب العلم معرفته، ليشمر عن ساعد الجد في البحث عن تفسير الآيات، واستخراج المعاني، والوقوف على الإعراب، لكي ينأئ بنفسه عن العجمة التي تحدث عنها الحسن (ت:١١٠)، وما فتئ المؤلف من تكرارها في كتابه عند مروره ببعض الأقاويل الغريبة[١].

(١) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٥٣٥)، (٤/ ٢٦٦)، (٤/ ٣٢٠).

Black plate (74,1)

باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين

قال المؤلف: «روي عن عائشة أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من كتاب الله إلّا آياً بعدد علّمه إياهنّ جبريل»[(١)]، قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: ومعنى هذا الحديث: في مغيبات القرآن، وتفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به كوقت قيام الساعة ونحوه، ومنها ما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «**من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[(٢)]، قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: ومعنى هذا: أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه، دون

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، برقم (٤٥٢٨)، وابن جرير في تفسيره (١/ ٨٤)، وفيه: جعفر بن محمد الزبيري، كما صرح به ابن جرير، وإن كان أبو يعلى لم يسمه؛ بل قال فلان، وجعفر منكر الحديث، انظر: الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي (١/ ١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب تفسير القرآن، برقم (٢٩٥٢)، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم، انظر كلام الأئمة في سهيل: تهذيب الكمال (١٢/ ٢١٨)، ثم قال الترمذي: وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، أنهم شددوا في هذا، في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا، أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم، انظر: الجامع الكبير (٥/ ٥٠).

Black plate (75,1)

نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو، والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه، وكان جلة من السلف؛ كسعيد بن المسيب (ت:٩٤)، وعامر الشعبي (ت:١٠٣)، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم.

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، وتبعه العلماء عليه؛ كمجاهد، وسعيد بن جبير (ت:٩٤)، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب.

وقال ابن عباس: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب»[(١)]، وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه، وكان عبد الله بن مسعود يقول: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس»[(٢)]، وهو الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ فقّهه في الدين**»[(٣)]، وحسبك بهذه الدعوة، وقال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»[(٤)]، ويتلوه: عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم.

(١) كذا ذكره المؤلف من دون إسناد، وكذلك ذكر في بقية المصادر.

(٢) ذكره البيهقي في الدلائل معلقاً، وكذلك فعل غيره، ومنهم المؤلف، لكن شيخ الإسلام ذكر إسناد هذه الرواية، وأشار إلى صحتها، انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص٤١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، برقم (١٤٣).

(٤) كذا ذكره المؤلف من دون إسناد، وكذلك هو في بقية المصادر.

Black plate (76,1)

ومن المبرزين في التابعين: الحسن بن أبي الحسن (ت:١١٠)، ومجاهد (ت:١٠٤)، وسعيد بن جبير (ت:٩٤)، وعلقمة (ت:٦١)[١]، قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية[٢]، ويتلوهم: عكرمة، والضحاك بن مزاحم (ت:١٠٥)[٣]، وإن كان لم يلق ابن عباس[٤]، وإنما أخذ عن ابن جبير (ت:٩٤)، وأما السدي[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ فكان عامر الشعبي (ت:١٠٣) يطعن عليه وعلى أبي صالح[٦]؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر، ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف[٧]،

(١) فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، أبو شبل علقمة بن قيس النخعي، ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعُد صيته، مات سنة إحدى وستين، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣ ـ ٦١).

(٢) عن مجاهد، قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٩٠).

(٣) أبو محمد الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، مات سنة اثنتين ومائة، وقيل: خمس. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨ ـ ٦٠٠).

(٤) قال شعبة عن مشاش: قلت للضحاك. سمعت من ابن عباس؟ قال: لا، قلت: رأيته؟ قال: لا. تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (ص١٥٥)، قال ابن حبان: لم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم، انظر: الثقات (٦/ ٤٨٠).

(٥) المفسر إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة السدي، مر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر فقال: إنه ليفسر تفسير القوم، مات في سنة سبع وعشرين ومائة، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٦) باذام، ويقال: باذان حدَّث عن مولاته أم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وحدث عنه أبو قلابة، والأعمش وغيرهما، قال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير، قلَّ ما له من المسند، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧).

(٧) روي حديث في هذا المعنى، ولفظه: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين**»، وهذا الحديث قال فيه العراقي: «وقد روى هذا الحديث متصلاً من رواية جماعة من الصحابة على بن أبى طالب وابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر بن سمرة وأبي أُمامة وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء وليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور والله أعلم»، انظر: التقييد والايضاح (ص١٣٩).

Black plate (77,1)

وألف الناس فيه؛ كعبد الرزاق (ت: ٢١١)، والمفضل (ت:٢٩٠)[١]، وعلي بن أبي طلحة (ت:١٤٣)[٢]، والبخاري، وغيرهم.

ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع على الناس أشتات التفسير، وقرّب البعيد وشفى في الإسناد، ومن المبرزين في المتأخرين: أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١)[٣] وأبو علي الفارسي (ت:٣٧٧)[٤] فإن كلامهما منخول، وأما أبو بكر النقاش (ت:٣٥١)[٥]، وأبو جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨)[٦]، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سُننهما مكي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت:٤٣٧)، وأبو العباس المهدوي (ت:٤٣١) رحمه الله متقن التأليف، وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله، ونضّر وجوههم».

(١) المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب: لغوي، عالم بالأدب، كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل، من كتبه: ضياء القلوب في معاني القرآن، والزرع والنبات، وغاية الأرب، انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٧٩).

(٢) علي بن أبي طلحة الهاشمي، يكنى أبا الحسن، وقيل غير ذلك، أصله من الجزيرة وانتقل إلى حمص، روى عن ابن عباس الصحيفة المشهورة ولم يسمع منه، والكلام طويل عنها، وقد وقع الخلاف في هذا الراوي، أهو شخص واحد، أم أكثر، قال ابن حجر: والصواب أنه شخص واحد، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، انظر: المعجم في مشتبه أسامي المحدثين (ص٢٠١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، البصري، كان حسن الاعتقاد، وكان آخر ما سمع له وهو يحتضر أن يحشره الله مع أحمد بن حنبل، له كتاب معاني القرآن وإعرابه، انظر: إنباه الرواة (١/ ١٩٤ ـ ٢٠١).

(٤) إمام النحو أبو علي، الحسن بن أحمد الفارسي الفسوي، ومن تلامذته أبو الفتح ابن جني، ومصنفاته كثيرة نافعة، وكان فيه اعتزال، انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٥) العلامة المفسر، أبو بكر محمد بن الحسن، الموصلي ثم البغدادي النقاش، مؤلف: شفاء الصدور في التفسير، والإشارة في غريب القرآن، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦).

(٦) إمام العربية أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، المصري النحوي، صاحب التصانيف من كتبه: إعراب القرآن، تفسير أبيات سيبويه، الناسخ والمنسوخ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

Black plate (78,1)

الشَّرْح

لما تكلَّم المؤلف عن أهمية التفسير، وحاجة الناس إلى الجمع بين قراءة القرآن ومعرفة معانيه، انتقل إلى هذا الباب ليبيِّن أن الحاجة الأكيدة لمعرفة معاني القرآن لا تعني المسارعة إلى حمل ألفاظ القرآن الكريم على، أي: معنى من المعاني والتجاسر على ذلك مع الجهل بمصادر التفسير، وقلة البضاعة فيه، **فقال: (باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين، روي عن عائشة أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من كتاب الله إلّا آياً بعدد علّمه إياهنّ جبريل»، قال القاضي أبو محمد عبد الحق: ومعنى هذا الحديث: في مغيبات القرآن، وتفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به كوقت قيام الساعة ونحوه)**.

هذا العنوان الذي عنون به المؤلف مرتبط بصلب التفسير، ومن ثمَّ فإن كل ما سيذكره في هذا الباب له ارتباط بأصول التفسير، سواء الأحاديث التي تحث على عدم الجرأة على التفسير، أو ذكر طبقات المفسرين، أو غير ذلك مما تناوله في هذا الباب.

وقد سبق بيان المؤلف عن المقدمات التي سيتناولها في كتابه ـ قبل الولوج في تفسير الآيات ـ أنها تتفق مع كثير من المقدمات التي قدم بها غيره من المفسرين، وأنه سالك سنن من كانوا قبله في هذا العلم، وحينئذ سيجد القارئ شيئاً من الاتفاق في ذكر الآثار، ومن ذلكم أثر عائشة الذي افتتح حديثه به، وهذا الحديث مع ضعفه، إلا أن العلماء اجتهدوا في تأويله على فرض ثبوته، وأن المراد من ذلك هو الإخبار عن بعض مغيبات القرآن، وبيان ما أجمل منه، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعدد، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل، وهو: أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول ﷺ،

Black plate (79,1)

وذلك تفصيل جمل ما في آيه من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة ـ لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله ﷺ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن، من سائر حكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه إلى رسول الله ﷺ، فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ، ولا يعلمه رسول الله ﷺ إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رسله إليه، فذلك هو الآي التي كان رسول الله ﷺ يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهن لا شك آيٌ ذوات عدد.

ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جلَّ ثناؤه استأثر بعلم تأويله، فلم يطلع على علمه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بد للعباد من علم تأويله، فقد بيَّن لهم نبيَّهم ﷺ ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل، وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم فقال له جلَّ ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله ﷺ أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعدد ـ هو ما يسبق إليه أوهام أهل الغباء، من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، كان إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبيّن لهم ما أنزل إليهم.

وفي أمر الله جلَّ ثناؤه نبيّه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبيِّن للناس ما نزل إليهم، وقيام الحجة على أن النَّبيَّ ﷺ قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود بقيله: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن[1] ـ ما ينبئ عن جهل من ظن أو توهم أن معنى

(١) رواه ابن جرير موقوف على ابن مسعود وصححه كما في المتن، وهو كما قال، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨٠).

Black plate (80,1)

الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله ﷺ: أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعدد، هو أنه لم يكن يبيِّن لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه.

هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشة من العلة التي في إسناده، التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين؛ لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار»[(١)].

والمغيبات التي أشار إليها المؤلف يكتنفها جانبان، جانب التفسير لمفردات الآيات التي أخبرتنا عن الأمور الغيبية، وجانب وقوعها، وهذه القضية يشوبها شيء من الخلط عند البعض، لذا ننبه عليها لارتباطها بمفهوم التفسير والتأويل، فلو تأملت قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[(٢)] [الأعراف: ١٨٧]، وأردت معرفة الجانبين اللذين أشرتُ إليهما، فسيكون الأمر كالآتي:

الجانب الأول: متعلق ببيان معاني هذه الألفاظ، وسبيل ذلك ميسور ومعلوم، ولا يمكن أن يدعي أحدٌ أن هذه الألفاظ لا يمكن معرفة معانيها، وإلا وقع في مخالفة الواقع.

الجانب الثاني: متعلق بوقت قيام الساعة، وهذا لا علاقة له بالتفسير، بل هو مرتبط بأمر خارج عن بيان الألفاظ بخلاف الأول، فموعد قيام الساعة من المغيبات التي لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وتأويلها (أي: وقت وقوعها) موكول إلى الله.

فالجانب الأول هو الذي له أوفر الحظ والنصيب من عمل المفسر، أما

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٧ ـ ٨٩).

(٢) قال مقاتل بن سليمان: تفسير أرساها على وجهين: فوجه منها أرساها؛ يعني: أثبتها، فذلك قوله في النازعات: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢]؛ يعني: أثبت بها الأرضين؛ لئلا تزول بمن عليها؛ كقوله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]؛ يعني: ثابتات؛ كقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [قّ: ٧]؛ يعني: الجبال؛ لتثبت الأرضين، والوجه الثاني: مرساها؛ يعني: حينها، فذلك قوله في الأعراف: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [١٨٧]؛ يعني: متى حينها؟، انظر: الأشباه والنظائر (ص٢١٣).

Black plate (81,1)

الجانب الآخر، فلا علاقة له بالتفسير، إذ التفسير مقصور على بيان المعنى فقط.

كذلك لو أتينا إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، فالجانب الأول الذي يتعلق ببيان الألفاظ مدرك، وهو التفسير، لكن الجانب الاخر خارج عن التفسير، فلو جاءَ جاءٍ ليتكلم عن هذه الدابة، فيتعدى اللفظ إلى الدخول في صفتها، ونوعها، وأي لون كساها، وغير تلك الأمور التي لا تدرك إلا برؤيتها، أو رؤية مثلها، أو بخبر صادق عنها، لدخل فيما لا يعلمه إلا الله، وهو مما تتعذر معرفة كنهه، فلم يرد عن صفتها أي شيء، وهي لم تُرَ إلى حدِّ الآن، وليست أكثر من دابة حتى يكون لها مثل[(١)]، فالمقدار الذي وصلنا من النص من خلال القرآن مجمل، فهي دابة، ومن ثمَّ نعرف أنها حيوان يدب على الأرض، وليس في الحديث إشارة إلى بعض أوصاف الدابة، وإن وجد فإنا نأخذ بما ثبت، وما عدا ذلك من الأوصاف لا نستطيع أن نعلمه كما أسلفنا، وحينئذ تبقى هذه الأمور متعلقة بالجانب الثاني وهو غيبٌ، أما الجانب الأول فهو متعلق ببيان معنى الألفاظ فقط، وهو أمر مدرك من جهة اللغة.

وإذا ورد في بعض المغيبات تفسير نبوي يبيِّن لنا الجزء غير المدرك؛ كتفسير قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ففي لفظ: ﴿أَحْيَآءٌ﴾ بيَّن النبي ﷺ كيفية هذه الحياة[(٢)]، وصار هذا تفسيراً لهذه الحياة يجب أن يصار إليه، لكن لو لم يبينّه

(١) وقع خلاف طويل في هذه الدابة، وماهيتها، وشكلها، وهو خلاف لا زمام له ولا خطام، قال أبو حيان: «واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً، ويكذب بعضه بعضاً، فاطرحنا ذكره؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله، انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٢) جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأُحد**، =

Black plate (82,1)

لنا لبقينا على معنى الحياة التي هي معلومة من كلام العرب.

ومن هذا التقرير يلزمنا أن نَفْصِل بين ما هو من التفسير، وما ليس كذلك، فبيان معاني الألفاظ من التفسير، بينما الكيفيات، وأوقات وقوع المغيبات خارج عن ذلك.

قول المؤلف: **(ومنها ما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض)**.

أشار إلى جانب قد يدركه العقل، لكنه مبني على السياق والألفاظ، فلو رجع الإنسان إلى عدد النفخات في الصور، أهي ثلاث أم اثنتان؟ هذه مسألة وقع الخلاف فيها، وهي قضية غيبية، وقد أجمعوا على أن هناك نفختين، واختلفوا في الثالثة، وهذا الاختلاف في هذه القضية الغيبية وُجِدَ ما يبرره من إشارات في النصوص على إثبات النفخة الثالثة.

لكن كيف تكون، وكيف هو البوق الذي يحمله إسرافيل، كل هذا من الغيب الذي لا يدرك الآن، وليس من التفسير.

و كذلك خلق السماء والأرض، فالخلاف قائم في أي منهما خلق قبل الآخر، فهي وإن كانت قضية غيبية إلا أنه ورد من النصوص ما يجعل بعض العلماء يقولون بهذا، ويجعل آخرين يقولون بالقول الثاني، والقصد من هذا أن بعض الغيبيات يمكن أن يدخل العقل في بيان شيء منها، لكن على حسب ما يعطيه اللفظ القرآني؛ لأنه **قد يقول قائل**: قضية النفخات غيبية، فلماذا يعد خلاف بين العلماء ما دام أنها كذلك؟ **والجواب**: أن هذا الخلاف آيل إلى احتمال النص.

إذا كان ذلك كذلك، فإن هذا جانب من الغيبيات يجوز أن نتكلم عنه،

= **جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش»**، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد، برقم (٢٤٤٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

Black plate (83,1)

لكنه لا يؤثر على فهم المعنى، فعدد النفخات لا يترتب عليه معرفة معنى النفخ، وكذلك هل بدأ بخلق السماوات أم الأرض؟ غير مؤثر في معنى الخلق لكلتيهما.

قول المؤلف: (ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)، انتقل للحديث عن التفسير بالرأي، واستشهد بالحديث الذي سبق بيان عدم ثبوته، لكن دلالته معمول بها عند أهل العلم، وعلى هذا جرى أهل العلم، فلو توصل الإنسان إلى المعنى الصحيح للآية ولكن لم تكن لديه الآلة الصحيحة التي من خلالها يعلم صحة قوله من عدمه، فإن فعله غير مقبول، فصحة النتائج لا تستلزم صحة الوسائل.

ويماثل ذلك العمل من يقومون بترجمة القرآن ترجمة يكون فيها تحريف، ويثبتون في هذه الترجمة ما الدين الإسلامي منزه عنها، وينفون عنه أموراً دعا إليها، فالوسيلة ـ وهي الترجمة المحرفة ـ باطلة، لكن قد يظهر من النتائج أن يهتدي بما فيها من الحق مهتدٍ، وذلك أنه قد يترتب على تلكم الترجمة أن تدفع بعض الناس للبحث والتنقيب، فيعرفون الحق، ومن ثَمَّ يقبلون عليه، أو أنهم قد يحرفون بعض الحق لا كله، فتقع الأعين على الجانب الذي لم يطاله التحريف، فتكون النتائج على غير ما تدعو له هذه الترجمة المحرفة، فهل يعني هذا جواز هذه الوسيلة ما دام أن بعض النتائج كانت مرضية؟

لا شك أن العاقل لا يصحح هذا المسلك المنحرف في الترجمة، من أجل بعض النتائج المرضية، وكذلك الحال فيمن يفسر القرآن برأيه المجرد فيصيب المعنى الصحيح، فإصابته لا تعني أن طريقته صحيحة.

كما أنه لو كان عنده شيء من العلم الذي لا يكفي لتفسير القرآن، كالفقه، والنحو، واللغة، فهو غير خارج عن النهي عن ذلك، لعدم اكتمال أهليته للتفسير؛ إذ النحوي لا يمكنه أن يصل إلى المعاني من خلال النحو، والفقيه لا يمكنه الوصول إليها من خلال الفقه، وهكذا.

أما إذا تكلم في حدود معلومِه، فلا إشكال في ذلك، مع ملاحظة أنه قد

Black plate (84,1)

يقع في الخطأ في مادة علمه التي هو متقن لها، إذا فتح باب الاحتمال أو خرج بالآيات عن سياقها أو غير ذلك.

ولذا ـ مثلاً ـ أنكر بعض أهل العلم على الذين يعربون كتاب الله بالشواذ من المسائل النحوية[(١)]، قال ابن القيم (ت:٧٥١): «لا يجوز أن يحمل كلام الله ﷻ ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا المقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره»[(٢)].

وقال أبو حيان (ت:٧٤٥): «وأجاز المهدوي وابن عطية وأبو البقاء أن تكون ﴿أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١] في موضع نصب بدلاً من ما؛ أي: وصله، والتقدير: ويقطعون وصل ما أمر الله به.

وأجاز المهدوي وابن عطية أن تكون في موضع نصب مفعولاً من أجله.

وقدَّره المهدوي: كراهية أن يوصل، فيكون الحامل على القطع لما أمر الله كراهية أن يوصل.

وحكى أبو البقاء وجه المفعول من أجله، وقدَّره: لئلا.

وأجاز أبو البقاء أن يكون ﴿أَن يُوصَلَ﴾ في موضع رفع؛ أي: هو أن يوصل.

وهذه الأعاريب كلها ضعيفة، ولولا شهرة قائلها لضربت عن ذكرها صفحاً.

والأول الذي اخترناه[(٣)] هو الذي ينبغي أن يحمل عليه كلام الله، وسواه

(١) للاستزادة، انظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم، لمساعد الطيار (ص٣٦ ـ ٥٣).
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٧).
(٣) قال: «وأن يوصل في موضع جر بدل من الضمير في به تقديره به وصله؛ أي: =

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (85,1)

من الأعاريب، بعيد عن فصيح الكلام؛ بله أفصح الكلام، وهو كلام الله»[(١)].

كل هذا يؤكد أن هذه العلوم لا تستقل بفهم الكتاب، أما النحو فلما سبق بيانه، وأما اللغة فقد سبق الكلام عن معنى البيوت في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وكذلك لو سألت لغويّاً عن معنى النسيء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، سيقول: النسيء مأخوذ من مادة نسأ، ونسأ بمعنى: أخّر، إذاً إنما التأخير زيادة في الكفر، فهل أغنته اللغة في الوصول إلى المراد؟ أم إنه مفتقر إلى قصة الآية لمعرفة المراد بالتأخير هنا، وأنه النسيء في الأشهر الحرم.

أورد سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧) بسنده عن أبي وائل، في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، قال: «كان الناسئ رجلاً من كنانة، وكان ذا رأي فيهم، وكان يجعل المحرم سنة صفراً فيغزو فيه فيصيب فيه، وسنة يحرمه فلا يغزو فيه، وهو قوله ﷻ: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧]»[(٢)].

قول المؤلف: (وكان جلة من السلف؛ كسعيد بن المسيب (ت: ٩٤)، وعامر الشعبي (ت: ١٠٣)، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك[(٣)]).

أبان ابن عطية عن مسلكين كانا في طبقة علماء التابعين:

الأول: من تورَّع عن القول في التفسير، أو قلَّ عنه القول فيه، أو ندر،

= ما أمرهم الله بوصله»، البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٠٧).

(١) المرجع السابق.

(٢) التفسير من سنن سعيد بن منصور (٥/ ٢٥٠).

(٣) لعل المعنى: تركوا لهم بقية من العلم، ولو ذهبوا مذهب الذين توقفوا تورعاً لما وصلنا من علم هذا الكتاب الكثير، والله أعلم.

Black plate (86,1)

وهؤلاء بعض علماء المدينة ـ خاصة الفقهاء منهم[(١)] ـ غلب عليهم عدم القول في التفسير، وكذلك بعض علماء الكوفة من التابعين من تلاميذ ابن مسعود وجدوا حرجاً في أنفسهم من القول في التفسير، حتى قال مسروق (ت: ٦٢): «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله»[(٢)]؛ لأن إقحام المرء نفسه في ذكر معنى من المعاني هو ناطق بلسان الحال لا المقال أن هذا المعنى هو ما أراده الله، وقد يجتمع الحال والمقال، وحينئذ نعلم أن القول في التفسير ليس بيسير؛ بل كما أنه شرف لمن وفقه الله لذلك، هو خطير لمن تجاسر على القول فيه من غير أن تكون لديه أثارة من علم تؤيد صحة رأيه فيه.

وكل مفسر أو مستنبط من آية من الآيات، يربطها بحدث من الأحداث الكونية أو الحياتية اليوم، يجب أن يضع نصب عينيه أنه ممن يقول برأيه، وأنه يتعين عليه الاحتياط والاحتراز عند قوله: إن هذا المعنى يدخل في هذه الآية؛

---

(١) الفقهاء السبعة: ستة منهم متفق عليهم، وواحد مختلف فيه، والمتفق عليهم: سعيد بن المسيب، وخارجة بن زيد، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، والسابع فيه ثلاثة أقوال: قيل: أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وقيل: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيل: أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف، هؤلاء الثلاثة مختلف في عدهم في الفقهاء السبعة، قال العراقي:

وفي الكبَار الفقهاءُ السَّبْعَةُ ... خَارجَةُ القاسمُ ثمَّ عُروةُ
ثمَّ سُليمانُ عُبيدُ اللهِ ... سعيدُ والسَّابعُ ذُو اشْتبَاهِ
إمَّا أبو سَلَمَة أو سَالمُ ... أوْ فَأبو بكر خلافٌ قائمُ

انظر: ألفية العراقي (ص١٦٧)، ومنهم من لم يذكر خلافاً في السابع كابن القيم، وجعله أبا بكر، وذكر نظماً فيهم لبعضهم وهو:

إذَا قيلَ مَنْ في العلْم سَبْعَةُ أبْحُرٍ ... رِوَايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنْ الْعِلْم خَارِجَهْ
فقُل هُم عُبيد اللَّه عُروة قاسمٌ ... سَعِيدٌ أَبُو بَكْرٍ سُلَيْمَانُ خَارِجَهْ

انظر: إعلام الموقعين (١/ ١٩)، ويروى البيت الأول هكذا:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجة

ومكان: فقل هم، فخذهم، وجمعهم بعضهم أيضاً بهذه الحروف السبعة: عينان وسينان وألفان وخاء، انظر: رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (٤/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن بسند صحيح.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (87,1)

لأن المسألة ليست يسيرة بل عظيمة جدّاً، ولا يعني هذا أننا نقول بإقفال باب التفسير، فقد سبق الكلام عما يدل على أن القرآن كلية الشريعة عند أثر علي، وأن المفسر يستطيع أن ينزل آيات قرآنية كثيرة على ما هو كائن في هذا العصر، لكن المراد هنا هو التنبيه على التجاسر في التفسير، والدخول فيه على غير بصيرة، والصواب في هذا أن كل من تحدثه نفسه بربط الأحداث بالقرآن، فعليه الإقبال على تعلم أصول التفسير، والاستزادة منه، ومطالعة تفاسير السلف، وكيف كانوا يتعاملون مع كلام الله عند إرادتهم بيان معانيه، وضبط القواعد، ومعرفة الأصول، ومن ثم فلا مانع من الولوج في هذا المضمار، وذكر المعنى الذي توصل إليه مع مراعاة الضوابط عند ذكره لذلكم المعنى[(١)]، أما أن يفني المرء عمره في علم لا علاقة له بالتفسير، فيعيش للكيمياء أو الفيزياء أو الطب طيلة عمره، ثم في عشية وضحاها أتاه آتٍ يخبره أنه أصبح مفسراً لا يشق له غبار، وليس بينه وبين ذلك سوى أخذ المحبرة لتدوين ما فتح عليه مما غاب عن المسلمين عصوراً، وجهلوه دهوراً فهذا مما لا يُرتضى، وليس بالنهج المحمود[(٢)].

إن المتأمل لحياة العلماء الذين شهد لهم القاصي والداني بطول الباع فيه يجد أنه ربما توقف بعضهم عن آية، فتراه يرجح الإحجام على الإقدام، ويختار التوقف على الجرأة، وخير مثال لهذا المقال من المتأخرين الشيخ السعدي (ت:١٣٧٦)، الذي ألَّف كتاباً كاملاً في التفسير وسار فيه على سنن المفسرين، ومع ذلك كان يتوقف عند آية، ويبيِّن أنها آية مشكلة عنده، ويجتهد في بيانها قدر وُسعه وعلمه، قال: «. . . الذي من جملة ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١]، قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(١) لمعرفة ضوابط قبول التفسير المعاصر، انظر: بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير لمساعد الطيار (ص٣١٠ ـ ٣٢٤).

(٢) للاستزادة، انظر: علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، لمساعد الطيار (ص٤٢٦ ـ ٤٣٢)، بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير، لمساعد الطيار (ص٣٦١ ـ ٤٠٠).

Black plate (88,1)

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ أي: للموجودين من بعدهم ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: من مثل ذلك الفلك؛ أي: جنسه ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس: ٤٢] به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن؛ لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير...»[(١)]، بينما بعض هؤلاء الذين يتعاطون التفسير اليوم؛ تراهم بين الفينة والأخرى يتكلمون في تفسير الآيات، ولا تكاد تجد لأحدهم يوماً من الأيام توقفاً في بعض الآيات، أو ذكر احتمالات والتوقف في الراجح منها، وإنما تجد الجزم الصارم في أن هذا هو المعنى المراد، ومن ثَمَّ فهو مراد الله، ولو تأملت الحجج التي يسوقها لذلكم الزعم لوجدت أن حجته داحضة، وأدلته واهية.

لا شك أن هذا مخالف للورع الذي كان عند السلف، ومن ثمَّ فإننا مطالَبون بإلحاح بالتحلي بما كان عليه السلف من التحرج عن القول بغير حجة، والتخلي عن مسلك المتجاسرين على التفسير.

المسلك الثاني عند بعض مفسري التابعين: متمثل فيمن تكلموا في التفسير، وبعُد صيتهم، وشاع ذكرهم فيه؛ كزيد بن أسلم المدني، ومجاهد بن جبر المكي (ت:١٠٤)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت:١٠٥)، والحسن البصري (ت:١١٠)، وإبراهيم النخعي الكوفي. وغيرهم كثير.

ولهذا كان التابعون المعروفون بالقول في التفسير أكثر من المتوقفين، ويمكن القول بأن التابعين كانوا في هذا الأمر ثلاث طبقات:

الأولى: طبقة لا تكاد تجد لهم أقوالاً في التفسير عدا ما قد يرد عنهم في بعض أحكام القرآن، وهؤلاء تورعوا عن القول بالتفسير بالكلية؛ كأغلب الفقهاء السبعة في المدينة النبوية.

الثانية: طبقة ذُكِروا في المتورعين، لكن وردت عنهم أقوال قليلة، وهذا يُحمل على أنهم كانوا لا يتكلمون إلا بما بلغهم، ولا يجتهدون فيما لم

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (ص٦٩٦).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (89,1)

يبلغهم، حتى لو كان معروفاً، ومنهم: سعيد بن المسيب، وهو أحد الفقهاء السبعة، فقد وردت عنه روايات تدل على تحرُّزه من القول بالتفسير، فقد روى الطبري بسنده عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: «أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً»[١].

وروى بسنده عن عمرو بن مرة، قال: «سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: «لا تسألني عن آية، من القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه» يعني: عكرمة»[٢].

وروى الطبري بسنده عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب «أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن»[٣].

وهذا النقل الأخير عن سعيد بن المسيب، مع ما ورد من روايات تفسيرية عنه[٤] تدل على أنه كان لا يجتهد من خاصة نفسه؛ بل يقول ما سمعه من أشياخه، أو ما كان ظاهر المعنى، والله أعلم.

الثالثة: طبقة تكلموا في التفسير، وأكثروا فيه، وكان لهم القدح المعلى فيه، وهؤلاء كثير، ومنهم ـ غير من سبق ذكرهم ـ قتادة وأبو العالية والسدي ووهب بن منبه والربيع بن أنس وغيرهم.

قول المؤلف: (فأما صدر المفسرين، والمؤيد فيهم: فعلي بن أبي طالب، ويتلوه عبد الله بن العباس، وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، وتبعه العلماء عليه؛ كمجاهد، وسعيد بن جبير (ت: ٩٤)، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب، وقال ابن عباس: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب»، وكان علي بن أبي طالب يثني على

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٥).
(٢) المرجع السابق (١/ ٨٧).
(٣) المرجع السابق (١/ ٨٦).
(٤) لمعرفة بعض آراء سعيد في التفسير، انظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٤٠٨)، (٤/ ٤٥٦)، (٥/ ١٩٩)، (١١/ ٦٨)، كذلك انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٩)، وقد جُمع تفسيره في رسائل جامعية.

Black plate (90,1)

تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه، وكان عبد الله بن مسعود يقول: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس»، وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ فقِّهه في الدين» وحسبك بهذه الدعوة، وقال عنه علي بن أبي طالب: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»...).

شرع المؤلف في الحديث عن طبقات المفسرين، فذكر في طبقة الصحابة علي بن أبي طالب، وهو من أكثر الخلفاء تفسيراً، ولا يستريب عاقل في علم الخلفاء الأربعة بالقرآن، لكن كلامهم في التفسير كان ما بين مُقِلٍّ ومُكثر، فإذا طُلب من أحدهم بيان آية، ذكرها وفسرها، وقد يكون مبادراً ببيان الآية إما لتعليم الناس تأويلها الصحيح لخلطٍ وقع في فهمها(١)، وإما لبيان المراد من هذه الآية، وغير ذلك، فالصِّدِّيق أعلم الأمة بعد النبي ﷺ، وهو الذي لما جاءت مشكلة الكلالة، قام في الناس خطيباً، وقال «رأيت في الكلالة رأياً، فإن يك صواباً فمن عند الله، وإن يك خطأ فمن قبلي، والشيطان، الكلالة ما عدا الولد والوالد»(٢)، فهو أعلم الأمة بعد النبي ﷺ، ومع ذلك لم ينقل عنه

(١) عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»، أخرجه الترمذي في السنن بسند صحيح، أبواب الفتن، برقم (٢١٦٨)، والمعنى أي: أنكم تجرونها على عمومها، وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً، وليس كذلك، فليست الآية مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به، فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإذا كان كذلك فما كلف به الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب، فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٢٢)، عون المعبود (١١/ ٣٢٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفرائض، برقم (٣١٦٠٠)، ورجاله ثقات، غير أنه معل بالانقطاع، وكذلك ابن جرير في تفسيره (٨/ ٥٣)، وهو معلول أيضاً بالانقطاع.

Black plate (91,1)

في التفسير الشيء الكثير، وقد يكون من أسباب ذلك: تقدم وفاته، وانشغاله بالخلافة وإمامة المسلمين.

أما عمر بن الخطاب فقد بقي ردحاً من الزمن، وكان معلماً، وكان له مجلس خاص بصغار الصحابة كابن عباس وغيره، وكانوا يقرؤون القرآن، وكان له مجلس مع أصحاب بدر، وكان يدخل معهم ابن عباس، وربما تعرض في هذا المجلس لتفسير بعض الآيات، مثل قصة سؤاله الصحابة عن سورة النصر(١)، أو قد يرد على تأويل خاطئ، ويدعو غيره للرد كذلك(٢)، ثم يقر ما يراه صواباً، وقد

(١) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم»، أخرجه البخاري، كتاب المغازي، برقم (٤٢٩٤).

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أتي برجل من المهاجرين الأولين وقد كان شرب فأمر به أن يجلد، فقال: لم تجلدني بيني وبينك كتاب الله عز وجل، فقال عمر رضي الله عنه: في أي كتاب الله تجد أني لا أجلدك؟ فقال: إن الله ـ تعالى ـ يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية [المائدة: ٩٣] فأنا من الذين ﴿وَءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً، والحديبية، والخندق، والمشاهد، فقال عمر رضي الله عنه: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين، وحجة على الباقين لأن الله عز وجل، يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾ [المائدة: ٩٣]، فإن الله عز وجل قد نهى أن يشرب الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: صدقت»، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الحدود، برقم (٨١٣٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

Black plate (92,1)

ينهى بالقول وبالفعل عن تتبع المتشابهات في القرآن[١]، وقد يجيب عن أسئلة تتعلق بالتفسير[٢]، وكل هذا يؤكد رسوخه في التفسير، وعظيم بضاعته فيه.

أما عثمان فمع طول فترته لم يشتهر عنه أنه كان من المفسرين، وإنما كان كثير القراءة للقرآن والوارد عنه في التفسير قليل جدّاً، لكن لا يعني هذا أنه كان لا يعرف معاني القرآن، لكن لم يرد عندنا من خلال الآثار ما يدل أنه كان يتعرض لتفسير القرآن.

وأما علي بن أبي طالب فكان عالماً بالقرآن؛ بل وقف خطيباً في مسجد أهل الكوفة وقال: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل»[٣].

بل كانت بعض المشتبهات التي كان صبيغ بن عسل يسأل عنها تعنُّتاً لا تفهُّماً، جاء من يسأل عنها في وقت عليٍّ ﷺ، وكان عليٌّ يجيب عنها، ومنها أسئلة عبد الله بن الكواء له[٤].

---

(١) عن سليمان بن يسار: «أن رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر ﷺ، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي»، رواه الدارمي في السنن، برقم (١٤٦)، والحديث وإن كان معلولاً بالانقطاع، إلا أنه قد جاء من طرق أخرى متصلة وغير متصلة، فيرقى إلى الحسن.

(٢) عن ابن عباس ﷺ قال: «كنت أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنة، فلم أجد له موضعاً حتى خرجت معه حاجاً، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس: فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة، وحفصة»، أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم (٤٩١٥).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، برقم (٧٢٦)، وسنده صحيح.

(٤) تصلح هذه الأسئلة أن تُجمع، ويُعمل عليها دراسة، ولو تمت موازنتها بأسئلة صبيغ لكان حسناً.

Black plate (93,1)

ومن أمثلة ذلك: ما رواه الطبري بسنده عن أبي الصهباء البكري، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال وهو على المنبر: «لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته، فقام ابن الكواء، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغ عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال علي: الرياح»[(١)].

وعلمه ﷺ بالتفسير معلوم ومشهور، والآثار الواردة عنه أكثر من الآثار الواردة عن عمر، وهي لا شك أكثر من الآثار الواردة عن أبي بكر وعثمان، ولهذا جعله المؤلف صدر المفسرين، ولكن لا يعني قلة الوارد عن عمر مع تصديه له أنه لم يكن في التفسير كعلي؛ بل إن عدم النقل لا يستلزم نقل العدم، وعدم الوجدان ليس نفياً للوجود.

❍ المفسر ابن عباس:

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى ابن عباس الذي يعتبر المكثر من الصحابة في التفسير، نظراً لطول فترة زمانه، وكذلك كان تخصصه لما دعا له رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ فقّهه في الدين، وعلمه التأويل**»[(٢)]، وفي لفظ: «**اللَّهُمَّ علّمه الكتاب**»[(٣)]، ولهذا **قال المؤلف**: **(وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، وتبعه العلماء عليه؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما)**.

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٢) سبق تخريج أول اللفظ، وأما اللفظ الثاني: رواه أحمد في المسند، بني هاشم، برقم (٢٣٩٧) بسند صحيح. هذا، وقد أخرج الطبري بسنده روايات هذا الحديث في مصنفه البارع تهذيب الآثار، ثم ذكر بأسانيده ثناء علماء الصحابة والتابعين على ابن عباس، ثم شرح ما ورد في هذا الحديث، وفي الآثار التي ساقها، ولو كراهية الإطالة لنقلت كلامه هنا كاملاً. تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، برقم (٧٥)، قال الزركشي: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن، فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس؛ لأن النبي ﷺ بشره بذلك، حيث قال: «**اللَّهُمَّ علمه التأويل**»، انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٢).

Black plate (94,1)

ولو تأملنا حياة ابن عباس منذ صغره، نجد أنه قد بذل نفسه للعلم، وبرزت الرغبة لديه في الإقبال على ذلك، بدءاً بالحرص على طلبه من معلم البشرية، وخير البرية ﷺ، فلما التحق بالرفيق الأعلى، جَدَّ ابن عباس في طلب ذلك من الصحابة، يروي ذلك فيقول: «لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل[(١)]، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك»[(٢)].

لمّا كان من ابن عباس ذلك الحرص، عرف الصحابة له فضلة[(٣)]، ومكانته الشريفة، ومرتبته المنيفة في العلم، فكان مقدماً عند عمر بن الخطاب وعثمان وعلي، وكان أهلاً للشورى عندهم، وقد قلّده ابن عمه عليُّ بن أبي طالب إمارة البصرة، وإمارة الحج[(٤)]، وفيها جاء عن بعضهم[(٥)] قوله: «خطبنا ابن عباس ـ وهو على الموسم ـ فقرأ سورة البقرة، فجعل يفسر ويقرأ، فما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، إني أقول: لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت»[(٦)]، ثم لما توفي علي، صار المقدم في التفسير، وكان المرجع

(١) أي: نائم وقت القيلولة.
(٢) رواه الدارمي في السنن، برقم (٥٩٠)، وسنده صحيح.
(٣) قال طاوس: رأيت سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تداءوا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس، رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣١٦)، وفيه ليث بن أبي سليم.
(٤) روى الطبري بسنده عن عبد الله بن سيف، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «من استعمل على الموسم؟» قالوا: ابن عباس، فقالت: «هو أعلم الناس بالحج»، تهذيب الآثار، مسند ابن عباس (١/ ١٧٥).
(٥) شقيق بن سلمة الأسدي.
(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، برقم (٧٣١)، وسنده صحيح.

Black plate (95,1)

الأكبر في التفسير من عام أربعين إلى سنة وفاته، ولهذا كان أغلب التابعين صدروا في التفسير عن ابن عباس سواءً كانوا من أهل مكة، أو من الواردين إلى مكة أو ممن التقوا به في البصرة كما هو معروف في تاريخ هذا العلم.

ولهذا كان المحفوظ عنه في التفسير أكثر من غيره من الصحابة، ولما كان المؤلف يرى أن المقدم في التفسير عليُّ بن أبي طالب، قال عن ابن عباس: «والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب»[(١)].

وقد شهد بعلمه كثير من الصحابة، وقد ذكر المؤلف من أقوالهم فيه قول ابن مسعود: «نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس»، ومما ورد فيه كذلك قول ابن عمر (ت: ٧٣): «هو أعلم من بقيّ بما أنزل الله على محمد ﷺ»[(٢)].

ولم أقف على ما أورده المؤلف عن عليٍّ أنه كان يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه، ولا على قول ابن عباس: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب»، فابن عباس أخذ عن جملة من الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب الذي لازمه طيلة خلافته، وكان مقرباً منه.

وإن ثبت ذلك فلعله من المبالغة في الثناء على ابن عمه، وهو أهل للثناء، وقال عنه علي بن أبي طالب: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»[(٣)].

وورد في خبر عن أبي عبيد القاسم بن سلام بيان سبب هذه العبارة، قال الذهبي: «روى أبو عبيد القاسم بن سلام، عمن حدثه، عن أبي سنان العجلي

(١) المحفوظ عن ابن مسعود أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب، ولعل المؤلف صدَّر بعليٍّ لجلالته.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٨٩).
(٣) روى هذه العبارة الدينوري في المجالسة بسند ضعيف، قال: «حدثنا أحمد، نا أبو سعيد السكري، نا محمد بن الحارث؛ قال: سمعت المدائني يقول: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عبد الله بن عباس رحمة الله عليه: إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق؛ لعقله وفطنته بالأمور»، المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٤١٥).

Black plate (96,1)

قال: قال ابن عباس لعلي: ابعثني إلى معاوية، فوالله لأفتلن له حبلاً لا ينقطع وسطه، قال: لست من مكرك ومكره في شيء، ولا أعطيه إلا السيف، حتى يغلب الحق الباطل، فقال ابن عباس: أو غير هذا؟ قال: كيف؟ قال: لأنه يطاع ولا يعصى، وأنت عن قليل تعصى ولا تطاع، قال: فلما جعل أهل العراق يختلفون على علي ﷺ قال: لله در ابن عباس، إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق»[(١)].

قول المؤلف: (ويتلوه عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم).

ما ذكره عن عبد الله بن مسعود من كونه يتلو ابن عباس، أشار ابن تيمية إلى العلة في ذلك، وأناطه بتأخر الوفاة، وهذا معلوم وظاهر، فإن الإنسان قد يكتسب علوماً إذا طال عمره بخلاف من تقدمه في الوفاة[(٢)].

وابن مسعود من كبار المفسرين زمن الصحابة، وآراؤه منثورة ومبثوثة في كتب التفسير، وكان يدعو إلى القول بالتفسير إذا كان عن علم، وإن لم يكن كذلك نهى عن القول فيه، فعن مسروق (ت: ٦٢)، قال: «جاء إلى عبد الله رجل فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان: ١٠]، قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان، فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم»[(٣)].

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١).

(٢) قال شيخ الإسلام: «وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟»، انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص٤١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٩٨).

Black plate (97,1)

وكان من أعلم الصحابة بالقرآن، فقد جاء عنه أنه قال: «والله الذي لا إلٰه غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه»[(١)]، ولم يخطئه أحد من الصحابة في قوله هذا ولا اعترض عليه، فصار قبولاً منهم لقوله في نفسه وعنهم.

ثم ذكر أُبي بن كعب رضي الله عنه الذي رُويت عنه روايات يظهر من خلالها أنه كان معلماً في التفسير، وكان له تلاميذ، ولا سيما أبي العالية؛ لأن أغلب الروايات التفسيرية عن أُبَيٍّ بن كعب واردة من طريق أبي العالية (ت: ٩٣).

وأما زيد بن ثابت: فالناظر إلى الآثار التفسيرية المنقولة عنه يجد أنها قليلة جدّاً، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عناية زيد بالقراءة، وكتابة المصحف والفرائض، فقلَّ عنده جانب التفسير.

وهو مذكور في طبقة علماء الصحابة الذين تُلُقّيَ عنهم التفسير في المدينة[(٢)]، ويتلوه: عبد الله بن عمرو بن العاص، والرواية عنه في التفسير قليلة لا تكاد تذكر؛ بله أن تكون في شهرة علي بن أبي طالب وابن مسعود.

ثم يأتي بعد ذلك كثير من الصحابة مثل: أبي موسى الأشعري، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، ممن كانوا مقلين في التفسير، ويدل على ذلك قِلَّة ما نُقِل عنهم من الروايات التفسيرية.

○ المفسرون من التابعين:

قول المؤلف: (ومن المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن (ت: ١١٠)، ومجاهد (ت: ١٠٤)، وسعيد بن جبير (ت: ٩٤)، وعلقمة (ت: ٦١)، قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية، ويتلوهم عكرمة،

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم (٥٠٠٢).

(٢) قال السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير (٤/ ٢٣٣).

Black plate (98,1)

والضحاك بن مزاحم (ت:١٠٥)، وإن كان لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جبير (ت:٩٤)).

انتقل المؤلف إلى ذكر الطبقة الثانية من طبقات المفسرين وهي طبقة التابعين بعد أن ذكر طبقة الصحابة، وفعل هنا كما فعل هناك، حيث ابتدأ بذكر المبرزين، وذكر الحسن بن أبي الحسن، ومجاهد وسعيد بن جبير، وعلقمة، ثم ذكر من يتلوهم، وهم: عكرمة، والضحاك، والمراد هنا: من جهة البروز والتصدر، لا من جهة عدد المروي.

والحسن بن الحسن البصري كان مشهوراً في التفسير، وكان في المدينة، وبها نشأ[(١)]، ثم انتقل إلى البصرة، ولم يشتهر أمره في المدينة لوجود الصحابة بها، ولكونه كان حدثاً، بخلاف شأنه في البصرة، فقد ذاع صيته، واشتهر بها، وكان الوعظ يغلب عليه.

وقد كان في البصرة بعض الصحابة وكذلك بعض التابعين ممن اشتهروا بالتفسير؛ كجابر بن زيد (ت:٩٣)[(٢)] الذي قال ابن عباس عنه لما جاء أهل البصرة يسألونه في معنى آية: «تسألوني وفيكم جابر بن زيد»[(٣)]، وقال: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لوسعهم علماً عما في كتاب الله ﷻ»[(٤)].

وكان جابر بن زيد عالم البصرة قبل أن يأتي إليها الحسن، ولما جاء الحسن إلى البصرة انجفل الناس إليه[(٥)]، لما وهبه الله من حسن العبارة ولما

(١) ولد الحسن ونشأ في المدينة، قال ابن سعد: ولد الحسن بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت، فيبكي الصبي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فدر عليها ثديها، فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك، انظر: الطبقات (٧/ ١١٤).

(٢) أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، البصري، كان عالم أهل البصرة في زمانه، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، توفي سنة ثلاث وتسعين، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٣).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٨٥).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٨٥).

(٥) قال ابن الأعرابي: كانت لأبي الشعثاء حلقة بجامع البصرة يفتي فيها قبل الحسن، =

Black plate (99,1)

عنده من الرقائق والمواعظ ولما عنده من العلم بكتاب الله[١].

وكان موجوداً فيها أبو العالية (ت:٩٣)، وما روي من التفسير عنهما أقل من المروي عن الحسن (ت:١١٠).

وأما مجاهد بن جبر (ت:١٠٤)، فهو أكثر تلامذة ابن عباس علماً به[٢]، وكتابة عنه[٣]، ولهذا قال سفيان الثوري (ت:١٦١): «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»[٤]، ومن تلاميذ ابن عباس ـ أيضاً ـ: سعيد بن جبير (ت:٩٤)[٥]، وقد طلب منه عبد الملك بن مروان (ت:٨٦) أن يكتب له

= وكان من المجتهدين في العبادة، وقد كانوا يفضلون الحسن عليه حتى خف الحسن في شأن ابن الأشعث، قال الذهبي: لم يخف؛ بل خرج مكرهاً، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٢).

(١) قال ابن جزي: الطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاماً في التفسير الحسن بن أبي الحسن البصري، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٠).

(٢) عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها، رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٤٠٩).

(٣) عن ابن أبي مُلَيْكة؛ قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله، رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٩٠).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٩١)، ولا يقدح فيه ما جاء عن الأعمش إن صح، وهو رواه الذهبي في ميزانه أن أبا بكر بن عياش قال: قلت للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ كما في رواية ابن سعد قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، فلا ينبغي أن يتوهم من هذه الرواية أن مجاهداً لم تكن له ضوابط في النقل عن أهل الكتاب، فقد روى عنهم ما يعتقد صدقه، ولم يخالف بيِّناً مما جاء به النبي ﷺ، وكيف لا يتحرى الدقة في الأخذ عن أهل الكتاب، ومعلمه ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الذي شدد النكير على من يأخذ عنهم أو يصدقهم فيما يقولون، مما هو داخل تحت حدود النهي من النبي ﷺ، انظر: مقدمة تحقيق تفسير الماتريدي (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤٠).

(٥) قال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٢)، وقال خصيف: كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير، =

Black plate (100,1)

التفسير، فكتب قطعة من التفسير[١]، أخذها بعد ذلك عطاء بن دينار (ت:١٢٦)[٢]، ورواها عن سعيد بن جبير رواية كتاب، ولم يلقَ سعيد بن جبير (ت:٩٤)[٣].

أما علقمة (ت:٦١) فهو من تلاميذ ابن مسعود ﷺ، والرواية عنه قليلة، والرواية عن هؤلاء الذين سبقوا أكثر منه.

وكذلك الرواية عن مسروق (ت:٦٢) الذي هو من جملة تلاميذ ابن مسعود، وذلك منوط بأنهم كانوا لا يقولون إلا بما بلغهم، ويتوقفون عن غير ذلك، وقد سبقت الإشارة إلى وقوع التورع في طبقة التابعين من أهل المدينة.

ومدْحُ المؤلف لمجاهد بأنه قرأ على ابن عباس قراءة تَفهُّم، يدل على ذلك قوله: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية وأسأله عنها»، ولا يُفهم من ذلك أنه يوقفه عند كل لفظة؛ بل يسأله عما يحتاج إلى علم فيه، فلا يستلزم أن يقول: كنت أسأله عما لا أعلم، وأما ما أعلم فلا أسأله؛ لأنه معروف عقلاً أن الإنسان لن يقف عند ما يعلم ويسأل عنه، لكن يوقفه عند أشياء كانت تشكل عليه فيسأله عنها، فعرض التفسير على ابن عباس كما يظهر قراءة تفهُّم، أي: يستفهم من العالم المعنى حتى يفهمه.

أما عكرمة (ت:١٠٥) فهو من أكابر تلاميذ ابن عباس علماً وتفسيراً[٤]،

= انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٢).

(١) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢)، وهذا لا ينافي ما ذكره ابن خلكان بقوله: وسأله رجل أن يكتب له تفسير القرآن، فغضب وقال: لأن يسقط شقي أحب إلي من ذلك، انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، فهذا على فرض ثبوته محمول على أنه طلب آراء له في ذلك، فغضب لكونه لا يقول شيئاً في التفسير سوى ما أخذه عمن سبقوه، والله أعلم.

(٢) أبو الريان، وقيل: أبو طلحة، عطاء بن دينار الهذلي مولاهم، المصري، وثقه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وقال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير قد أخذه من الديوان، انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦٣)، نثل النبال (٢/ ٥٠٣).

(٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٨).

(٤) قال حبيب بن أبي ثابت: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً، عطاء، =

Black plate (101,1)

ولكن من قدر الله ـ ﷻ ـ أنه ابتلي بإلقاء التهم عليه، والكلام فيه، ولا يكاد أحد يسلم من ذلك، والكلام الذي وجه إليه تناول دينه وضبطه ومروءته[(١)]، ومن ضمن ما وقع له بعد مماته أنه لم يخرج في جنازته أحد من أهل المدينة[(٢)]، مع أنه كان من فقهاء التابعين في التفسير في حياته، وكانوا يعرفون فضله ومكانته، ومن ذلك أن الحسن البصري (ت: ١١٠) توقف عن التفسير لما دخل عكرمة (ت: ١٠٥) البصرة[(٣)]، وهو من هو، وما ذلك إلا إقرار بما لعكرمة من فضل، وقد كان يظهر من طبعه شيء مما قد يؤدي إلى النفور؛ كقوله: ما لكم لا تسألوني أفلستم؟[(٤)]، وقوله: أيحسن حسنكم مثل هذا؟ يعني: الحسن البصري[(٥)]، لكن ما وصم به من التهم، كالكذب على ابن عباس فلا يصح ذلك[(٦)]؛ بل إن ابن عباس لما رأى فيه النجابة، كان يحرص على تعليمه كما

= وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفذ ما عندهما، جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا، انظر: تاريخ دمشق (٤١/ ٩١)، وقال فيه أبو حاتم حين سئل عن عكرمة وسعيد بن جبير: أيهما اعلم بالتفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ٩).

(١) قال الحافظ: فأما أقوال من وهاه فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه بالكذب، وعلى الطعن فيه بأنه كان يرى رأي الخوارج، وعلى القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء، فهذه الأوجه الثلاثة يدور عليها جميع ما طعن به فيه، انظر: هدي الساري (١/ ٤٢٥).

(٢) قال الحافظ: إن ثبت ذلك، فلعله كان بسبب تطلب الأمير له، وتغيبه عنه حتى مات، انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٣)، وليس كما يقول جولد تسيهر أن هذا كان احتقاراً من العرب للموالي في حياتهم وبعد مماتهم، انظر: مذاهب التفسير الإسلامي (٩٥ ـ ٩٦)، فجعل عدم حضور الناس كونه مولى، وليس هناك علة أخرى سوى احتقار العرب للموالي، زعم وافترى، وكلام الحافظ خير دليل على عدم ثبوته، وإن ثبت فالسبب ظاهر في ذلك.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ٧٤)، طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٨٧).

(٤) رواه الدارمي في السنن، برقم (٥٦٥).

(٥) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، برقم (١١٩٩).

(٦) جاءت بعض الروايات أن الأئمة كذبوه، انظر: هدي الساري (١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦)، =

Black plate (102,1)

قال عكرمة: «كان يضع في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن»[(١)]، وكان يوقفه ـ أي: ابن عباس ـ على باب بيته بعد أن رآه أهلاً للفتوى، ويقول: إذا جاءك أحد فأفته[(٢)]، وقد كان تلاميذ ابن عباس حريصين على معرفة ضبطه، لهذا وجهوا إليه عدة أسئلة ذات يوم، ومن ضمنها أنه سئل عن الحوت في قصة موسى والخضر، فقال عكرمة: كان يسايرهما في ضحضاح من الماء، فقال سعيد (ت: ٩٤): أشهد على ابن عباس أنه قال: كانا يحملانه في مكتل[(٣)]، فقال أيوب (ت: ١٣١): أراه كان يقول القولين جميعاً[(٤)].

إذا كان ذلك كذلك، فإنه يجب علينا أن ننظر إلى هذا العَلَم نظرةً

= من ذلك ما روي عن ابن عمر في قوله لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ٣٩)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٦)، وقد رد الحافظ هذا بأن الأثر غير ثابت عن ابن عمر، قال الحافظ: فقول ابن عمر لم يثبت عنه؛ لأنه من رواية أبي خلف الجزار عن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر يقول ذلك، ويحيى البكاء متروك الحديث، قال ابن حبان: ومن المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح، انظر: هدي الساري (١/ ٤٢٧)، ورد الحافظ كل ما رمي به، ودونك هدي الساري، وقد يخطئ، فيسمى ذلك كذباً، فيحمله البعض على أنه يريد به الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع، والصحيح أنه يريد بذلك الخطأ، وبرهان إرادة الخطأ بلفظ الكذب، قول ابن حبان: «أن أهل الحجاز يقصدون بالكذب الخطأ، انظر: الثقات (٦/ ١١٤)، وقال شيخ الإسلام: «فإن الكذب كانوا يطلقونه بإزاء الخطأ» انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٦٦)، وهكذا يشير ابن القيم إلى أن الكذب نوعان فيقول: «الكذب يراد به أمران، أحدهما: الخبر غير المطابق لمخبره، وهو نوعان: كذب عمد، وكذب خطأ، فكذب العمد معروف، وكذب الخطأ ككذب أبي السنابل بن بعكك في فتواه للمتوفى عنها إذا وضعت حملها أنها لا تحل حتى تتم لها أربعة أشهر وعشر، فقال النبي ﷺ: «**كذب أبو السنابل**»، ومنه قوله ﷺ: «**كذب من قالها**»، لمن قال: حبط عمل عامر، حيث قتل نفسه خطأ، ومنه قول عبادة بن الصامت: كذب أبو محمد، حيث قال: الوتر واجب، فهذا من كذب الخطأ، ومعناه: أخطأ قائل ذلك، انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٧١).

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٩٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٦).

(٢) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩٥).

(٣) أي: زنبيل، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٥٤)، تاج العروس (٣٠/ ٣١٢).

(٤) انظر: تاريخ دمشق (٤١/ ٩٠)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣).

Black plate (103,1)

أخرى، مفادها: أنه كان من فقهاء المفسرين، ولا نلتفت إلى ما قيل عنه، لعدم ثبوته، وإذا حصل من أحد أقرانه شيء من الكلام الذي هو شأن الأقران، فلا يكون ذلك مطعناً فيه عندنا، وتأمل تفسيره لقوله ـ تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١١٩]، لتعرف عدم مجانبته للصواب، ومماحكة مجاهد (ت: ١٠٤) له، فقد روى ابن جرير عن القاسم بن أبي بزة[(١)]، قال: «قال لي مجاهد: سل عنها عكرمة: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾، فسألته، فقال: الإخصاء، قال مجاهد: ما له لعنه الله، فوالله لقد علم أنه غير الإخصاء، ثم قال: سله، فسألته: فقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠]، قال: لدين الله، فحدثت به مجاهداً فقال: ما له أخزاه الله!»[(٢)].

أما الضحاك بن مزاحم البلخي (ت: ١٠٥)، فهو في طبقة تلاميذ ابن عباس، ولكنه لم يلقَ أحداً من الصحابة، وكثير من تفسيره أخذه من ابن عباس من طريق سعيد بن جبير في الري، لما كان سعيد متوارياً عن الحجاج التقى به الضحاك وأخذ عنه التفسير[(٣)].

ومن الآثار التي تثبت لقيا الضحاك بسعيد بن جبير ما رواه الطبري وابن المنذر بسندهما عن إبراهيم عن أبي حرة[(٤)] الجزري قال: «صنعت طعاماً فدعوت ناساً من أصحابنا منهم سعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم، فسأل فتى من قريش سعيد بن جبير رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله، كيف تقرأ هذا الحرف؟ فإني إذا أتيت عليه تمنيت أني لا أقرأ هذه السورة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ

(١) أبو عبد الله المكي القارئ، مولى عبد الله بن السائب، تابعي جليل، روى عنه جماعة، ووثقه الأئمة، توفي سنة أربع وعشرين ومائة على الصحيح، وقيل: بعدها بسنة، وقيل غير ذلك، انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٣١).

(٢) تفسير ابن جرير (٩/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) عن عبد الملك بن ميسرة قال: الضحاك لم يلق ابن عباس، انما لقي سعيد بن جبير بالري، واخذ عنه التفسير، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٥/ ٣٦٦).

(٤) ورد في بعض نسخ الطبري والدر المنثور (أبي حمزة)، وهو غلط.

Black plate (104,1)

ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ [يوسف: ١١٠]، قال: نعم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من قومهم أن يصدقوهم وظن المرسل إليهم أن الرسل ﴿قَدۡ كُذِبُواْ﴾ فقال الضحاك رضي الله عنه: لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً»[(١)].

قول المؤلف: (وأما السدي (ت:١٢٨) رحمه الله فكان عامر الشعبي (ت:١٠٣) يطعن عليه وعلى أبي صالح، لأنه كان يراهما مقصرين في النظر).

ما ذكره عن طعن الشعبي في السدي، وعدم قبول قوله في التفسير، وقد قيل عنده: إن السدي قد أوتي حظّاً من علم القرآن، قال: لقد أوتي حظّاً من الجهل بالقرآن[(٢)]، وأما أبو صالح: فقد كان يأتي إليه الشعبي (ت:١٠٣)، ويفرك أذنه، ويقول: تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن![(٣)]، يعني: لا تحفظه[(٤)]، فهو يرى أنه ليس أهلاً لأن يفسر القرآن ما دام أنه لا يحفظه،

(١) تفسير ابن جرير (١٦/ ٣٠٠)، الدر المنثور (٤/ ٥٩٧)، ويبدو أن هذا اللقاء كان بمكة، فأبو حرة رجل من نصيبين، وينسب إلى الجزيرة، وقد انتقل إلى مكة كما ورد في مظان ترجمته، ولعل السائل مسلم بن يسار، فقد أورد الطبري بعد هذه الروايةِ الرِّوايةَ الآتية: «. . . عن ربيعة بن كلثوم، قال: حدثني أبي، أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير؛ فقال: يا أبا عبد الله، آية بلغت مني كل مبلغ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾، فهذا الموت، أن تظن الرسل أنهم قد كذَّبوا، أو نظن أنهم قد كُذِبُوا، مخففة! قال: فقال سعيد بن جبير: يا أبا عبد الرحمٰن، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومهم أن الرسل كذبتهم ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠]، قال: فقام مسلم إلى سعيد، فاعتنقه وقال: فرج الله عنك كما فرجت عني»، تفسير ابن جرير (١٦/ ٣٠٠).

(٢) علق الذهبي على هذه المقولة قائلاً: ما أحد إلا وما جهل من علم القرآن أكثر مما علم، وقد قال إسماعيل بن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٥).

(٣) تاريخ ابن معين (٤/ ٦٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٥).

(٤) تفسير عدم القراءة هنا بعدم الحفظ جاء مصرحاً به في روايات أخرى، فمن ذلك ما ذكره غير واحد بلفظ: كان الشعبي يمر بأبي صالح فيأخذ بأذنه فيمدها، ويقول: ويلك تفسر القرآن، وأنت لا تحفظه، انظر: حديث أبي سعيد الأشج (ص٢٨٥)، الضعفاء، للعقيلي (١/ ١٦٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٩٦).

Black plate (105,1)

وكأن الشعبي يجعل حفظ القرآن من شروط المفسر، لكن نجد أن إبراهيم النخعي (ت:٩٦) عدَّل السدي، وقد كان النخعي (ت:٩٦) يمر بالسدي وهو يفسر فيقول: «إنه ليفسر تفسير القوم»[(١)]، يعني: أن تفسيره ليس مخالفاً لتفسير من حوله من الناس أو لمن قبله من العلماء.

وأما أبو صالح: فهو ضعيف في النقل، وأما رأيه فمبثوث في كتب التفسير المأثور ولم يُعترض عليه بمثل ما ذكره الشعبي.

قول المؤلف: (ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف، وألَّف الناس فيه؛ كعبد الرزاق (ت:٢١١)، والمفضل (ت:٢٩٠)، وعلي بن أبي طلحة (ت:١٤٣)، والبخاري (ت:٢٥٦هـ)، وغيرهم).

هذه أمثلة ساقها المؤلف ممن ألفوا في التفسير، وعرفوا بالعدالة وملازمة التقوى والمروءة، ولم يستوعب المؤلف جميع من كان حالهم كحال من ذكرهم؛ لأنه أراد التمثيل لا الحصر، وإلا فإن مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠) كان من أعلم الناس في زمانه، حتى قال الشافعي (ت:٢٠٤): «من أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان»[(٢)]، وكتابه موجود بين أيدينا، وفيه يتجلى سعة علمه في التفسير، ولم يخرج مقاتل في تفسيره عن الجماعة لأنه نقل في تفسيره عن ثلاثين من التابعين، وتابعي التابعين ذكرهم في أول كتابه.

أما عبد الرزاق الصنعاني (ت:٢١١) فمشهور بالحديث، لكن له كتاب صغير في التفسير، وهو مطبوع، وأغلب هذا التفسير من طريق شيخه معمر بن راشد (ت:١٥٣) عن قتادة (ت:١١٧).

والمفضل بن سلمة (ت:٢٩٠) له كتاب «ضياء القلوب في معاني القرآن» نيف وعشرون جزءاً.

وعلي بن أبي طلحة (ت:١٤٣) في طبقة أتباع التابعين، وصحيفته التي

(١) انظر: تاريخ أصبهان (١/ ٢٤٧)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٦).
(٢) انظر: طبقات الفقهاء (ص٨٦)، تاريخ بغداد (١٥/ ٤٧٣).

Black plate (106,1)

يرويها عن ابن عباس مشهورة، واختلاف أهل العلم في هذه النسخة مشهور كذلك.

والبخاري (ت:٢٥٦) له كتاب التفسير ضمن الجامع الصحيح، ولديه كتاب في التفسير موسوم بالتفسير الكبير ذكره الفربري (ت:٣٢٠)[(١)(٢)]، والمؤلف اقتصر على هذه الأسماء التي كان أصحابها لهم عناية بالتفسير.

ومما ينبغي ذكره هنا أننا لو رجعنا إلى علم التفسير، سنجده علماً مستقلاً بذاته، وليس باباً من أبواب الحديث كما ذكر ذلك الشيخ محمد حسين الذهبي (ت:١٣٩٧)[(٣)]، والدليل على ذلك حاضر وشاهد، شاهده هذه الكتب والتراجم التي بين أيدينا، فلو تأمل المرء في كتب الحديث التي بوبت للتفسير، سيجد أنها قليلة، إذ لم أظفر بعد التتبع بسوى ستة فقط: سعيد بن منصور في سننه (ت:٢٢٧)، والبخاري (ت:٢٥٦) ومسلم (ت:٢٦١) في صحيحيهما، والترمذي (ت:٢٧٩) في سننه، والنسائي (ت:٣٠٣) في السنن الكبرى دون الصغرى، والحاكم (ت:٤٠٥) في المستدرك؛ لأنه مشى على طريقة البخاري في التبويب، فكيف يقال بعد هذا: إن علم التفسير نابع من علم الحديث، هذه المعلومة فيها إشكال كبير جدّاً بل هي خطأ محض، ذلك أن التفسير كان قائماً قبل أن يبدأ هؤلاء بتصنيف كتبهم، واستمر بعد أن بدأوا بتصنيف كتبهم، فعلي بن أبي طلحة (ت:١٤٣) وله صحيفة، ومجاهد (ت:١٠٤)

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري، راوي الجامع الصحيح عن أبي عبد الله البخاري، سمعه منه بفربر مرتين، مات لعشر بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وقد أشرف على التسعين، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠ ـ ١٣).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٩٢).

(٣) قال الذهبي: «التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت **الخطوة الأولى** للتفسير هي: النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت **الخطوة الثانية** له، وهي: تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك **الخطوة الثالثة**، وهي: تدوينه على استقلال وانفراد»، انظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٠٥).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (107,1)

كتب التفسير عن ابن عباس (ت:٦٨)، سعيد بن جبير (ت:٩٤) كتب التفسير لعبد الملك بن مروان (ت:٨٦)، وزيد بن أسلم (ت:١٣٦) كتب التفسير، والضحاك بن مزاحم (ت:١٠٥) أيضاً كتب التفسير سورة سورة، ومقاتل بن سليمان (ت:١٥٠) كتب التفسير، وكتابه مطبوع، وغيرهم كثير من العلماء الذين كانوا يقصدون علم التفسير على أنه علم مستقل بذاته لا علاقة له بعلم الحديث، وتداخله مع علم الحديث جاء متأخراً وليس متقدماً، فعلم التفسير شيء، وعلم الحديث شيء آخر، لكن لا يعني أنه لا توجد علاقة بين العلمين، فليس هذا مرادنا؛ بل المراد هو أصالة علم التفسير، واستقلاله منذ عهد الصحابة، وصنيع بعض التابعين في مطالبتهم بعض الصحابة بتفسير آيات من القرآن خير شاهد لهذا الأمر، ويؤكده حرص تلامذة ابن عباس (ت:٦٨) على أخذ التفسير، وهذا يؤكد استقلاله، وينفي كونه تابعاً لغيره.

قول المؤلف: (ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد وشفى في الإسناد.

ومن المبرزين في المتأخرين أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١) وأبو علي الفارسي (ت:٣٧٧) فإن كلامهما منخول.

وأما أبو بكر النقاش (ت:٣٥١)، وأبو جعفر النَّحَّاس (ت:٣٣٨)، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سُننهما مكي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت:٤٣٧)، وأبو العباس المهدوي (ت:٤٣١) رحمه الله متقن التأليف، وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله، ونضر وجوههم).

ذكر المؤلف لابن جرير أمراً لا يحتاج إلى إثبات فضل ذلكم الإمام، فهو إمام المفسرين بحق، ثم أشار المؤلف إلى أنه جمع أشتات التفسير، وقرب البعيد، وشفا في الإسناد، وهذا تنبيه إلى المنهج العام الذي سلكه الطبري (ت:٣١٠)، فقد كانت لديه عناية بالإسناد، وإن كان لم ينتقد الأسانيد التي جاءته، لكونها أسانيد مشهورة ومعروفة، وقد يدخل بعضها الضعف، لكنها من حيث الجملة مما توارد عليه العلماء، وقبلوه جملةً، بيد أنه إذا وقع إشكال في معنى من المعاني فإنه ينتقد الرواية، هذا هو الغالب في منهج

Black plate (108,1)

الطبري، ولا يُلتفت إلى القول بأنه سلك مسلك من أسند لك فقد أحالك، فهذا لم يكن ديدن الإمام في التفسير[(١)]؛ بل تاريخه خليق بهذا الوصف، ذلك أن الطبري أشار إليه في كتاب التاريخ، وبيَّن أن الروايات التي ذكرها عهدة صحتها وضعفها على الرواة[(٢)]، وذكرهم لتلك الروايات التي لا يحتج بها ليس من قبيل عدم معرفتهم بحال أصحابها؛ بل مرادهم هو ذكر كل ما جاء في الباب، لا الاحتجاج بكل ما ورد في الباب، ولعل ذلك كان سائغاً في ذلكم الزمان بخلاف الأزمنة التي جاءت بعده[(٣)].

---

(١) قد يصرح بنقد الروايات، ومن ذلك قوله: «فإنْ كان ذلك صحيحاً ـ ولست أعلمه صحيحاً، إذ كنت بإسناده مُرتاباً»، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٣٥٤)، مع أن هذا الإسناد تكرر في كتابه كثيراً، ولكنه بين حاله في موضع، ولا يحتاج لتكراره في كل موضع.
ومن ذلك قوله: «إن كان صحيحاً، ولا أعلمه صحيحاً؛ لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدَّثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم يرفعوه»، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٣٥٤).
وقوله: «وهذا خبر، لو كان إسناده صحيحاً، لم نستجز أن نعدوه إلى غيره، ولو كان في إسناده بعض ما فيه»، انظر: تفسير ابن جرير (٨/ ٥٣١).
وقوله: «ذلك خبر في إسناده نظر، ولو كان صحيحاً لا شك فيه، لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف». انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٤٩٩).

(٢) قال الطبري: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا». انظر: تاريخ الطبري (١/ ٧ ـ ٨).

(٣) قال السخاوي: «كتب البخاري على حديث موضوع: من حدّث بهذا، استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل، لكن محل هذا ما لم يبين ذاكره أمره، كأن يقول: =

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (109,1)

أما أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١)، والفارسي (ت: ٣٧٧)، فهما من المبرزين في علم النحو، وليس التفسير؛ بل إن عمدة الزجاج في التفسير على تفسير الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١) المفقود، وقد ذكر سنده في كتابه معاني القرآن قال: «وجميع ما ذكرناه في هذه القصة مما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وكذلك أكثر ما رويت في هذا الكتاب من التفسير، فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل»[(١)]، فذكر أنه ناقل عن غيره، فلا رأي له في ذلك، وكذلك الحال مع أبي علي الفارسي المعتزلي، فهو نحوي وليس من المفسرين، ولا يعني هذا أنه ليس لهم اختيار في التفسير، لكن مادتهم التفسيرية مرتبطة بالنحو، وليست عامة في كل ما يتعلق بالقرآن، فيكون تفسيراً شاملاً.

أما أبو بكر النقاش (ت: ٣٥١) فقد سيم خسفاً عند بعض المترجمين له، وما قيل فيه ليس فيه صواب وصحة إذا ما رجعنا إلى تفسيره، وإنما ذلكم الإشكال هو مما يحصل بين الأقران، أو ما يُنقل دون تمحيص، فانتشر هذا القول حتى صار النقاش غير مرضي عند بعضهم، وطعنوا في تفسيره، وهو ليس كذلك، ومن اطلع على تفسيره يعلم أنه كان من أهل السُّنَّة، ولم يكن عنده في تفسيره ما قيل فيه، وبسبب هذه الأقاويل خفي على كثير من الناس فضل هذا الرجل الذي هو من أئمة الإقراء.

وقد كتب الشيخ علي بن إبراهيم الناجم رسالة الدكتوراه (أبو بكر النقاش منهجه في التفسير، وناقشها عام ١٤٠٥هـ، وانتصر للنقاش (ت: ٣٥١)،

= هذا كذب، أو باطل، أو نحوهما من الصريح في ذلك، وفي الاقتصار على التعريف بكونه موضوعاً نظر، فرب من لا يعرف موضوعه، كما قدمت الحكاية فيه، وكذا لا يبرأ من العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على إيراد إسناده بذلك، لعدم الأمن من المحذور به، وإن صنعه أكثر المحدثين في الأعصار الماضية في سنة مائتين، وهلم جرّا، خصوصاً الطبراني، وأبو نعيم، وابن منده، فإنهم إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته»، انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للعراقي (١/ ٣١٢ ـ ٣١٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٦).

Black plate (110,1)

ورد كل ما وصم به مما لم يثبت عليه[١].

ومن طريف ما يُنبَّه إليه أن النقول عن النقاش انتشرت عند مفسري الغرب الإسلامي، ويبدو لي أن سبب ذلك هو نقول ابن عطية من هذا الكتاب الذي كان أحد مصادره التي اعتمدها، وهذا يدل على انتقال تفسير النقاش إلى المغرب قديماً.

وكذلك أبو جعفر النحاس (ت:٣٣٨)، أشار المؤلف إلى أنه كثيراً ما استُدرك عليهما، ـ أي: هو والنقاش ـ ولكن ليس هناك أحد إلا وقد وجد من يستدرك عليه، والمُستدرَك عليهم ما بين قليل وكثير.

والناظر في مؤلفات النحاس يجد أنه من أحسن العلماء تصنيفاً، وأجودهم تأليفاً، سواءً أكان في بيان الشعر مثل شرح المعلقات، أو كتابه في معاني القرآن، أو كتابه في إعراب القرآن، أو كتابه في الناسخ والمنسوخ، أو كتابه في الوقف والابتداء، وقد قيل عنه: إن قلمه أحسن من لسانه، فكان يسترسل إذا كتب، وينقطع إذا تكلم[٢]، وقد استفاد من تفسير ابن جرير الطبري (ت:٣١٠)، وكثيراً ما ينقل عنه، ويتابعه في بعض اختياراته[٣].

وأما مكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧)، وأبو العباس المهدوي (ت:٤٤٠) فكانا من العلماء الذين يعتمدون على النقل، ويظهر أنهما استفادا من طريقة أبي بكر الأدفوي (ت:٣٨٩)[٤] في تفسيره، فمن قرأ مقدمة تفسير أبي بكر الأدفوي، ومقدمتهما في تفسيرهما، ظهر له اتفاقهم في مقصد التأليف مع ما هو موجود في مقدمة تفسير الأدفوي[٥]، والله أعلم.

---

(١) انظر: أبو بكر النقاش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم (ص١٦٦ ـ ١٦٨)، (ص١٧٦ ـ ١٧٧)، (ص١٨٤ ـ ١٩٤)، (ص٢٠٤ ـ ٢١٢).

(٢) انظر: بغية الوعاة (١/ ٣٦٢).

(٣) انظر: معاني القرآن، للنحاس (١/ ٣٢١).

(٤) محمد بن علي بن أحمد المصري المقرئ المفسّر النحوي، وأدفو بقرب أسوان، أخذ عن أبي جعفر النّحاس فأكثر، وألف (التفسير) في مائة وعشرين مجلداً، انظر: العبر في خبر من غبر (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٥) انظر: المحرر في علوم القرآن لمساعد الطيار.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (111,1)

باب معنى قول النبي ﷺ:
«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»[١]

اختلف الناس في معنى هذا الحديث، اختلافاً شديداً، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي: «فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها؛ كتعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، واقرب، وجيء، وكاللغات[٢] التي في ﴿أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة»، وهذا قول ضعيف.

قال ابن شهاب (ت:١٢٤) في كتاب مسلم (ت:٢٦١): «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام»[٣]، قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وهذا كلام محتمل، وقال فريق من العلماء: «إن المراد بالسبعة الأحرف معاني كتاب الله تعالى، وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال»، وهذا

---

(١) متفق عليه.

(٢) قال ابن جني: «فيها ثماني لغات: أُفٍّ، وأُفٌّ، وأُفَّ، وأُفّاً، وأُفُّ، وأُفٌّ، وأُفى، ممال، وهي التي يقول لها العامة: أُفِّي، بالياء، وأُفْ خفيفة ساكنة»، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ١٨).

(٣) المسند الصحيح، للإمام مسلم (١/ ٥٦١)، والمراد: أن مرجع الجميع واحد في المعنى وإن اختلف اللفظ في هيئته وأما الاختلاف بأن يصير المثبت منفياً، والحلال حراماً، فذلك لا يجوز في القرآن قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وهذا لما كان من عند الله فلم يجدوا فيه اختلافاً يسيراً، وكأن ابن شهاب قصد بذلك رداً لقول المشهور أن المراد بالأحرف السبعة أن القرآن أنزل على سبعة أصناف، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥١١ ـ ١٥١٢).

Black plate (112,1)

أيضاً ضعيف؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً، وأيضاً: فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

وحكى صاحب[١] الدلائل[٢] عن بعض العلماء، وقد حكى نحوه القاضي أبو بكر بن الطيب[٣] (ت:٤٠٣) قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة:

منها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ [هود: ٧٨]، وأطهرَ[٤].

---

(١) قاسم بن ثابت بن حزم العوفيّ السرقسطي، أبو محمد: عالم بالحديث واللغة، رحل مع أبيه من سرقسطة إلى مصر ومكة. ويقال: إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، وأريد صاحب الترجمة على القضاء بسرقسطة فامتنع، توفي سنة ثلاثمائة واثنتين، انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ١٧٤).

(٢) الدلائل في غريب الحديث، مطبوع.

(٣) الفقيه، الأصولي، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر ثم البغدادي، المعروف بابن الباقلاني وبالباقلاني، له تآليف كثيرة، منها: التقريب والإرشاد في أصول الفقه، وأمالي إجماع أهل المدينة، وكتاب التمهيد، وكتاب إعجاز القرآن، وغيرها، انظر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (٣/ ١٠٩٧ ـ ١٠٩٨).

(٤) قراءة: سعيد بن جبير، والحسن ـ بخلاف ـ، ومحمد بن مروان، وعيسى الثقفي، وابن أبي إسحاق: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] بالنصب، قال ابن جني: «ذكر سيبويه هذه القراءة وضعفها، وقال فيها: احتَبى ابن مروان في لحنه، وإنما قبح ذلك عنده؛ لأنه ذهب إلى أنه جعل «هن» فصلاً، وليست بين أحد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك كقولك: ظننت زيداً هو خيراً منك، وكان زيد هو القائم، وأنا من بعدُ أرى أن لهذه القراءة وجهاً صحيحاً؛ وهو أن تجعل «هن» أحد جزأي الجملة، وتجعلها خبراً لـ«بناتي»؛ كقولك: زيد أخوك هو، وتجعل «أطهر» حالاً من «هن» أو من «بناتي»، والعامل فيه معنى الإشارة؛ كقولك: هذا زيد هو قائماً أو جالساً، أو نحو ذلك. فعلى هذا مجازه، فأما على ما ذهب إليه سيبويه ففاسد كما قال»، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (١/ ٣٢٥)، وقال ابن هشام عند حديثه عن ضمير الفصل: «وأجاز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها؛ كجاء زيد هو ضاحكاً، وجعل منه ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فيمن نصب أطهر، ولحَّن أبو عمرو من قرأ بذلك، وقد خرجت على أن ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ جملة، و﴿هُنَّ﴾ إما =

Black plate (113,1)

ومنها: ما لا تتغير صورته، ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَعِدَ﴾ [سبأ: ١٩]، وبَاعدَ[(١)].

ومنها: ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل: ننشرها، و﴿نُنشِزُهَا﴾[(٢)] [البقرة: ٢٥٩].

= توكيد لضمير مستتر في الخبر أو مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾ الخبر، وعليهما فأطهر حال، وفيهما نظر، **أما الأول:** فلأن بناتي جامد، غير مؤول بالمشتق فلا يتحمل ضميراً عند البصريين **وأما الثاني:** فلأن الحال لا تتقدم على عاملها الظرفي عند أكثرهم، والثاني كونه معرفة»، انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٦٤١ ـ ٦٤٢).

(١) قال ابن قتيبة: «﴿رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] على طريق الدعاء والمسألة، و(رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) على جهة الخبر، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرّقهم في البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فلما فرقهم الله في البلاد أيادي سبأ، وباعد بين أسفارهم، قالوا: ربّنا باعد بين أسفارنا وأجابنا إلى ما سألنا، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين في غرضين»، انظر: تأويل مشكل القرآن (ص٣٣)، والقراءة بلفظ الخبر، هي قراءة: يعقوب من العشرة، وابن عباس، وابن يعمر، ومحمد بن علي، وأبو رجاء، والحسن ـ بخلاف ـ وأبو صالح، وسلام، ويعقوب، وابن أبي ليلى، والكلبي، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (١٨٩/٢).

(٢) قال ابن جرير: «قرأ بعضهم: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، بضم النون وبالزاي، وذلك قراءة عامة قرأة الكوفيين، بمعنى: وانظر كيف نركب بعضها على بعض، وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم، وقرأ ذلك آخرون: (ننشرها)، بضم النون، من قولهم: أنشر الله الموتى فهو ينشرهم انشاراً، وذلك قراءة عامة قرأة أهل المدينة، بمعنى: وانظر إلى العظام كيف نحييها، ثم نكسوها لحماً، وقرأ بعضهم: (ننشرها) بفتح النون من أوله وبالراء، كأنه وجه ذلك إلى مثل معنى نشر الشيء وطيه، وذلك قراءة غير محمودة؛ لأن العرب لا تقول: نشر الموتى، وإنما تقول: أنشر الله الموتى، فنشروا هم بمعنى: أحياهم فحيوا هم، قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندي أن معنى: (الإنشاز)، ومعنى: (الإنشار) متقاربان؛ لأن معنى (الإنشاز): التركيب والإثبات ورد العظام إلى العظام، ومعنى (الإنشار): إعادة الحياة إلى العظام، وإعادتها لا شك أنه ردها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها، فهما ـ وإن اختلفا في اللفظ ـ فمتقاربا المعنى، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئاً يقطع العذر ويوجب الحجة، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب؛ لانقياد معنييهما، ولا حجة توجب لإحداهما القضاء بالصواب على الأخرى، وأما القراءة الثالثة، فغير جائزة القراءة بها عندي، وهي قراءة من قرأ: (ننشرها) بفتح النون وبالراء؛ لشذوذها عن قراءة المسلمين، =

Black plate (114,1)

ومنها: ما تتغير صورته ويبقى معناه؛ كقوله: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]، و(كالصوف المنفوش)[١].

ومنها: ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩]، و(طلع منضود)[٢].

ومنها: بالتقديم والتأخير؛ كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، و(سكرة الحق بالموت)[٣].

ومنها: بالزيادة والنقصان كقوله: ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣]، و(أنثى)[٤][٥].

وذكر القاضي أبو بكر بن الطيب[٦] في معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، نهي، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وائتمروا، وانتهوا، واعتبروا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه**»[٧].

= وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب، انظر: تفسير ابن جرير (٥/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩) بتصرف.

(١) قراءة ابن مسعود وسعيد، انظر: معاني القرآن، للفراء (٣/ ٢٨٦)، فضائل القرآن، للقاسم بن سلام (ص٣١٨).

(٢) قراءة علي رضي الله عنه، معترك الأقران (٢/ ٢١٧).

(٣) قراءة أبي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما، انظر: معاني القرآن، للفراء (٣/ ٧٨)، تأويل مشكل القرآن (ص٢٤).

(٤) قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿نَعْجَةً أُنْثَى﴾، معاني القرآن، للفراء (٣/ ٤٠٣).

(٥) الانتصار للقرآن (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٦) المرجع السابق (١/ ٨٠ ـ ٨١).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، برقم (٣١٤٤)، وقد أعله الطحاوي فقال: اختلف حيوة والليث على عقيل في إسناد هذا الحديث، فرواه كل واحد منهما عنه على ما ذكرناه في روايته إياه عنه. قال: وكان أهل العلم بالأسانيد يدفعون هذا الحديث لانقطاعه في إسناده، ولأن أبا سلمة لا يتهيأ في سنه لقاء عبد الله بن مسعود؛ ولا أخذه إياه عنه، انظر: شرح مشكل الآثار (٨/ ١١٥)، وقال الحافظ: قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت؛ لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن بن مسعود =

Black plate (115,1)

قال القاضي أبو محمد: فهذا تفسير منه ﷺ للأحرف السبعة، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١]؛ أي: على وجه وطريقة، هي ريب وشك، فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق، من تحليل، وتحريم، وغير ذلك.

وذكر القاضي[١] أيضاً أن أُبيّاً رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أُبيُّ: إني أقرئت القرآن على حرف أو حرفين، ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلا شافٍ وكافٍ، إن قلت: غفور رحيم، سميع عليم، أو عليم حكيم، وكذلك ما لم تختم عذاباً برحمة، أو رحمة بعذاب**»[٢].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وقد أسند ثابت بن قاسم[٣] نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه.

قال القاضي ابن الطيب: «وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرائق، وغير السبعة التي هي قراءات ووسع فيها، وإنما هي سبعة أوجه من أسماء الله تعالى»[٤]، وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا

= ولم يلق بن مسعود، وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم، وفي تصحيحه نظر، لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود، انظر: فتح الباري (٩/ ٢٩).

(١) الانتصار للقرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) رواه أبو داود في السنن، برقم (١٤٧٧)، وسنده صحيح، بلفظ: «**يا أُبي، إني أقرئت القرآن فقيل لي: على حرف، أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل: على حرفين، قلت: على حرفين، فقيل لي: على حرفين، أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قل: على ثلاثة، قلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: سميعا عليما عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب**».

(٣) قاسم بن ثابت بن حزم العوفيّ السرقسطي، تقدمت ترجمته، ولم أجد الأثر في الدلائل.

(٤) الانتصار للقرآن (١/ ٣٧٠).

Black plate (116,1)

كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه.

قال القاضي: «وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه، وإلا بطل معنى الحديث»(١)، قالوا: «وتعرف بعض الوجوه بمجيء الخبر به، ولا نعرف بعضها، إذا لم يأت به خبر»(٢)، قال: وقال قوم: ظاهر الحديث يوجب أن يوجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرءان على سبعة أوجه، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث»(٣).

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: «وقد زعم قوم أن معنى الحديث: أنه نزل على سبع لغات مختلفات، وهذا باطل، إلا أن يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة، والدليل على ذلك أن لغة عمر بن الخطاب، وأُبي بن كعب، وهشام بن حكيم، وابن مسعود، واحدة، وقراءتهم مختلفة، وخرجوا بها إلى المناكرة»(٤).

فأما الأحرف السبعة التي صوَّب رسول الله ﷺ القراءة بجميعها ـ وهي التي راجع فيها فزاده، وسهل عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات، فلها سبعة أوجه، وسبع قراءات مختلفات، وطرائق يقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن أو معظمه، حسبما تقتضيه العبارة في قوله: «**أنزل القرآن**» فإنما يريد به الجميع أو المعظم، فجائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها ويدل على ذلك قول الناس: حرف أُبيّ رضي الله عنه، وحرف ابن مسعود رضي الله عنه، ونقول في الجملة: إن القرآن منزل على سبعة أحرف من اللغات، والإعراب، وتغيير الأسماء والصور، وإن ذلك مفترق في كتاب الله ليس بموجود في حرف واحد، وسورة واحدة، يقطع على اجتماع

(١) الانتصار للقرآن (١/ ٣٧٨).
(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٨).
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٧٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (117,1)

ذلك فيها[١].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: انتهى ما جمعت من كلام القاضي أبي بكر رضي الله عنه، وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه فيه نظر؛ لأن المذهب الصحيح الذي قرره آخراً من قوله: «ونقول في الجملة» إنما صح وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في الأكثر، وإنما هو أن قريشاً استعملت في عباراتها شيئاً، واستعملت هذيل شيئاً غيره في ذلك المعنى، وسعد بن بكر غيره، والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم.

واستدلال القاضي رضي الله عنه بأن لغة عمر وأُبيّ وهشام وابن مسعود واحدة فيه نظر؛ لأن ما استعملته قريش في عبارتها ومنهم عمر وهشام، وما استعملته الأنصار ومنهم أُبيّ وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود، قد يختلف، ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله سبحانه، فليست لغتهم واحدة في كل شيء، وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن نفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة، لما كان اختلافهم حجة على من قال: إن القرآن أنزل على سبع لغات لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكر سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ، وعساه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته.

فكأن القاضي رحمه الله إنما أبطل أن يكون النبي ﷺ قصد في قوله: «**على سبعة أحرف**» عدّ اللغات التي تختلف بجملتها وأن تكون سبعاً متباينة لسبع قبائل تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ولا تدخل عليها لغة غيرها؛ بل قصد النبي عليه السلام عنده عد الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة، ومرة من جهة إعراب، وغير ذلك، ولا مرية أن هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لاختلاف في العبارات بين الجملة التي نزل القرآن بلسانها وذلك يقال فيه اختلاف لغات.

(١) الانتصار للقرآن (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (118,1)

وصحيح أن يقصد عليه السلام عد الأنحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن، بسبب اختلاف عبارات اللغات، وصحيح أن يقصد عد الجماهير والرؤوس من الجملة التي نزل القرآن بلسانها، وهي قبائل مضر فجعلها سبعة، وهذا أكثر توسعة للنبي عليه السلام؛ لأن الأنحاء تبقى غير محصورة، فعسى أن الملك أقرأه بأكثر من سبعة طرائق ووجوه.

قال القاضي في كلامه المتقدم: «فجائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها»، قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: والشرط الذي يصح به هذا القول هو أن تروى عن النبي عليه السلام، ومال كثير من أهل العلم كأبي عبيد (ت:٢٢٤)[1]، وغيره، إلى أن معنى الحديث المذكور أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل انبث فيه من كل لغة منها، وهذا القول هو المتقرر من كلام القاضي رضي الله عنه وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب روماً منهم أن يعينوا السبع التي يحسن أن تكون مراده عليه السلام، نظروا في ذلك بحسب القطر ومن جاور منشأ النبي عليه السلام، واختلفوا في التسمية وأكثروا، وأنا ألخص الغرض جهدي بحول الله: فأصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر؛ لأن النبي عليه السلام قرشي، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وعقت تمائمه وهو يخالط في اللسان كنانة، وهذيلاً، وثقيفاً، وخزاعة، وأسداً، وضبة، وألفافها لقربهم من مكة، وتكرارهم عليها، ثم بعد هذه تميماً، وقيساً، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب، فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة، وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف، وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم.

قال ثابت بن قاسم (ت:٣٠٢): لو قلنا من هذه الأحرف لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة وألفافها، ومنها لقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبعة

(١) انظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام (٣/ ١٥٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (119,1)

تستوعي اللغات التي نزل بها القرآن[١].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وهذا نحو ما ذكرناه، وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة، وسلمت لغاتها من الدخيل ويسرها الله لذلك ليظهر آية نبيّه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الأمم، فأما اليمن وهي جنوبي الجزيرة فأفسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤)[٢]، وأبا العباس المبرد (ت:٢٨٦)، قد ذكرا أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرم[٣] والفتاح[٤]، فأما ما انفردوا به كالزخيخ[٥]، والقلوبي[٦]، ونحوه، فليس في كتاب الله منه شيء.

وأما ما والى العراق من جزيرة العرب، وهي بلاد ربيعة، وشرقي الجزيرة، فأفسدت لغتها مخالطة الفرس، والنبط، ونصارى الحيرة، وغير ذلك.

وأما الذي يلي الشام وهو شمالي الجزيرة وهي بلاد آل جفنة، وابن

(١) نسب هذا الكلام إليه المقريزي في: إمتاع الأسماع (٤/ ٢٧٧)، والثعالبي في تفسيره (١/ ١٤٥).
(٢) انظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام (٣/ ١٥٩).
(٣) السيل الذي لا يطاق، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾، انظر: لسان العرب (١٢/ ٣٩٦).
(٤) القاضي، انظر: الكليات (ص٦٩٩)، سمي بذلك: لأنه يفتح أبواب القضايا، انظر: حلية الفقهاء (ص٢٠٧).
(٥) شدة بريق الجمر والحر، انظر: العين (٤/ ١٣٦).
(٦) **القِلَّوْبُ**: الذئب، يمانية، وكذلك القَلوبُ، ويقال: قِلّابٌ، انظر: العين (٥/ ١٧١).

Black plate (120,1)

الرافلة، وغيرهم. فأفسدها مخالطة الروم، وكثير من بني إسرائيل.

وأما غربي الجزيرة فهي جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم وأكثرها غير معمور، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم، ويقوي هذا المنزع أنه لما اتسع نطاق الإسلام، وداخلت الأمم العرب وتجرد أهل المصرين: البصرة، والكوفة، لحفظ لسان العرب، وكتب لغتها لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة، ومن كان معها، وتجنبوا اليمن، والعراق، والشام، فلم يكتب عنهم حرف واحد، وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة، والمدينة، والطائف؛ لأن السبي والتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة، وكانت هذه الحواضر في مدة النبي ﷺ سليمة لقلة المخالطة.

فمعنى قول النبي ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»؛ أي: فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح، والأوجز في اللفظة، ألا ترى أن فطر معناها عند غير قريش: ابتدأ خلق الشيء، وعمله فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال أحدهما: «أنا فطرتها» قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١][(١)].

وقال أيضاً: «ما كنت أدري معنى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك؛ أي: أحاكمك»[(٢)]، وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] فوقف به فتى

(١) رواه ابن جرير، عن ابن وكيع، هو: سفيان، ضعيف، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٤/ ٢٣١)، تهذيب الكمال (١١/ ٢٠٢)، ورواه ابن كثير في فضائل القرآن، وقال: إسناد جيد، وهو كذلك، لوجود إبراهيم بن مهاجر، صدوق لين الحفظ من الخامسة، انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢١٢)، تقريب التهذيب (ص٩٤).

(٢) رواه ابن جرير، بيد أن قتادة لم يسمع من ابن عباس.

Black plate (121,1)

فقال: «إن أبي يتخوفني حقي» فقال عمر: «الله أكبر، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، أي: على تنقص لهم»[(١)]، وكذلك اتفق لقطبة بن مالك[(٢)] إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]، ذكره مسلم (ت:٢٦١) في باب القراءة في صلاة الفجر[(٣)]، إلى غير هذا من الأمثلة.

فأباح الله تعالى لنبيِّه هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: «**فاقرؤوا ما تيسر منه**» بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه. ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنَّبيِّ عليه السلام ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأُبيّ بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**»[(٤)]، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في قراءة كل منهما ـ وقد اختلفتا ـ: «**هكذا أقرأني جبريل؟**» هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة. وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً)، فقيل له: إنما تقرأ ﴿وَأَقْوَمُ﴾، فقال أنس: «أصوب

(١) رواه ابن جرير بنحو الذي ذكره المؤلف، لكن فيه سفيان بن وكيع، وقد تقدم بيان حاله.

(٢) قطبة بن مالك الثعلبي، من بني ثعلبة بن ذبيان، له صحبة، معدود في الكوفيين، وذكره ابن السكن عن ابن عقدة أنه قال: هو ثعلي، من ثعل: قبيلة من طيء مشهورة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، برقم (٤٥٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، برقم (٣٢١٩).

Black plate (122,1)

وأقوم وأهيأ واحد»[(١)]، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله ﷺ، وافترق الصحابة في البلدان، وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من غير العرب، وقع بين أهل الشام والعراق ما ذكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وذلك أنهم لما اجتمعوا في غزوة أرمينية[(٢)]، فقرأت كل طائفة بما روي لها، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض: «أنا كافر بما تقرأ به» فأشفق حذيفة مما رأى منهم، فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري وغيره دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك، قال: فيما ذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق، ومن الشام، ومن الحجاز، فوصف له ما تقدم وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى، قال عثمان رضي الله عنه: أفعل، فتجرد للأمر، واستناب الكفاة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، برقم (٤٠٢٢)، قال الهيثمي: ولم يقل الأعمش: سمعت أنساً، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٥٦)، قلت: قال الذهبي: ورواية الأعمش، عن أنس، منقطعة، ما سمع من أنس؛ بل صلَّى خلفه، وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال: حدثنا فلا كلام، ومتى قال: عن تطرق إلى احتمال التدليس، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٤).

(٢) اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمنيّ على غير قياس، بفتح الهمزة وكسر الميم، سمّيت أرمينية بأرمينا بن لنطا بن أومر بن يافث ابن نوح عليه السلام، وكان أول من نزلها وسكنها، وقيل: هما أرمينيتان الكبرى والصّغرى، وحدّهما من برذعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم، وجبل القبق، وصاحب السرير، وقيل: إرمينية الكبرى: خلاط ونواحيها، وإرمينية الصغرى: تفليس ونواحيها، وقيل: هي ثلاث أرمينيات، وقيل: أربع، انظر: معجم البلدان (١/ ١٦٠).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (123,1)

رسول الله ﷺ وأفصح اللغات، وقال لهم: «إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش»[(١)].

فمعنى هذا: إذا اختلفتم فيما روي، وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلاف من قبلهم؛ لأنه وضع قرآن فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع، مرة من هذه، ومرة من هذه، وذلك مقيد بأن الجميع مما روي عن النبي ﷺ وقرئ عليه، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ما خرج عنه مما كان كتب سدّاً للذريعة وتغليباً لمصلحة الألفة وهي المصاحف التي أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تحرق أو تخرق.

فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك، ولكن أبى العلماء قراءته سدّاً للذريعة، ولأنه روي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القرآن لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أثبت.

ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف، فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم رحمهم الله ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلَّى لأنها ثبتت بالإجماع.

وأما شاذ القراءات فلا يصلَّى به[(٢)]، وذلك لأنه لم يجمع الناس عليه. أما أن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم (٤٩٨٧).

(٢) قال ابن الصلاح: «ما عدا العشرة فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة في الصلاة وخارج الصلاة، وممنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني»، انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٣٢)، وبيَّن ابن عبد البر سبب ذلك فقال: «إنما لم تجز القراءة به في الصلاة؛ لأن ما عدا مصحف عثمان فلا يقطع عليه وإنما يجري مجرى السنن التي نقلها الآحاد»، انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/ ٢٩٢).

Black plate (124,1)

فيه إلا أنهم رووه، وأما ما يؤثر عن أبي السمال (ت:١٦٠)[١] ومن قاربه فلا يوثق به وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل والله المستعان.

وكان المصحف غير مشكول ولا منقوط، وقد وقع لبعض الناس خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب ومنازعات اختصرت ذلك كراهة التطويل وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح، والله المرشد للصواب برحمته»[٢].



(١) قعنب بن هلال بن أبي قعنب العدوي، البصري المقرئ، له قراءة شاذة في «الكامل» لأبي القاسم الهذلي، وفي غيره، رواها عنه أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٨٧).

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٤٣ ـ ٤٨).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (125,1)

الشَّرْح

قول المؤلف: (اختلف الناس في معنى هذا الحديث، اختلافاً شديداً، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي: «فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها، كتعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، واقرب، وجيء، وكاللغات التي في ﴿أُفٍّ﴾ [الإسرا: ٢٣]، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة»، وهذا قول ضعيف.

قال ابن شهاب (ت:١٢٤) في كتاب مسلم (ت:٢٦١): «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام»، قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وهذا كلام محتمل، وقال فريق من العلماء: «إن المراد بالسبعة الأحرف معاني كتاب الله تعالى، وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال»، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً، وأيضاً: فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة).

اقتدى المؤلف بابن جرير الطبري (ت:٣١٠) في ذكر هذا الموضوع في مقدمة تفسيره، إلا أن التباين بينهما واضح وجلي، ذلك أن المؤلف يظهر من مقدمته عدم ترابط موضوعاتها، ولمّ شتاتها، بخلاف الطبري، حيث بدأ مقدمته بعربية القرآن، والأحرف السبعة لها علاقة بذلك، ومن ثمّ فقد أناط حديثه عن الأحرف بما قدمه عن عربية القرآن[١].

ومن جانب آخر، فإن الطبري جعل القراءات شيئاً، والأحرف شيئاً آخر، على أن الخلاف الموجود في القراءات بمعزل عن الأحرف السبعة،

(١) انظر: شرح مقدمة تفسير الطبري، لمساعد الطيار، وفي بداية شرح كل فصل بيان ارتباطه بما قبله.

Black plate (126,1)

فالخلاف في القراءات عنده غير الخلاف في الأحرف السبعة، وجميع القراءات ترجع إلى حرف واحد عنده.

أما ابن عطية فلم يكن لهذه الأحرف أثر جلي في تفسيره، وهي موجودة ـ كما هو ظاهر سياقه لها ـ فيما بين يدينا من قراءات بغض النظر عن تفصيلات يذكرها العلماء، وهي: هل جميع الأحرف مبثوثة في القراءات، أم أقل من ذلك؟

وقبل أن نتناول ما ذكره من الأقوال، نشير إلى أمور ينبغي للطالب استحضارها قبل الولوج في الأقوال المتعلقة بالأحرف فنقول:

* المتأمل في النصوص الدالة عليها يجد أن التيسير هو المقصد الأهم والأعظم منها، ويتجلى ذلك من خلال النصوص الآتية:

● ما جاء عن أُبي، قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المِراء[(١)]، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: **إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ العاسي[(٢)]، والعجوزة الكبيرة، والغلام**، قال: فمرهم، فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف»[(٣)].

● عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام (ت: ٤١)[(٤)]، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها[(٥)]، وكان

---

(١) بكسر الميم كما في الحديث: قباء، وبضمها: داء يصيب النخل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢٣).

(٢) **عسا**: بالسين المهملة: أي: كبر وأسن، من عسا القضيب إذا يبس، وبالمعجمة؛ أي: قل بصره وضعف، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٣٨).

(٣) رواه أحمد في المسند، مسند الأنصار، برقم (٢١٢٠٤)، بإسناد حسن.

(٤) هشام بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قيل: إن عمر بن الخطاب كان يقول إذا بلغه أمر ينكره: أما ما بقيت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون ذلك، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٥٣٨).

(٥) الذي سمعه عمر رضي الله عنه في هذه القراءة التي أنكرها هو ذكر الجمع في قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، ذلك أن هشاماً قرأ: (تَبَارَكَ الَّذِي =

Black plate (127,1)

رسول الله ﷺ أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: **أرسله، اقرأ**، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **هكذا أنزلت**، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: **هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**»[(١)]، ويتجلى التيسير في هذا الحديث أن أمير المؤمنين رضي الله عنه لم يسمع بهذه الأحرف قبل فتح مكة، ذلك أن هشام بن حكيم رضي الله عنه لم يُسلم إلا بعد الفتح، فلما أقبل الناس على الدين زرافات ووحداناً، ودخلوا فيه أفواجاً من قبائل شتى ذات لهجات مختلفة، لم تكن ألسنتهم واحدة؛ بل يتفاوتون في طريقة النطق، ويختلفون في أداء الكلمات التي جبلوا عليها عند التعبير عن المراد، وفيهم من الأصناف الذين ذكروا في الحديث السابق، ونزوع أولئك عن طريقة النطق تحتاج إلى تعلُّمٍ وتكلُّفٍ، عندئذٍ طلب النبي ﷺ التيسير في توسيع القراءة بأكثر من حرف.

* التخفيف على الأمة بالأحرف السبعة لم ينقطع، فالرسول ﷺ استزاد لأمته كلها، وليس لزمن من أزمانها دون غيره، والحاجة ماسة لهذا التيسير في كل زمان، وهذا الأمر يحسن التنبه له في كل الأحاديث التي يرد

= نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عِبَادِه)، فأنكر عليه عمر، فقال له النبي ﷺ: «**كذلك أنزلت**»، فإن قيل: ولكن الفرقان أنزل على النبي ﷺ فحسب، ومما يدل على عدم صحة هذه القراءة الضمير في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَكُونَ﴾، ولو كانت القراءة صحيحة لقال: ﴿لِيَكُونُوا﴾، **والجواب**: أن وجه ذلك أنه وإن كان إنزاله على رسول الله ﷺ، فإنه لما كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ موصلاً له إلى العباد ومخاطباً به لهم صار كأنه منزل عليهم، ولذلك كثر فيه خطاب العباد بالأمر والنهي لهم، والترغيب والترهيب والمصروف اللفظ إليهم، ونحو ذلك مما يوجه فيه الخطاب نحوهم، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، أما الضمير فإنه عائد إلى الفرقان، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ١١٧)، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (٣/ ٣٨١)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١١/ ١٦٨).

(١) متفق عليه.

Black plate (128,1)

فيها ذكر أمته ﷺ، بحيث لا يكون محصوراً بعصر أو مصر.

* لم تكن هذه الأحرف بمعزل عن فهم الصحابة، ولم يرد عنهم أنها كانت مُشكلة، وهذا يؤكد أن المراد منها كان معروفاً لديهم، وتأويلها معلوم عندهم، ولهذا لم يأت في الأحاديث التي تندرج تحت هذا الباب تفسير نبوي لها، أو سؤال من أحد الصحابة رضي الله عنهم عن معناها، فدل على ما قلناه، ولو كانت هناك حاجة لبيانها؛ لأبان ذلك النبي ﷺ للصحابة المختلفين بين يديه حول القراءات التي كان يقرأ بها بعضهم، إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فلما وجدنا سكوت الصحابة عن السؤال، دلَّ ذلك على أنهم فهموا أن هذه الأحرف ليست سوى أوجه القراءة التي يقرأون بها، لكونها سبب قول الحديث.

فإن قيل: لم يفعلوا ذلك لكونها يصعب الوصول إلى معانيها، فهي من المتشابه الذي لا يُتوصل إلى المراد منه.

قيل: هذا مردود بقوله ﷺ: «**هكذا أنزلت**»، فهذا يؤكد إشارته لشيء صدر عنهم، وهي القراءة التي قرأ بها كل واحد منهم، وأنكر بعضهم شيئاً منها لفهمه مخالفتها لما عنده من العلم، ولو كانت من المتشابه لما حصل الإنكار، ولما اكتفى بذلك الجواب، ولطلب جواباً شافيا كما فعل في غزوة الحديبية حيث قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: «أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: **بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام**، قال: قلت: لا، قال: **فإنك آتيه ومطوف به**»[(١)].

* خروج الإنسان من عهدة الأمر بقراءة القرآن حاصل في قراءته بحرف واحد من هذه الأحرف، دون التفضيل بين أيٍّ منها لكونها جميعاً كلام الله، لهذا قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «**إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، برقم (٢٧٣١).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٨٢١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (129,1)

* أن هذه الأحرف نزلت من عند الله، بدلالة قوله ﷺ: «**هكذا أنزلت**»، وهذا يعني: أنه لا يصح أن يترك من هذه الأحرف إلا ما أذن الله بتركه.

إذا تبيَّن ذلك، فقد صدر المؤلف حديثه عن الأقوال ـ التي تعددت وتنوعت وتباينت في المراد بالأحرف السبعة ـ بذكر قول من قال: إن المراد منها هو الترادف، بحيث يأتي التعبير عن المعنى الواحد بعدة ألفاظ مختلفة، فالاتفاق حاصل في المعنى مع اختلاف الألفاظ، ولعل القائلين بهذا أخذوه من حديث: «**نحو قولك تعال وأقبل، وهلم واذهب، وأسرع وأعجل**»(١)، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك: هلمّ، وتعال، باتفاق المعاني، لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف»(٢).

ويجاب عن هذا القول: أن التيسير غير حاصل في كثير من الألفاظ المترادفة، فلا يجد الإنسان مشقة في قول: أقبل مكان هلم، أو العكس، إذ الأمر سيان لا يعتري أيّاً منهما عنت عند النطق بهذا أو ذاك.

ثم ذكر القول الثاني، وهو من يفسرها بأصناف من المعاني والأحكام، ولعل مأخذهم هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجراً، وآمراً، وحلالاً، وحراماً، ومحكماً، ومتشابهاً، وأمثالاً**»، وقد حكم عليه المؤلف بالضعف، وهو كما قال: «إذ الضعف يعتريه رواية ودراية»، أما الرواية فكونه غير ثابت، وأما الدراية، فبيان ضعفه في أمور:

* أن هذه لا تسمى أحرفاً.

---

(١) رواه أحمد في المسند، مسند البصريين، برقم (٢٠٥١٥)، وابن جرير في تفسيره (١/ ٥٠)، وفيه علي بن زيد بن جدعان، قال ابن حبان: «كان يهم في الأخبار ويخطئ في الآثار حتى كثر ذلك في أخباره، وتبين فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير، فاستحق ترك الاحتجاج به»، انظر: المجروحين (٢/ ١٠٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٠).

Black plate (130,1)

* الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة، وكيف ينطبق ما جاء عن أُبي رضي الله عنه، قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: **إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ العاسي، والعجوزة الكبيرة، والغلام**، قال: فمرهم، فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف»، مع الحلال والحرام وغيره من أبواب المعاني، وذلك منتفٍ في هذا القول، فلا يمكن أن يكون التيسير في تحليل حرام ولا في تحريم حلال. وإنما هذا بيان للغرض من هذه الأحرف المقروءة، وهو التيسير على الأمة في القراءة بأي حرف منها

* يستحيل «أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه، أو يكون حلالاً لا ما سواه؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله أو أمثال»[١].

* على فرض ثبوته، لا يحتمل هذا الذي ذكروه؛ بل يكون تأويله على النحو الآتي:

• أن قوله: «**زاجر وآمر...**» إلخ، استئناف كلام آخر؛ أي: هو كذلك، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة، وإنما توهم ذلك من توهمه، لاتفاقهما في العدد وهو السبعة، وروي: «زاجراً وآمراً...» إلخ، بالنصب؛ أي: نزل على هذه الصفة من سبعة أبواب على سبعة أحرف، ويكون المراد بالأحرف غير ذلك.

• «أن يكون ذلك تفسيراً للأبواب، لا للأحرف السبعة المرتبطة بالقراءة؛ أي: هذه سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه وأنواعه؛ أي: أنزله الله تعالى كائناً من هذه الأصناف، لم يقتصر به على صنف واحد»[٢].

قول المؤلف: (وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء، وقد حكى

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/ ٢٧٦).
(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (ص١٠٨ ـ ١٠٩).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (131,1)

نحوه القاضي أبو بكر بن الطيب (ت:٤٠٣) قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة، منها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾، وأطهرَ، ومنها: ما لا تتغير صورته، ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾، و(بَاعدَ)، ومنها: ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل: ننشرها، و﴿نُنشِزُهَا﴾، ومنها: ما تتغير صورته ويبقى معناه كقوله: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾، و(كالصوف المنفوش)، ومنها: ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾، و(طلع منضود)، ومنها بالتقديم والتأخير؛ كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾، و(سكرة الحق بالموت)، ومنها: بالزيادة والنقصان كقوله: ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾، و(أنثى).

وذكر القاضي أبو بكر بن الطيب (ت:٤٠٣) في معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، نهي، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وائتمروا، وانتهوا، واعتبروا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه».

قال القاضي أبو محمد: فهذا تفسير منه ﷺ للأحرف السبعة، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى: الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾؛ أي: على وجه وطريقة، هي ريب وشك، فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق، من تحليل، وتحريم، وغير ذلك).

ذكر المؤلف هذا القول وعزاه لصاحب الدلائل السرقسطي (ت:٣٠٢)، وهو قريب من قول ابن قتيبة (ت:٢٧٦)[(١)]، وابن الجزري (ت:٨٣٣)[(٢)]، وهؤلاء أرادوا بيان الأحرف بحصرها في سبعة أنواع من تغاير القراءات، مع أن التغاير أكثر من ذلك؛ كالتاء والياء في ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، و﴿يَذْكُرُونَ﴾، وهي غير محكية في هذه السبعة المذكورة، مع أنها واردة في القراءات، فهؤلاء

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٣١ ـ ٣٢).
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧ ـ ٢٨).

Black plate (132,1)

العلماء انطلقوا من الحديث بحثاً عن سبعة أوجه معدودة يوقف عندها.

ومما يدل على ضعف هذا القول ما جاء عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان عند أضاة[١] بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك**، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك**، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك**، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[٢]، قال الحافظ: «أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة، وذلك لتسهيل قراءته، إذ لو أخذوا بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم»[٣]، وهذا يؤيد أن القصد من هذه الأحرف هو تيسير قراءة القرآن حسب استطاعة القارئ.

بينما هذا القول بمعزل عن التوسعة والتهوين على الأمة، والتيسير عليها في قراءة القرآن الكريم، فأين طريق التوسعة والرفق إذا قرأ القارئ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾، أو قرأ: (وجاءت سكرة الحق بالموت)، وكذلك، إذا قرأ: ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾، بدون لفظ: (أنثى)، أو معه، وهل في هذا القول ما يشير إلى رفق النبي ﷺ بأمته، وخوفه عليها من العنت والحرج، حيث يقول: «**أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك**»، هل زيادة لفظ: (أنثى) تكليف لهم فوق طاقتهم؟

---

(١) بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث، هو مستنقع الماء كالغدير، وجمعه أضا كعصا، وقيل: بالمد والهمزة مثل إناء، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لأنهم نزلوا عنده، انظر: فتح الباري (٩/٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (٩/٢٨).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (133,1)

الجواب: لا.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وذكر القاضي أيضاً أن أُبيّاً رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أُبيّ إني أقرئت القرآن على حرف أو حرفين ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شافٍ وكافٍ إن قلت: غفور رحيم، سميع عليم، أو: عليم حكيم، وكذلك ما لم تختم عذاباً برحمة، أو رحمةً بعذاب»).**

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وقد أسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه.

قال القاضي ابن الطيب: «وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرائق، وغير السبعة التي هي قراءات ووسع فيها، وإنما هي سبعة أوجه من أسماء الله تعالى».

وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه).

الحديث الوارد عن أُبي رضي الله عنه فيه إشارة إلى ما ذكره المؤلف من كونه مرفوعاً، ولا وجود له، وكلامه هذا مما يشهد له المسند من القراءات مقبوله، وشاذه، فهو خال مما جاء في الحديث، وليس كل ما دخله النسخ وصل إلينا، فلا يجوز لأحد أن يغير ما يشاء؛ بل لا تجوز القراءة بغير ما ثبت عن النبي ﷺ.

والقيد في قوله: «**ما لم تختم عذاباً برحمة**»، استثناء مما كان مرخصاً فيه، وذلكم الاستثناء مناطه كما يقول ابن القيم (ت: ٧٥١): «إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب، أو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه»[(١)]، ولهذا لم تدخل الرخصة في هذا، ويشهد له ما ذكروه عن الأصمعي (ت: ٢١٥) أنه قرأ قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨]، قال: «وإلى جنبي أعرابيٌ، فقلت: والله

(١) جلاء الأفهام (ص١٧٣).

Black plate (134,1)

غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله، قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾، فقال: أصبت، هذا كلام الله، فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا.. عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع»[(١)].

وهذا كما قلنا أنه نُسخ ورُفع، فهذه الطريقة القرائية كانت جائزة في وقت، ثم نسخت كما نُسخ غيرها من الأحكام التي أنزلها الله، فالذي أتى بهذه الرخصة، هو من رفعها، وبقيت القراءات على ما استقر عليه بين أيدينا، ولا يعتري هذا القول أي إشكال.

فإن قيل: فما دليل النسخ؟.

فالجواب: عدم الوجود.

وعدم النقل لا يستلزم العدم، وعدم الوجدان ليس نفياً للوجود، وليس لأحد أن يترك شيئاً مما أنزل الله[(٢)]، وهذا كله يدل على أن الناسخ خفي عنا، والنسخ لا يتأتى إلا في حياة النبي ﷺ، فلما لم نجد فيما بين يدينا من القراءات تبديل في ختم الآيات دلَّ على ما ذكرتُ، والله أعلم.

قول المؤلف: **(قال القاضي: وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه، وإلا بطل معنى الحديث، قالوا: وتعرف بعض الوجوه**

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/٥٤٦).

(٢) قال العيني: «هذا الحكمُ إنما كان قبل الإجماع على ترتيب القرآن في المصحف العثماني، فلما وقع الإجماع على منع تغيير الناس القرآن لم يجُز لأحد أن يجْعل موضع (سميع عليم) مثلاً (عزيزًا حكيماً)، ونحو ذلك قصدا وعمدا، ولكن إذا جرى على لسانه من غير قصدٍ إلى التغيير فلا بأس بذلك، حتى لو كان في الصلاة لا تفسدُ صلاته، انظر: شرح سنن أبي داود للعيني (٥/٣٩٣)، لكن هذا القول يتعين على صاحبه إثبات أن الصحابة كانوا يغيرون ويفعلون ذلك، ثم وقع الإجماع على منعه، وإذا أثبت ذلك وردت عليه مسألة أخرى، وهي أن الإجماع لا يَنسخ ولا يُنسخ به في قول جماهير الأصوليين.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | [17x24] z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d

Black plate (135,1)

بمجيء الخبر به، ولا نعرف بعضها، إذا لم يأت به خبر... إلى قوله: وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]).

أطال المؤلف الكلام في هذا، وكل ذلك رَوماً منه أن يصل إلى المراد بالأحرف السبعة من جهة لغات العرب، فقوم نظروا إلى وجوه التغاير، وقوم نظروا إلى تعيين لغات من لغات العرب، يعني: قريش، كنانة، بنو أسد، وغيرها، وكلام المؤلف منوط بإثبات أن السبعة أحرف هي سبع لغات من لغات العرب.

قال: (فمعنى قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»؛ أي: فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة. ألا ترى أن فطر معناها عند غير قريش: ابتدأ خلق الشيء وعَمَلَه، فجاءت في القرآن، فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال أحدهما: «أنا فطرتها» قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]...).

❍ نسخ القرآن في مصاحف في عهد عثمان:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله ﷺ، وافترق الصحابة في البلدان، وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من غير العرب، وقع بين أهل الشام والعراق ما ذكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وذلك أنهم لما اجتمعوا في غزوة أرمينية، فقرأت كل طائفة بما روي لها، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض: «أنا كافر بما تقرأ به» فأشفق حذيفة مما رأى منهم. فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري (ت:٢٥٦) وغيره دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك..... إلى قوله: أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تحرق أو تخرق).

تطرق في حديثه إلى عمل عثمان بن عفان بمشورة حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما،

Black plate (136,1)

وأصل المشكلة ترجع إلى ما ذكرناه آنفاً من اختلاف الأحرف لدى الصحابة ﷺ، فكان الآخذون عنهم يقتصرون على ما أخذوه، ولا يكون عندهم دراية بالوجوه الأخرى، فإذا سمعوها من غيرهم يقع حينئذ الاختلاف والتنازع، ويزعم كل واحد من هؤلاء التابعين صحة قراءته، ومجانبة الصواب في قراءة غيره(١).

(١) ذكر الحافظ حجم الخلاف ومنشأه، فجمع الروايات في ذلك، فأذكر كلامه بفصه ونصه لأهميته، حيث قال: «في رواية يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه: فيتنازعون في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ما ذعره، وفي رواية يونس: فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة، وفي رواية عمارة بن غزية: أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس، قال: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضاً، وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة فسمع رجلاً يقول قراءة عبد الله بن مسعود، وسمع آخر يقول قراءة أبي موسى الأشعري، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هكذا كان من قبلكم اختلفوا، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين، ومن طريق أخرى عنه أن اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقرأ هذا (وأتموا الحج والعمرة للبيت)، فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ومن طريق أبي الشعثاء قال: قال: حذيفة يقول: أهل الكوفة قراءة ابن مسعود، ويقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى، والله لئن قسمت على أمير المؤمنين لآمرنه أن يجعلها قراءة واحدة، ومن طريق أخرى أن ابن مسعود قال لحذيفة: بلغني عنك كذا، قال: نعم كرهت أن يقال قراءة فلان، وقراءة فلان، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب.

وهذه القصة لحذيفة يظهر لي أنها متقدمة على القصة التي وقعت له في القراءة، فكأنه لما رأى الاختلاف أيضاً بين أهل الشام والعراق اشتد خوفه، فركب إلى عثمان وصادف أن عثمان أيضاً كان وقع له نحو ذلك، فأخرج ابن أبي داود أيضاً في المصاحف من طريق أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفَّر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً، فكأنه والله أعلم لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عنده ما ظنه من ذلك، وفي رواية =

Black plate (137,1)

هذا كله يؤكد أن التابعين لم يحيطوا خبراً بمسألة اختلاف القراءات؛ بل يقتصر بعضهم على قراءة شيخه دون قراءة غيره، ولسان حاله ومقاله: قراءتي هي الأصوب، ومجانبة الصواب في قراءة غيري، ومن ثم تأتي النتائج ـ التكفير والتفسيق ـ المترتبة في تصور كل واحد منهم مخالفة القرآن النازل على محمد ﷺ، ولم يكن لهؤلاء التابعين ـ قبل جمع عثمان ـ مرجع متفق عليه يتكئون عليه لمعرفة القراءة الصحيحة من غيرها، وعندئذٍ لم يكن هناك بُدٌّ من ذلك العمل[(١)]، وقد كان ذلك العمل نسخاً لما كان موجوداً في صحف أبي بكر رضي الله عنه، ويدل على ذلك ما جاء في الصحيح: «فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص (ت:٥٩)[(٢)]، وعبد الرحمٰن بن الحارث (ت:٥٩)[(٣)] فنسخوها في

= مصعب بن سعد فقال عثمان: تمترون في القرآن، تقولون: قراءة أُبي، قراءة عبد الله، ويقول الآخر: والله ما تقيم قراءتك، ومن طريق محمد بن سيرين قال: كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول، فرفع ذلك إلى عثمان فتعاظم في نفسه، وعند ابن أبي داود أيضاً من رواية بكير بن الأشج أن ناساً بالعراق يسأل أحدهم عن الآية فإذا قرأها قال: إلا أني أكفر بهذه، ففشا ذلك في الناس فكلم عثمان في ذلك»، انظر: فتح الباري (٩/ ١٨).

(١) روى أبو عبيد في فضائل القرآن بسندٍ فيه مقال عن علي أنه قال: «لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان»، وذلك أن ذلكم الفعل كانت مصلحة للإسلام وأهله، لهذا قال ابن العربي: «حسنته العظمى، وخصْلتُه الكبرى، وإن كان وَجدها كاملة، لكنه أظهرها وردَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذُ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيّنّاه في كتب القرآن وغيرها»، انظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ (ص٦٦).

(٢) سعيد بن العاص بن أمية، والد عمرو بن سعيد الأشدق، قال أبو حاتم: له صحبة، لم يرو عن النبي ﷺ وروى عن عمر؛ وعائشة، وهو مقل، قال الدمشقي: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤ ـ ٤٤٧).

(٣) عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، لا صحبة له؛ بل له رؤية، وتلك صحبة مقيدة، كانت عائشة تقول: لأن أكون قعدت عن مسيري إلى البصرة أحب إلي من أن يكون =

Black plate (138,1)

المصاحف»[(١)]، فكان عملهم نسخ الصحف البكرية في عدد من المصاحف، ثم بُعِثَ بها إلى الأمصار، وقرأ قرَّاء كل قطر بما وصلهم من هذه المصاحف، واجتمع المسلمون وقتئذٍ على هذا العمل الذي كان بإجماع الصحابة[(٢)]، ويصرح علي بن أبي طالب ﷺ فيقول: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً، أو قولوا له خيراً، في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً»[(٣)].

وبعد عمل عثمان نستطيع تمييز القراءات الثابتة من طريقين:

الأول: ما بين الدفتين الذي جمع الاختلاف الصحيح المرتبط بالمرسوم، وما كان خارجاً عنه فليس من القرآن؛ كقراءة (والذكر والأنثى)، وهذا بداية الاتفاق على خروج القراءات التي رُفِعت، ولم تعد القراءة بها مقبولة؛ أي: إن كل ما ليس بين الدفتين فلا يُقرأ بها، ثُمَّ أُطلِق عليها ـ فيما بعد ـ القراءة الشاذة، وهذا هو النوع الأول من القراءات الشاذة.

الثاني: تلقي ما بين الدفتين من القراء، وإثبات الاختلاف المتلقَّى عنهم مما لا يمكن للمرسوم أن يُبِينَ عنه؛ كالإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، وغير ذلك مما لا نجده في المرسوم، ونجده بالمشافهة عن القراء، ويدخل في ذلك ما رسم بوجه، وقرئ بأكثر من وجه كقراءة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] والمرسوم (ملك يوم الدين).

وهنا لا بدَّ من أخذ القراءة بسند صحيح، ثم أن تشتهر القراءة بين القراء، ويتلقونها بالقبول، وهذا يصدق على القراءات العشر.

= لي عشرة أولاد من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمٰن بن الحارث، انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم (٤٩٨٧).

(٢) انظر: الانتصار للقرآن (٢/ ٤٢٧)، أعلام الحديث (٣/ ١٨٥٨)، فتح الباري (٩/ ٢١).

(٣) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص٩٦) بسند صحيح.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (139,1)

فإن صحَّت القراءة سنداً، ولم تشتهر، فإنها لا تكون مقبولة، وتكون من القراءات الشاذة، مثل قراءة (إذ تَلِقُونه بألسنتكم) من الولق.

وإن صحَّت القراءة سنداً، واشتهرت في وقتها وبلدها، وتناقلتها كتب القراءات بالإسناد، لكن لم يتلقَّها القراء بالقبول لعلَّة ما في هذه القراءة، فإنها لا تكون مقبولة، مثل القراءات الأربع الزائدة على العشر، وتكون من القراءات الشاذة.

وهذان النوعان من الشذوذ لا يعرفان من مخالفة الرسم كالنوع الأول، وإنما يعرفان من طريق القراء البصراء بالقراءات وطرقها وأسانيدها.

○ فائدة:

الأصل في الرسم عدم استقلاله بوجوه الأحرف السبعة، فلو تأملنا رسم قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١]، نجد أن رسمها في المصاحف كلها واحد، فمن تلاه بإدغام السين في الدال، أو بإظهارها، فإنه لم يأخذ هذا من الرسم، وإنما من مشافهة المقرئ، ومن ثَمَّ، فإن كان الإدغام والإظهار من وجوه الأحرف السبعة، فإن الرسم لا يستقل بوجوه الأحرف السبعة، ذلك أن فيه جزءاً مما يتعلق بالرسم، وجزءاً آخر يؤخذ بالتلقي.

وهذا الأصل يجب أن يكون حاضراً في الذهن لدى طلاب العلم، وهو أن القرآن طريقُهُ التلقي والمشافهة، وليس الرسم وحده، وأن بعضه قد يكفي فيه الرسم لمعرفة ثبوته وقراءته، كالحذف والإثبات في قراءة: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

وبعضه يلزم فيه التلقي والمشافهة لمعرفة كيفية قراءته؛ كالإمالة في ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١].

*** معنى قول عثمان: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك»**[(١)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، برقم (٣٥٠٦).

Black plate (140,1)

أرشدهم عثمان ﷺ إلى ما يعملونه حال اختلافهم في رسم كلمة ما، بدلالة قوله: «فاكتبوه»؛ أي: فارسموه بطريقة نطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلغتها.

فإن قلت: كيف يختلفون، وأمامهم المصحف ينقلون منه؟

فالجواب: إن زيداً لما كتب المصحف في عهد أبي بكر ﷺ لم يكن معه مثل هذه اللجنة، ولما كانت اللجنة من أربعة، فإن احتمال اختلافهم في رسم كلمة ما محتملٌ، لذا أعطاهم عثمان المعيار الذي يعتمدونه حال الاختلاف.

وهذا الاختلاف يدل على أن الإملاء آنذاك متنوع، وليس هذا بغريب في علم الكتابة ألبتة، وما رُوي من أنهم اختلفوا في لفظ: ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، هل يُكتب بالتاء المفتوحة أو بالتاء المربوطة، دليل على ذلك التنوع في إملائهم، وهو من اختلاف التنوع الذي نراه في الإملاء منذ وقتهم إلى اليوم، كلفظ (شؤون.. شئون)، والله أعلم.

وكذلك وجود الكلمة الواحدة في المصحف مع اختلاف كتابتها في موطن عن موطن، مثل إثبات الألف وحذفها بعد واو الجماعة، وكلمة (إبراهيم.. إبرهم).

فإن قيل: هل اقتصر عثمان على حرف واحد فقط، دون بقية الأحرف؟

والجواب: أن مراد عثمان هنا غير الأحرف، ويدلُّ على هذا ما ذكره المؤلف من الأمثلة التي لم يكن بعض القرشيين ـ كعمر وابن عباس ـ يعرفون معانيها، حتى كانت غير لغة قريش سبيلهم إلى الوصول إلى معانها.

إضافة إلى هذا.. فقد أسلفت أن طرق الأداء في بعض اللغات لا يتأتى كتابتها، ولا سبيل إليها إلا من خلال المشافهة، وهذه جزء من الأحرف، ولا يمكن تصوُّر كتابتها فدل ذلك كله أن عثمان أراد أمراً آخر غير لأحرف السبعة، وهو الرسم فحسب، فجعل الكتابة منهجاً واضحاً في الرسم، بحيث يكتب الرسم في حال الاختلاف على حرف قريش، ولا يعني أنه إذا كان

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (141,1)

الرسم على لغة قريش، أنه لا يُقرأ بغيره إذا صح، فالجهة منفكة بين المرسوم والمقروء.

ومما يؤكد انفكاك الجهة وعدم التلازم بين الرسم والقراءة، قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، فنسب الهبة له، وفي قراءة من قرأ: (ليهب لك)[١] فصارت الهمزة ياء، يكون الواهب هو الله.

لو كان الرسم ـ في هذه الحال وأمثالها التي يحتملها الرسم بوجه ما ـ قاضياً على القراءة، لقلنا: من قرأ بالياء فقراءته شاذة، وذلك ما لم يقل به أحد؛ بل أثبتوا هذه القراءة، لأن القراءة متلقاة بالمشافهة، وثابتة عن النبي ﷺ، والرسم يحتملها بوجه ما.

كذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤]، حيث رسمت ﴿بِضَنِينٍ﴾ في جميع المصاحف، ومع ذلك وُجد من قرأ بالظاء وليس الضاد، وكلا القراءتين صواب، ومن ثَمَّ يتبيَّن أن المراد ما يتعلق بالرسم فقط، أما الأوجه القرائية فلا يتأتى كتابة كل ما يتعلق بها، وطريقها المشافهة كما تقدم.

قول المؤلف: **(فأما ابن مسعود فأَبَى أن يُزال مصحفه فتُرِك، ولكن أَبَى العلماءُ قراءته سدّاً للذريعة، ولأنه روي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القرآن لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أثبت)**.

ذكر المؤلف ما فعله عثمان بالمصاحف التي كانت بين يدي الصحابة،

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿ليهب لك﴾ بالياء، وكذلك روى ورش عن نافع، وقرأ الباقون: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بألف، والمعنى واحد في ﴿ليهب﴾ و﴿لِأَهَبَ﴾، أراد: أرسلني الله ليهب لك، ومن قال: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ فهو على الحكاية المحمولة على المعنى، كأنه قال: أرسلت إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾، انظر: معاني القراءات، للأزهري (٢/ ١٣٢).

Black plate (142,1)

لم يكن بين أيديهم مصحف كامل، وإنما هي صحف كان فيها شيء من القرآن، فجمعوا هذه الصحف، واللخاف[١]، والرقاع التي كانت معهم، وخرقوها (أو حرقوها)، ولم يعترض إلا ابن مسعود رضي الله عنه فكان له مذهبه الخاص، وكان يرى أن يبقي مصحفه معه، ولهذا فإن أغلب القراءات الشاذة المنسوبة إلى الصحابة؛ هي منسوبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بسبب بقاء هذا المصحف الذي كان كتب فيه مجموعة من السور.

وأما ما ذكره المؤلف رحمه الله من أن ابن مسعود كتب فيه أشياء على جهة التفسير ففيه نظر، ذلك أنه لم يثبت عن أي واحد من الصحابة أنه كتب في مصحفه شيئاً غير القرآن[٢]، ولكن هذا الذي ذكروا أنها (تفسير) أو (قراءة تفسيرية)، فإنما هو تخريج عقلي لما رأوا من أن بعض القراءات تخالف الثابت من القراءات، فقالوا: إنها على وجه القراءة التفسيرية.

والذي يدل على أنها ليست تفسيراً ولا قراءة تفسيرية: أن التابعين الذين رووا عن هؤلاء الصحابة، هم أعرف الناس بهؤلاء الصحابة، ولم نجدهم يوماً ما قالوا في أحد هذه القراءات إنه فسر كذا، فإذا كان تفسيراً قالوا: فسر ابن مسعود قول الله تعالى كذا، أو: قال ابن مسعود. وإذا كانت تلاوة يقولون: قرأ ابن مسعود كذا، فهم أعلم بابن مسعود ممن جاء بعدهم، فلا يصح أن

(١) اللخاف واحدتها لخفة، وهي حجارة بيض دقاق، انظر: العين (٤/ ٢٦٥).

(٢) جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «لا تجعلوا فيه ـ أي: القرآن ـ ما ليس منه»، أخرجه ابن حبان في صحيحة، برقم (٤٤٢٩)، بسند حسن، وقال الألباني: صحيح، كذلك روى عنه ابن بطة في الإبانة الكبرى بسند فيه انقطاع، برقم (٢٥)، أنه قال: «القرآن كلام الله، فلا تخلطوا به ما ليس منه»، وقال ابن قدامة في رده على من زعم أن هذا النوع من القراءات يمكن أن يكون مذهباً للصحابي بقوله: «وقولهم: يجوز أن يكون مذهباً له، قلنا: لا يجوز ظن مثل هذا بالصحابة رضي الله عنهم فإن هذا افتراء على الله ـ تعالى ـ وكذب عظيم؛ إذ جعل رأيه ومذهبه الذي ليس هو عن الله ـ تعالى ـ ولا عن رسوله قرآناً، والصحابة رضي الله عنهم لا يجوز نسبة الكذب إليهم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولا في غيره، فكيف يكذبون في جعل مذاهبهم قرآناً؟ هذا باطل يقيناً»، انظر: روضة الناظر (١/ ٢٠٥).

Black plate (143,1)

يقال بأن عبارتهم: قرأ ابن مسعود كذا، إنها قراءة تفسيرية، بل يقال: قراءة آحادية.

ويشهد لهذا ما جاء عن علقمة (ت: ٦١)، قال: «دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء، فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إليَّ، فقال: اقرأ، فقرأت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١، ٢]، و(الذكر والأنثى)، قال: أنت سمعتها من فِي صاحبك؟ قلت: نعم، قال: وأنا سمعتها من فِي النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا»[(١)]، فكيف تكون هذه القراءة تفسيراً وقد وافقه أبو الدرداء على أنها قرآن[(٢)]، بيد أنه مما نُسِخ ورُفعت القراءة به، ولم يبلغ ذلك بعض الصحابة الذين كانوا ما يزالون يقرؤون بها.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات لا سيما فيما وافق خط المصحف، فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم رحمهم الله ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع.**

وأما شاذ القراءات فلا يصلَّى به، وذلك لأنه لم يجمع الناس عليه. أما أن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه.

وأما ما يؤثر عن أبي السَّمَّال ومن قاربه فلا يوثق به وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل والله المستعان).

بيَّن في هذا الكلام صيرورة القراءات بعد مصحف عثمان إلى القراءات السبع، واقتصر في حديثه عليها لكونها هي المشهورة في الأندلس والمغرب، بخلاف الثلاث المتممة للعشر، فلم يكن لها حظ من الشهرة عندهم، ولم يُقرأ

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٩٤٣).

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٣٦٤)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٣/ ٥٣٩).

Black plate (144,1)

بها في المغرب إلا في القرن الثاني عشر الهجري[١].

وقد أصبحت القراءات السبع مشتهرة ومنتشرة في الأمصار، وهي التي يصلَّى بها للإجماع عليها، ويترتب عليها غيرها من الأحكام.

أما الشاذ فالخلاف قائم بين العلماء في جواز القراءة بها أم لا، سواء أكان في الصلاة أم خارجها، فإذا قرئ بها في الصلاة، فهل تفسد صلاته أم لا؟[٢]، ولهذا وقع خلاف شديد جدّاً بين جماعة من علماء المغرب، وأثبت هذا الخلاف في (المعيار المعرب)[٣] في ما يقرب من مئة صفحة، وذلك أن أحد أئمة التراويح قرأ بقراءة شاذة وهي ثابتة، فحصل لغط في المسجد، وتلا ذلك مناقشات بين ابن لب (ت:٧٨٢)[٤]، وبين ابن عرفة (ت:٨٠٣)[٥] المالكيين، فكانت حجج ابن عرفة أصولية منتزعة من أصول الفقه، بينما ابن لب من علماء القراءة، وكانت حججه مأخوذة من واقع علم القراءات، فكل واحد منهما يمم وجهه إلى ما يحسنه من العلوم[٦]، فمن ذكر الخلافات الشاذة

(١) انظر: أسانيد القراءات ومنهج القراء في دراستها، للدكتور أحمد بن سعد المطيري (ص١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) الخلاف كبير بين الفقهاء، فقد يصل في المذهب الواحد إلى أكثر من قول في المسائل المذكورة في المتن، وكل مسألة منفكة عن الأخرى، ومحل ذلك الخلاف في كتب الفقهاء.

(٣) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي.

(٤) أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، التغلبي الغرناطي: نحوي، من الفقهاء العلماء، انتهت إليه رياسة الفتوى في الأندلس، ولي الخطابة بجامع غرناطة، انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ١٤٠).

(٥) أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، من كتبه (المختصر الكبير) في فقه المالكية، انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٤٣).

(٦) كان جواب ابن عرفة مشتملاً على بيان المراد بالقراءة الشاذة، واطلاق هذا المصطلح على قسمين، ثم انتقل إلى حكم القراءة بكلٍّ منهما في الصلاة وخارجها، ثم استرسل في حديثه عن قول ابن لب: من زعم أن القراءات السبع لا يلزم فيها التتواتر فقوله كفر، فما كان من ابن لب إلا أن أجاب بكتاب وسمه بـ (فتح الباب ورفع الحجاب =

Black plate (145,1)

من الأصوليين فمنطلقه أصولي، وليس من منطلق القراء، ومن تكلم عنها من طريق القراء، فمنطلقه قرائي في قضية ثبوت القراءة وعدم ثبوتها، فإذا ثبتت عند القراء استند الأصوليون إلى كلمة القراء واستفادوا منها.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كان المصحف غير مشكول ولا منقوط[١]، وقد وقع لبعض الناس خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب ومنازعات، اختصرت ذلك كراهة التطويل، وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح، والله المرشد للصواب برحمته)**.

حديثه هنا عن الصفة التي كان عليها المصحف عند رسمه، حيث ذكر أنه كان خالياً من الشكل كالفتحة والضمة والكسرة، ونقط الإعجام كالنقطة على الباء والنقطتين على الياء وهكذا، ونقط الإعراب وكذلك الضبط الذي يتعلق برسم الهمزة، والسكون، وكل هذا يسمى علم النقط، وسمي بعد ذلك بعلم الضبط.

وفي حديثه عن المراحل التي رسم بها المصحف، بدأ برسم الكلمة مجردة من النقط والشكل، ذلك أن الأصل عندهم كان منصبّاً على القراءة، ومن خلاله ينتقلون إلى الرسم، والذي كان مقصوداً لضبط القراءة، وحينئذ تندفع دعوى بعض المستشرقين من كون الصحابة كانوا في أمية ظلماء، فلا قراءة يجيدون، ولا كتابة يحسنون، ومن ثم وقعوا في إشكالات كثيرة، منها

= بتعقيب ما وقع في تواتر القرآن من السؤال والجواب)، انظر: المناظرة العلمية كاملة في المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (١٢/ ٦٨ ـ ١٤٧).

(١) قال أبو عمرو الداني: «والشكل والنقط شيء واحد، غير أن فهم القارئ يسرع الى الشكل أقرب مما يسرع الى النقط لاختلاف صورة الشكل واتفاق صورة النقط إذ كان النقط كله مدوراً فيه الضم والكسر والفتح والهمز والتشديد بعلامات مختلفة، وذلك عامته مجتمع في النقط غير أنه يحتاج أن يكون الناظر فيه قد عرف أصوله، ففي النقط الإعراب وهو الرفع والنصب والخفض، وفيه علامات الممدود والمهموز والتشديد في الموضع الذي يجوز أن يكون مخففاً والتخفيف في الموضع الذي يجوز أن يكون مشدداً»، انظر: المحكم في نقط المصاحف (ص٢٢).

Black plate (146,1)

كتابتهم للفظة ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، حيث اختلط الأمر عليهم، فلم يعوا الوجه الصحيح للفظة، أهي ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، أم (فتثبتوا)، فتخير كل واحد منهم نطقاً مباينا لنطق الآخر(١).

ومما يُرد به على هذه الشبهة، فيبدد ظلماتها، ويحسم مادتها، أن نقول:

لقد تقرر أن الصحابة ﷺ كانوا يجعلون القراءة أصلاً، والرسم فرعاً، وحين رسموا هذه الآية، رسموها من غير نقط، ورسمُ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، و﴿فتثبتوا﴾، واحد، والقراءتان ثابتتان عندهم، فكيف يحصل خلط في الرسم ولم يكن التعويل عليه عند جماهير الصحابة الذين كانوا يقرؤون بهذا وذاك، دون أن ينظروا في الرسم من أصله، قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣): «وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط»(٢)، فلو كان الرسم هو الأصل لما سلمنا بذلكم الكلام، فكيف وحقيقة الأمر أن جمهورهم لم يتكئوا عليه حتى يترتب إشكال، ومن ثم ينبني عليه ذلك الوصف، فإذا انتفت تلكم المقدمة، انتفى كل ما يترتب عليها من نتائج، واستحال وجودها، وإنما جردوا هذه اللفظة وغيرها: «من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين، فإن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه ﷺ ولا يمنعوا من القراءة به»(٣).

قول المؤلف: (أما أن المروي منه عن الصحابة ﷺ وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه).

---

(١) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي (ص٨ ـ ١٠).

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٧)، وذكر النويري نحوه، انظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر (١/ ١١٠).

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٣).

Black plate (147,1)

يقصد به القراءات المروية عنهم الخارجة عن القراءات التي اتفقت عليها الأمة، فإذا نُقِل عن هاتين الطبقتين فالظنُّ بهم أنهم لم يقرؤوا من عند أنفسهم، وإنما تلقوه تلقياً، ويكون مما تم رفعه ونسخه، والله أعلم.

قول المؤلف: (وأما ما يؤثر عن أبي السَّمَّال ومن قاربه فلا يوثق به وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل).

أبو السَّمَّال هو: قعنب بن أبي قعنب أبو السمال ـ بفتح السين وتشديد الميم وباللام ـ العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس وأسند الهذلي قراءة أبي السمال عن هشام البربري عن عباد بن راشد عن الحسن عن سمرة عن عمر، وهذا سند لا يصح[(١)]، وعلَّل ذكره مثل هذه القراءات الشاذة لئلا يجهلها القراء، ويبقى سؤال مهم، وهو: ما درجة الاستفادة من مثل هذه القراءة وما كان في درجتها؟

إن مثل هذه القراءة إذا كانت منسوبة إلى من هو عربي في عصر الاحتجاج فقيمتها لغوية فقط، وليس هناك مزيد فائدة عليها، فهي كأي كلام عربي، ولا فائدة فيها فيما يتعلق بالفقه.



(١) انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٧).

Black plate (148,1)

باب ذكر جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن في مدة رسول الله ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف، وفي جريد، وظُرَرُ[١]، وفي لخاف، وفي خزف وغير ذلك، فلما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن، مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأُبيّ، وزيد، وابن مسعود، فيذهب، فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضي الله عنه.

وروي أن في هذا الجمع سقطت الآية من آخر براءة حتى وجدها عند خزيمة بن ثابت، وحكى الطبري (ت:٣١٠) أنه إنما سقطت له في الجمع الأخير[٢]، والأول أصح[٣]، وهو الذي حكى البخاري إلا أنه قال فيه مع أبي خزيمة الأنصاري[٤]، وقال: إن في الجمع الثاني فقد زيد آية من

(١) **الظِّرُّ، والظُّرَرَةُ، والظُّرَرُ**: الحجر عامة وقيل: هو الحجر المدور المحدد وقيل: قطعة حجر له حد كحد السكين، والجمعُ ظُرّانٌ وظِرّانٌ، قال ثعلبٌ: ظُرَرٌ وظِرّان كجُرَذٍ وجِرْذانٍ، وقد تكونُ ظِرّانٌ وظُرّانٌ جَمْعَ ظِرٌّ كصِنْوٍ وصِنْوانٍ وذِئْبٍ وذُؤْبانٍ، انظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٣).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) انظر: الجامع المسند الصحيح، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٦٧٩).

(٤) قال الحافظ: «الأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة: أبو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب: خزيمة، وأبو خزيمة ـ الذي وجد معه آخر سورة التوبة ـ قيل: هو ابن أوس بن يزيد بن أصرم مشهور بكنيته دون اسمه، وقيل: هو الحارث بن خزيمة، وأما خزيمة: فهو ابن ثابت ذو الشهادتين»، انظر: فتح الباري (٩/ ١٥)، ومن ثَمَّ: فهما شخصان متغايران، فأبو خزيمة، غير خزيمة.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (149,1)

سورة الأحزاب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [٣٣]، فوجدها مع خزيمة بن ثابت(١)، وبقيت الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بن الخطاب بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود وما كتب عن الصحابة بالشام ومصحف أُبيّ وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.

فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية حسبما قد ذكرناه انتدب عثمان لجمع المصحف وأمر زيد بن ثابت بجمعه، وقرن بزيد فيما ذكر البخاري ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص (ت:٥٨)، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام (ت:٥٩)، وعبد الله بن الزبير، وكذلك ذكر الترمذي(٢)، وغيرهما(٣).

وقال الطبري (ت:٣١٠) فيما روي: إنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص وحده(٤)، وهذا ضعيف.

وقال الطبري أيضاً: إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير(٥)، وروي أن عثمان رضي الله عنه قال لهم: «إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش»، فاختلفوا في (التابوه)، و﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، قرأه زيد بن ثابت بالهاء، والقرشيون بالتاء، فأثبته بالتاء(٦)، وكتب المصحف على ما هو عليه غابر(٧) الدهر ونسخ عثمان منه نسخاً ووجّه بها

(١) انظر: الجامع المسند الصحيح، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٧٨٤).
(٢) الجامع الكبير، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، برقم (٣١٠٤).
(٣) شعب الإيمان، برقم (١٦٩).
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ٦٠).
(٥) المرجع السابق (١/ ٦١).
(٦) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، برقم (٣١٠٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو حديث الزهري، ولا نعرفه إلا من حديثه.
(٧) **الغابر**: من الأضداد، حيث تأتي بمعنى الماضي، وتأتي بمعنى الباقي، وهو الأشهر =

Black plate (150,1)

إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق، وتروى بالحاء غير منقوطة، وتروى بالخاء على معنى: ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك(١)، وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله (ت:٤٣٧) في تفسير سورة ﴿بَرَآءَةٌ﴾، وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة(٢).

هذا أحد ما قيل في براءة، وذلك مستقصى في موضعه موفى إن شاء الله تعالى، وظاهر الآثار أن السبع الطول، والحواميم، والمفصل، كان مرتباً في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب(٣)، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب.

وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان

= في كلام العرب، وهو مراد المؤلف هنا؛ أي: باقي الدهر، ومن ذلك قول عبيد الله بن عمر:

أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ يَنْمِينِي عُمَرْ خَيْرُ قُرَيْشٍ مَنْ مَضى ومَنْ غَبَرْ

أي: من بقي، ويقال: أنت غابر غداً، وذكرك غابر أبداً، انظر: تاج العروس (١٣/ ١٨٧).

(١) الانتصار للقرآن (٢/ ٤٧٠).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (٤/ ٢٩٠٦ ـ ٢٩٠٨)، وقد ذكر أهل العلم في هذا تعليلات عديدة، وقد رجح الشارح إحدى تلكم التعليلات، انظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٠١).

(٣) لم يقع خلاف بين الأمة في أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي ﷺ، إذ كان يقرؤه على الصحابة ليل نهار، ولم يسمع من أحدهم أنه خالف في ترتيب آية من الآيات، أما مسألة ترتيب السور فقد وقع فيها خلاف؛ هل كان بتوقيف من النبي ﷺ أم باجتهاد من الصحابة؟ انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٧)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١١ ـ ٢١٦)، المحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار (ص١٩٧).

Black plate (151,1)

(ت:٨٦)[١] أمر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج (ت:٩٥)[٢] بواسط[٣] وجد فيه وزاد تحزيبه وأمر وهو والي العراق الحسن (ت:١١٠)، ويحيى بن يعمر (ت:٨٩)[٤] بذلك[٥]، وألَّف إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات[٦]، جمع

(١) أبو الوليد عبد الملك بن مروان الخليفة الفقيه الأموي، ولد سنة ست وعشرين، سمع عثمان وأبا هريرة، وغيرهما، تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم غلب على جميع ديار المسلمين، وكان من فقهاء المدينة، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٩).

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي، مولده في سنة تسع وثلاثين، ولّاه عبد الملك الحجاز، فقتل ابن الزبير، ثم عزله عنها وولّاه العراق، وفي أيامه نقطت المصاحف، كانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء، انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٥٠٧ ـ ٥١٢).

(٣) مدينة واسط أحدثها الحجاج في سنة ثلاث وثمانين أو سنة أربع وثمانين وبنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها، وكانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب، وبينها وبين الأهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد، وقال ابن القرية: بناه في غير بلده ويتركها لغير ولده، لما فرغ الحجاج من واسط كتب إلى عبد الملك بن مروان أني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها واسطاً فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين، انظر: فتوح البلدان (ص٢٨٤).

(٤) المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو، من أوعية العلم وحملة الحجة، حدث عن أبي ذر الغفاري، وعمار وعن عائشة وأبي هريرة، وعدة، وقرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٢).

(٥) ذكر ابن كثير هذا بصيغة التمريض كما فعل المؤلف، فقال: «فأما نقط المصحف وشكله، فيقال: إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي»، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٠)، وذكر نحو هذا الكلام في فضائل القرآن (ص١٤٩)، وتبع القرطبي المؤلف في تفسيره (١/ ٦٣).

(٦) أي: يحيى بن يعمر، واستبعد بعض المعاصرين ذلك، فقال: «إن القرن الأول لم يكن عصر تأليف في أي فرع من فروع المعرفة، وإنما كان عصر رواية، وأنه إذا وجد في أحد المراجع أن يحيى بن يعمر كتب في القراءات فليس معنى هذا أنه دوّن مؤلفاً يعتد به، وهذا لا يقدح في مكانته العلمية وإسهامه في خدمة القرآن الكريم»، انظر: مدخل في علوم القراءات (ص٣٥)، وفي هذا الكلام نظر، إذ التدوين الشخصي موجود من عصر الصحابة، فقد كان عبد الله بن عمرو يكتب الأحاديث ويدونها، وكتب مجاهد في التفسير، فكيف يستبعد أن يكون يحيى بن يعمر قد كتب ودوّن ما تلقاه من شيخه أبي الأسود الدؤلي وغيره. وإنما الحال أنه لم يذكر هذا غير ابن عطية، ولم أقف على من ذكره غيره، والله أعلم.

Black plate (152,1)

فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألَّف ابن مجاهد كتابه في القراءات[١]، وأسند الزبيدي (ت:٣٧٩)[٢] في كتاب الطبقات[٣] إلى المبرد (ت:٢٨٦)[٤] أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩) وذكر أيضاً أن ابن سيرين (ت:١١٠) كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر (ت:٨٩)[٥].

وذكر أبو الفرج (ت:٣٥٦)[٦] أن زياد بن أبي سفيان (ت:٥٣)[٧] أمر أبا الأسود بنقط المصاحف، وذكر الجاحظ (ت:٢٥٠)[٨] في كتاب الأمصار أن نصر بن عاصم (ت:٩٠)[٩] أول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف، وأما وضع الأعشار فيه فمر بي في بعض التواريخ أن المأمون

(١) السبعة في القراءات.

(٢) إمام النحو، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي، الشامي، الحمصي، ثم الأندلسي، الإشبيلي، صاحب التصانيف، توفي: في جمادى الآخرة، سنة تسع وسبعين وثلاث مائة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٧).

(٣) طبقات النحويين واللغويين (ص٢١).

(٤) أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، الأخباري، صاحب (الكامل)، مات المبرد: في أول سنة ست وثمانين ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).

(٥) طبقات النحويين واللغويين (ص٢٩).

(٦) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني، صاحب كتاب الأغاني، ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة، انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٩).

(٧) زياد بن عبيد الثقفي، وهو زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه، أصابه طاعون في سنة ثلاث وخمسين، فمات منه، انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦).

(٨) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، صاحب التصانيف، أخذ عن النظام، مات سنة مائتين وخمسين، انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧).

(٩) نصر بن عاصم الليثي ويقال: الدؤلي البصري النحوي، تابعي، سمع من مالك بن الحويرث وأبي بكرة الثقفي، قال خالد الحذاء: هو أول من وضع العربية، مات سنة تسعين، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٣٦).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (153,1)

العباسي أمر بذلك وقيل: إن الحجاج فعل ذلك، وذكر أبو عمرو الداني (ت:٤٤) عن قتادة (ت:١١٧) أنه قال: بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا[١]، وهذا كالإنكار.



(١) المحكم في نقط المصاحف (ص٢).

Black plate (154,1)

الشَّرْح

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كان القرآن في مدة رسول الله ﷺ متفرقاً في صدور الرجال،... إلى قوله: وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب).**

أشار المؤلف إلى مسائل متفرقات، بدءاً بالصفة التي كان القرآن عليها زمن النبوة، ثم انتقل إلى الباعث لجمع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقرآن، وما صاحب ذلك من أمور؛ كاختيار زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا الجمع، والأمور التي واجهته في ذلك، ليتلو ذلك جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف تم ذلكم الجمع، ثم أشار إلى مسألة ترتيب الآيات التي قام الإجماع على أنها كانت بتوقيف من النبي ﷺ[(١)]، أما ترتيب السور فقد وقع فيه الخلاف أكان مصدره التوقيف أم الاجتهاد على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الترتيب طريقه التوقيف لا الاجتهاد، وهو قول بعض أهل العلم[(٢)]، واستدلوا بالآتي:

١ ـ قوله ﷺ: «**اقرءوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما**»[(٣)].

---

(١) قال الزركشي: «وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة وضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه»، انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٦)، وقال السيوطي: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد»، انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١١).

(٢) أسرار التكرار في القرآن (ص٦٨)، شرح السُّنَّة، للبغوي (٤/ ٥٢٢)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٦٧)؛ بل نسب الألوسي هذا القول للجمهور، انظر: روح المعاني (١/ ٢٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٨٠٤).

Black plate (155,1)

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تلادي»[(١)].

٣ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن»[(٢)].

○ وجه الدلالة من الأحاديث:

• أن هذه الأحاديث ذكرت بعض السور وفق ترتيبها في المصحف، وما سُكت عنه دل عليه ما ذُكر، إذ يبعد أن يرتب النبي ﷺ بعض السور ويترك بعضاً بلا سبب واضح.

• أن حديث زيد فيه دلالة على تأليف القرآن، أي: ترتيبه، ولفظ القرآن شامل لآياته وسوره.

واعترض على القول بالتوقيف بما في مصحف أُبي، وابن مسعود من خلاف لمصحف عثمان، ولو كان توقيفيّاً لم يقع فيهما اختلاف، كما لم يقع في ترتيب الآيات[(٣)].

وأجيب: بـ«أن القرآن وقع فيه النسخ كثيراً للرسم، حتى لسور كاملة، وآيات كثيرة، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة؛ كالقراءات التي في مصحفه، ولم يبلغ ذلك أُبيّاً وابن مسعود رضي الله عنهما كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني؛ ولذلك كتب أُبي في مصحفه سورة الحفد[(٤)]، والخلع[(٥)]،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٧٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم، كتاب التفسير، برقم (٢٩٠٠)، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أسرار ترتيب القرآن (ص٤٧).

(٤) سورة الحفد: اللَّهُمَّ إيّاك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك إنّ عذابك بالكفار ملحق، انظر: جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٢٠٣)، وقد نص الشيخ الشنقيطي على نسخها بالسُّنَّة، انظر: أضواء البيان (٢/ ٤٥١).

(٥) سورة الخلع: اللَّهُمَّ إنّا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك، ونؤمن بك ولا نكفرك، =

Black plate (156,1)

وهما منسوختان»[(١)].

وأمر آخر، وهو أن هناك فرقاً بين المصاحف الخاصة، وهذا المصحف العام الذي اتفق عليه الصحابة، فهذه المصاحف الخاصة يرجع ترتيبها إلى اجتهاد الصحابي، وأما المصاحف التي نسخها عثمان فقد حظيت بالاتفاق، ولم يقع أي نزاع في ترتيب سورها، سوى ما سيرد من سؤال ابن عباس لعثمان.

القول الثاني: أن الترتيب طريقه الاجتهاد لا التوقيف، وهو قول جمهور أهل العلم[(٢)]، واستدلوا بالآتي:

١ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها»[(٣)].

وجه الدلالة: أن ما جاء في الحديث خلاف ما هو موجود في المصحف، حيث قدمت هنا النساء على آل عمران، فدل على أن فعلهم كان عن اجتهاد.

وأجيب: بأن الحديث ورد في القراءة والتلاوة، وهي غير موطن النزاع، إذ لا خلاف في جواز وقراءة السور على غير ترتيبها، وإن كان الأولى قراءتها مرتَّبة، ومحل النزاع هو اعتقاد موافقة ترتيب القرآن في المصاحف لتعليم النبي ﷺ لهم أو باجتهاد من الصحابة[(٤)].

= ونخلع ونترك من يهجرك، انظر: جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٢٠٣)، وقد نص الشيخ الشنقيطي على نسخها بالسُّنَّة، انظر: أضواء البيان (٢/ ٤٥١).

(١) أسرار ترتيب القرآن (ص٤٨).

(٢) إكمال المعلم (٣/ ١٣٧)، البرهان في تناسب سور القرآن (ص١٨٢)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٦)، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (ص٢٣٢)، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٧٧٢).

(٤) اللآلئ الحسان في علوم القرآن (ص٤٢).

Black plate (157,1)

٢ ـ ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا ـ بينهما ـ سطراً: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟

قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: **ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**، وينزل عليه الآيات، فيقول: **ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**، وينزل عليه الآية، فيقول: **ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيِّن لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطراً: بسم الله الرحمٰن الرحيم»[(١)].

❍ ويجاب عن الاستدلال بهذا الحديث من عدة وجوه:

• إن الأثر يدل على أن سور القرآن كانت مرتبة من لدن النبي ﷺ عدا سورة التوبة لم يُدر أين ترتيبها، فحصل ما ذكره عثمان.

• أنه مما اتُّفق عليه عدم نزول البسملة مع سورة براءة، وقد علل العلماء ذلك بتعليلات غير التعليل الوارد في الأثر، من أحسنها تعليل من قال: إن جبريل لم ينْزل بها[(٢)].

• أن سورة الأنفال ليست أول ما نزل في المدينة، فهي نزلت بعد غزوة بدر، فكيف يخفى على عثمان رضي الله عنه ـ وهو من علماء القرآن ـ نزول غيرها

(١) رواه أحمد في المسند، مسند الصحابة بعد العشرة، برقم (٣٩٩).
(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٦٣).

Black plate (158,1)

قبلها؟!، **فإن قيل**: لعله يريد: من أول، فتكون الأولية نسبية، **فالجواب**: أنه لا يظهر من الخبَر غير الأولية المطلقة، ثمَّ إنها لا تصلح لأن تكون من الأولية النسبية؛ لأنه نزل قبلها عدد من السور والآيات، وقد مضى على رسول الله ﷺ سنة وأكثر قبل غزوة بدر، فهل يُتصوَّر عدم نزول قرآن في هذه الفترة، حتى تأتي غزوة بدر وينْزل عليه من سورة الأنفال ما نزل؟!.

• أن الأثر ـ وإن كان العلماء المتقدمون يستدلون به من غير نكير على سنده أو متنه ـ في سنده مقال، وفي متنه شيء من نكارة[(١)].

القول الثالث: الجمع بين القولين، وهو أن الترتيب طريقه التوقيف في بعض السور لا الجميع، وهو اختيار المؤلف، وبعض أهل العلم، واستدلوا:

أن بعض النصوص تدل على ترتيب بعض السور بالتوقيف، كما أن هناك نصوصاً أخرى تدل على وقوع الاجتهاد في ترتيب السور.

○ النتيجة:

أيّاً يكن، فإن هذا الخلاف لا ثمرة له، فسواء أقلنا إن طريق الجمع كان بالاجتهاد أو التوقيف، فإن هذا المصحف الموجود بين أيدينا بهذا الترتيب أجمع عليه الصحابة[(٢)]، ولا تجوز مخالفة الاجماع؛ بل يتعين اتباعه والعمل بما دل عليه.

وقصارى ما في القول بالتوقيف في الترتيب النظر في حكمة هذا الترتيب، وهو الذي انبنى عليه الكتابة في المناسبات بين السور، وحديث ابن عباس مع عثمان يدل على أنهم راعوا هذه المسألة اجتهاداً منهم، ومعنى ذلك: أن القول بالتوقيف أو الاجتهاد يتساوى فيهما البحث عن المناسبات، وإن كان التوقيف أولى في هذا.

---

(١) للاستزادة، انظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٩٧ ـ ٢٠٤)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ص٥١ ـ ٥٥) جميعها لمساعد الطيار.
(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (ص١٨٢).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (159,1)

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان (ت:٨٦) أمر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج (ت:٩٥) بواسط وجدّ فيه وزاد تحزيبه وأمر وهو والي العراق الحسن (ت:١١٠)، ويحيى بن يعمر (ت:٨٩) بذلك، وألف إثر ذلك بواسط كتاب في القراءات...)** إلخ.

بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مسألة شكل المصحف ونقطه، وقد كان مجرداً من ذلك حال كتابته، وبقي على ذلك حتى جاء أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩) فنقط المصحف بالحمرة استجابة لطلب زياد بن أبيه[(١)]، فما كان منه إلا أن قال: «ابغوا لي رجلاً وليكن لَقِناً، فطُلِبَ الرجلُ، فلم يوجد إلا في عبد القيس، فقال أبو الأسود: إذا رأيتني لفظت بالحرف فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيت قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين»[(٢)]، ويمكن تدوين الملاحظات الآتية على عمل أبي الأسود:

١ ـ أن أبا الأسود اعتمد على وضع الشفتين في تمييز نوع الحركة.

٢ ـ أنه اعتمد النقطة ومكانها في الدلالة على الحركة.

٣ ـ أن عمله هذا صار ـ فيما يبدو ـ أصلاً للمصطلحات النحوية الثلاثة: الفتحة والكسرة والضمة.

---

(١) «بعث زياد إلى أبي الأسود، فقال: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مر به أبو الاسود رفع الرجل صوته فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٣]، بجر لفظة: (رسوله)، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت»، انظر: المحكم في نقط المصاحف (٣ ـ ٤) بزيادة يسيرة.

(٢) المحكم في نقط المصاحف (٦ ـ ٧)

Black plate (160,1)

٤ ـ يظهر أن أبا الأسود ضبط أواخر الكلمات، ولم يضبط غيرها، وهذا يدل على أن المراد حماية كلام العرب من الوقوع في اللحن المتعلق بالحركات.

٥ ـ أنه اعتمد المداد الأحمر للنقط؛ ليتميز عن رسم الحروف الذي كان باللون الأسود[١].

ثم أتى يحيى بن يعمر (ت:٨٩)، وعاصم الجحدري (ت:١٢٩)[٢]، فوضعوا نقط الإعجام، فالنون عليها نقطة، والباء تحتها نقطة، والتاء فوقها نقطتان، والثاء عليها ثلاث، والشين كذلك، والسين مجردة من النقط، وهكذا، فعملوا جميع النقط، ولما كانت صغيرة، لم يحوجهم ذلك أن يجعلوها بمداد غير المداد الأسود: بل جعلوها بالمداد الأسود لأمن اللبس والاختلاط في الكلمة وتغير بنيتها بذلك.

ثم تلا هذين العَلَمَين الخليلُ بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥)، ووضع الشكل، ولكنه لم يضعه للقرآن، وإنما وضعه للكُتَّاب يشكلون به الشِّعر، وما يُشكِل من الألفاظ إذ لم يكونوا يشكلون كل حرف، وسمي شكلاً لأنه يُشَكَّل به ما يُشْكِل من الكلام فقط، ثم انتقل هذا الشكل من الحركات إلى المصاحف، وصار معمولاً به إلى اليوم، وصار الشكل للكلمة كلها كاملة، فنجعل الفتحة والضمة والكسرة والتنوين وغيرها من علامات الخليل لضبط قراءة الكلمة والتنوين بين المشتبهات في الرسم.

أشار المؤلف بعد ذلك إلى تعشير المصاحف، وهو وضع علامة في المصحف: عند منتهى كل عشر آيات، والتخميس: عند منتهى كل خمس

(١) انظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية (ص٥٠٤ ـ ٥٠٥).

(٢) أبو المجشّر عاصم بن العجاج الجحدري البصري بن أبي الصباح، قرأ على يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، أخذ عنه سلام أبو المنذر، وجماعة قراءة شاذة فيها ما يُنكر، كان من عُبَّاد أهل البصرة وقُرّائهم، انظر: التذييل على كتب الجرح والتعديل (١/ ١٤٧).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (161,1)

آيات[١]، وقد دخل هذا العمل في عصر الصحابة ﷺ، ويدل على ذلك مجموع روايات أتت منهم في إنكار هذا الأمر، من ذلك ما جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يكره التعشير[٢]، وكل ذلك حرصاً على القرآن أن يختلط بغيره، أو يدخل فيه مما ليس منه، وقد ينشأ جيل فيظنه من القرآن، وهو ليس كذلك.

لكن الناظر إلى المصاحف اليوم لا يجد تخميساً أو تعشيراً، ولعل السبب في ذلك وجود أرقام الآيات التي استغني بها عن التخميس والتعشير، وساعدت في ضبط عدد الآيات في المصحف، وأعانت من يروم حفظه في صدره.

(١) انظر في بعض العلامات المستخدمة في التخميس والتعشير: كتاب علوم القرآن الكريم بين المصادر والمصاحف دراسة تطبيقية في مصاحف مخطوطة، للأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد (ص١٥٠ وما بعدها).

(٢) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٣٩٤) بسند حسن، وكذلك جاء عند غيره، وقد تصحف لفظ: (التعشير) بالتفسير عند ابن الجزري، فقال: «ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآنا فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه، لكن ابن مسعود ﷺ كان يكره ذلك ويمنع منه فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير في القرآن، انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | [17x24] z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d

Black plate (162,1)

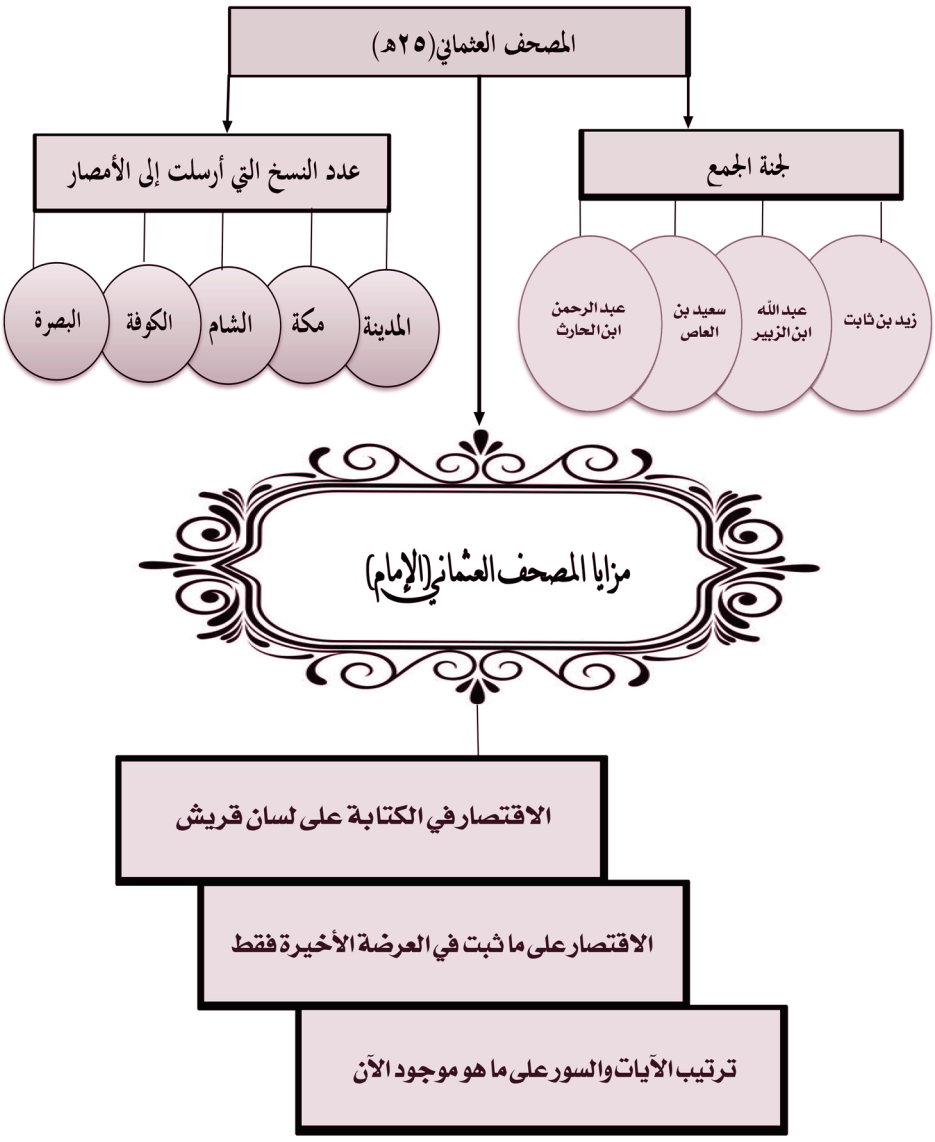

Black plate (163,1)

باب في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق

«اختلف الناس في هذه المسألة، فقال أبو عبيدة (ت:٢١٠)[١] وغيره[٢]: إن في كتاب الله تعالى من كل لغة، وذهب الطبري (ت:٣١٠)[٣] وغيره[٤] إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغتان فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد،

(١) الصواب: أنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وليس أبا عبيدة معمر بن المثنى، وزيادة التاء لعلها من النساخ، ذلك أن أبا عبيدة يقول: «نزل القرآن بلسان عربى مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن ﴿طه﴾ بالنّبطيّة فقد أكبر، وإن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة وشعار لها، وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها، فمن ذلك الإستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الدّيباج، والفرند، وهو بالفارسية إستبره وكوز وهو بالعربية جوز وأشباه هذا كثير، ومن زعم ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ بالفارسية فقد أعظم، من قال: إنه سنك وكل إنما السجيل الشديد»، انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧ ـ ١٨)، أما أبو عبيد فيقول ـ بعد أن حكى المذهبين ـ: «أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيّاً بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، عجمية الأصل، فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً»، انظر: غريب الحديث (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٢) نسب إلى جماعة من أهل العلم؛ كعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهما، انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٨)، الاتقان في علوم القرآن (٢/ ١٢٦).

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ١٥).

(٤) كالشافعي والذي يعتبر من أوائل من أصّل لهذه القاعدة، انظر: الرسالة (ص٣٤)، ونسب الزركشي وابن حجر هذا القول إلى جماهير أهل العلم، انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٨)، فتح الباري (٣/ ٢٣).

Black plate (164,1)

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦]، قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة قام من الليل[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال أبو موسى الأشعري: كفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة[(٢)]، وكذلك قال ابن عباس في القسورة: إنها الأسد بلغة الحبشة[(٣)] إلى غير هذا من الأمثلة.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهي عربية بهذا

(١) ذكره البخاري معلقاً، كتاب التهجد، قال الحافظ: وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه، انظر: فتح الباري (٣/ ٢٣).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٣)، وفيه محمد بن حميد الرازي، متروك، انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، وعنبسة هو: ابن سعيد الرازي كما في تهذيب الكمال، وليس عبسة، وهو ثقة، وقد يخطئ، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١٣٨)، وأبو إسحاق، هو: السبيعي، وحاله معروف.

(٣) رواه ابن جرير، وفي سنده علي بن زيد، وهو ضعيف، انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٣٧).

Black plate (165,1)

الوجه[١]، وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد؛ بل إحداهما أصل، والأخرى فرع في الأكثر، لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذّاً»[٢].



(١) هذا مذهب بعض العلماء، وهو الذي ارتضاه ابن قدامة في روضة الناظر (١/ ٢١٢)

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٥١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (166,1)

الشَّرْح

اقتدى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر هذا الباب بالطبري (ت: ٣١٠)، وجنح إلى الإيجاز والاختصار بخلاف الطبري، الذي استرسل فيه وأطنب، وتوصل إلى ما ذكره المؤلف عنه، وإن كان الطبري قد سبقه غيره إلى ما أدى إليه اجتهاده في هذه المسألة، والكلام في هذه المسألة معلوم ومشهور، ولا يقتصر ذكره لدى المفسرين فحسب؛ بل إن الأصوليين يتناولونه في مباحث أول الأدلة عندهم وهو الكتاب، وكذلك بعض اللغويين كما فعل ابن فارس (ت: ٣٩٥)، حيث ذكر المسألة ثم بيَّن رأيه فيها، ومنع من وجود أي لفظٍ بغير العربية في القرآن، وتعرض لكلام أبي عبيد (ت: ٢٢٤)[(١)]، فقال فيه: «أتى بأمر عظيم وكبير، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتي بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه.

وإذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير معجزة. وإنما أمر الله جلَّ ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز، ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها، وهذا لا يقوله أحد»[(٢)].

والناظر إلى كلام المؤلف يجد أنه صدر حديثه بذكر الخلاف، والأولى قبل إبراز محل الخلاف أن نعمد إلى ذكر محل الاتفاق، لتتضح معالم هذه المسألة،

(١) الإمام ذو الفنون أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله، مولده سنة سبع وخمسين ومائة، قرأ القرآن على الكسائي، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠ ـ ٤٩٥).

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص٤٦ ـ ٤٧).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (167,1)

ذلك أنه «لا بد قبل الشروع في الاستدلال من تحرير محل النزاع، ليتوارد النفي والإثبات على محل واحد[١]، فنقول: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، كما أجمعوا على أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح، ولوط، واختلفوا: هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟[٢]، مثل: ﴿كِفْلَيْنِ﴾، ومثل: ﴿نَاشِئَةَ﴾، و﴿قَسْوَرَةٍ﴾، وذكروا غير هذه الأمثلة[٣].

لقد تباينت أقوال العلماء في هذه المسألة:

- فمنهم مؤيد لوجود ألفاظ أعجمية.
- ومنهم ناف، وموجه لما ثبت عنده من الأئمة.
- ومنهم من رام جمعاً بين القولين كما فعل المؤلف.

ومن يتأمل كلام السلف يجد أن قولهم حبشية، أو بلسان كذا، لا يريدون نفي عربيتها أصالة؛ بل يؤول قولهم إلى أن هؤلاء يتفقون معنا في هذه اللفظة، وهم يكشفون عن المعنى بتلك اللغة، ولا يتعرضون لذكر عربيتها لكون ذلك معلوماً، فلا يحتاجون لبيانه، ولا يعدو هذا أن يكون «. . . الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس، وغير ذلك ـ مما يتعب إحصاؤه ويمل تعداده، كرهنا إطالة الكتاب بذكره ـ مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها»[٤].

إن هذا التوجيه من الطبري (ت: ٣١٠) رأى ابن عطية بُعده، وأنه لو

(١) المواقف، للإيجي (١/ ١٢٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩٩).
(٣) نظم السبكي الكلمات التي قيل بأنها أعجمية، ثم استدرك ابن حجر فزاد في ذلك، ثم السيوطي استدرك على ابن حجر، انظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص١٧٠ ـ ١٧٨).
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ١٥).

Black plate (168,1)

حصل لكان في اليسير دون الكثير، ولو عرف تاريخ اللغات؛ لبادر إلى موافقة الطبري لا إلى معارضته.

ومن جهة أخرى، لو نظرنا في الأمثلة التي ساقها المؤلف، وأردنا أن نعرف أعربية هي أم لا؟ فإن من الطرق المعينة على ذلك معرفة أصل الكلمة بالنظر إلى قابليتها للاشتقاق[١]، فلو أخذنا ﴿نَاشِئَةَ﴾، ونظرنا فيها، فإننا نجد ما قاله القرطبي (ت: ٦٧١): «ناشئة الليل؛ أي: أوقاته وساعاته؛ لأن أوقاته تنشأ أولاً فأولاً، يقال: نشأ الشيء ينشأ: إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شي، فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ، ومنه: نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله، فناشئة: فاعلة من نشأت تنشأ فهي ناشئة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨]، والمراد: إن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم، فالتأنيث للفظ ساعة؛ لأن كل ساعة تحدث، وقيل: الناشئة مصدر بمعنى: قيام الليل كالخاطئة والكاذبة؛ أي: إن نشأة الليل هي أشد وطئاً، وقيل: إن ناشئة الليل قيام الليل، قال ابن مسعود: الحبشة يقولون: نشأ؛ أي: قام[٢]، فلعله أراد أن الكلمة عربية، ولكنها شائعة في كلام الحبشة، غالبة عليهم»[٣]، فتأمل كيف رد أن تكون حبشية الأصل بما قدمه من تصريف هذه الكلمة، وقل مثل ذلك في ﴿كِفْلَيْنِ﴾، و﴿قَسْوَرَةٍ﴾.

لقد بيَّن العلامة أحمد شاكر (ت: ١٣٧٧) أن القول بوجود ألفاظ أعجمية

---

(١) الاشتقاق ممتنع في الكلمات الأعجمية على الصحيح، قال ابن عصفور: لا يدخل الاشتقاق في ستة أشياء وهي: الأسماء الأعجمية: كاسماعيل، انظر: الكليات (ص١١٧)، وقال أبو حيان: لأن الاشتقاق من الألفاظ العربية قد نص التصريفيون على أنه لا يكون في الأسماء الأعجمية، انظر: البحر المحيط (١/ ٢٢٣)، وقال السمين الحلبي: الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق ولا تصريف، انظر: الدر المصون (١/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، برقم (٣٨٦٦)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح.

(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ٣٩).

Black plate (169,1)

لم يكن لقائليه مستند إلا إعظاما لمن روي عنهم ذلك، وتناسوا أمرين مهمين في هذا، وهما:

- تمحيص الروايات التي جاءت عنهم من حيث الصحة وعدمه.
- التحقيق عن صحة هذه الحروف في كلام العرب.

ثم نفى ذلك القول محتجّاً بأن «العرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانية، والعبرية والسريانية وغيرها بله الفارسية، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ، فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعله من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف؛ أي: اللفظ وحده، ثم تزيد بعض العلماء المتأخرين وتكاثروا في ادعاء العجمة لألفاظ من حروف القرآن، وكلما رأى أحد كلمة فيها شبهة رأيٍ في عجمتها، طاروا بها، وجمعوها إلى ما عندهم»[(١)].

(١) انظر: مقدمة تحقيق المعرب، للجواليقي (ص١١ ـ ١٤).

Black plate (170,1)

نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

«اختلف الناس في إعجاز القرآن بم هو؟ فقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق، وفيه وقع عجزها[١]، وقال قوم: إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة[٢]، وهذان القولان إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه.

وأما من هو في ظلمة كفره فإنما يتحدى فيما يبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه، وأن البشر لا يأتي بمثله ويتحقق مجيئه من قبل المتحدي، وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ. فإذا تحديت إلى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده.

وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه[٣]، ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٢٦٠).
(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/ ١٧٩)، إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٣٣).
(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٢٦٠).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (171,1)

معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً.

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه(١)، والصحيح: أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل.

كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبيَّن لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام.

ألا ترى ميز الجارية نفس الأعشى، وميز الفرزدق نفس جرير من نفس ذي الرمة، ونظر الأعرابي في قوله: «عز فحكم فقطع»، إلى كثير من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً، فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب أنه لما جاء محمد ﷺ به وقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال: «والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون»(٢)، وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص١٨٤).

(٢) المصادر التي وقفت عليها تنسب القول لعتبة بن ربيعة، انظر: سيرة ابن إسحاق (ص٢٠٧ ـ ٢٠٨)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٩٤)، قال الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي: هذه القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي: ١/ ١٨٥، من سيرة ابن هشام، بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، ووصله عبد بن حميد، =

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (172,1)

أنه لا يقدر بشر على مثله، فصح عنده أنه من عند الله تعالى.

فمنهم من آمن وأذعن، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره ففر إلى القتال، ورضي بسفك الدم عجزاً عن المعارضة، حتى أظهر الله دينه، ودخل جميعهم فيه، ولم يمت رسول الله ﷺ وفي الأرض قبيل من العرب يعلن كفره، وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء، وفي معجزة موسى بالسحرة فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره، فكأن السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطب في زمن عيسى، والفصاحة في مدة محمد عليهم الصلاة والسلام»[(١)].

= وأبو يعلي، والبغوي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله عنه، كما في تفسير ابن كثير: ٤/ ٩٠ ـ ٩١، وسنده حسن إن شاء الله، انظر: فقه السيرة (ص١١٦).

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٥٣).

Black plate (173,1)

الشَّرْح

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اختلف الناس في إعجاز القرآن بم هو؟ فقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق، وفيه وقع عجزها)**.

استعرض المؤلف هنا مجموعة من الآراء التي اجتهد أصحابها في الوصول إلى ماهية الإعجاز في القرآن، فافتتح حديثه برأي بعض الأشاعرة المتقدمين، حيث ذكروا أن التحدي وقع بكلامه القديم القائم بنفسه[(١)] ـ وهذا رأي الأشاعرة في كلام الله ـ فثبت به الإعجاز.

ويُعترض عليه بأن هذا ليس مناط الإعجاز، إذ كيف يكون مناط الإعجاز شيء لا يمكن إدراكه؟ ومن ثَمَّ كان هذا القول من أضعف ما قيل في هذا الباب، ولهذا ردَّه المؤلف[(٢)].

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال قوم: إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة، وهذان القولان إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه، وأما من هو في ظلمة كفره فإنما يتحدى فيما يبيّن له بينه وبين نفسه عجزه عنه، وأن البشر لا يأتي بمثله ويتحقق مجيئه من قبل المتحدي)**.

---

(١) قول الأشاعرة في الكلام يعتبر من أهم ما يتميزون به، يقول شيخ الإسلام في هذا الصدد: مسألة الكلام التي امتاز بها عن ابن كلاب والأشعري عن غيرهما، وإلا فسائر المسائل ليس لابن كلاب والأشعري بها اختصاص؛ بل ما قاله، قاله غيرهما، إما من أهل السُّنَّة والحديث، وإما من غيرهم، بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام، وأتبعه عليه الأشعري، فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك حد، ولا وافقه عليه من رؤوس الطوائف، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٨ ـ ٩٩).

(٢) وانظر أيضاً: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٢٦٠).

Black plate (174,1)

بيَّن أن ما تضمنه من الإخبار عن المغيبات لا يؤتي أكله ولا يظهر نفعه إلا لمن أقر بالشريعة، أما من نأى منها ونهى عنها، فهو مكذب بما تضمنته أيضاً، بيد أننا نقول: إن هناك جانباً عقليّاً لمن لم يقر بالشريعة في قضية الغيب، يمكن أن يُتوصل من خلاله إلى ما نريد مع من يكفر بالقرآن، فلو نظرنا إلى قول الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، نجد أن الله أخبر أن أبا لهب قد خاب وخسر، وهذا يعني: أنه سيموت مكذباً للدعوة وكافراً بها، ومعلوم أن أبا لهب نصب للنبي ﷺ العداء والشر، ونأى بنفسه عن الخير والهدى، ولجَّ في غمرة الشرك والهوى، فلا يعتري هذا الأمر أي نزاع؛ بل يشهد بكفر أبي لهب الموافق والمخالف.

إذا تقرر ذلك، فإن الوعيد الذي حكاه الله بحق أبي لهب كان من أوائل ما نزل من القرآن، وقد عاش أبو لهب بعدها سنوات عدة، وما اهتدى إلى أن يتظاهر كذباً فيقول: إن القرآن يتوعدني بالنار، وهذا يؤكد أنني سأظل مصرّاً على موقفي من دين الإسلام، ولكن هأنذا أعلن إسلامي، واتبع النبي ﷺ، وحينئذ يثبت بفعلي كذب ما يخبرنا به محمد ﷺ.

ولكن هذا لم يقع؛ بل مات مكذباً وكافراً فصدق فيه هذا الخبر، ومثل هذا ما حكاه الله ـ سبحانه ـ عن اليهود فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ [الجمعة: ٧] و﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [البقرة: ٩٥].

وحينئذٍ فإن هناك جانباً في المغيبات يمكن إثباته من جهة العقل، لكن ليس مناط الإعجاز؛ بل دليل من أدلة الصدق.

ولا يكون الإخبار بالغيب دليلاً إلا للأنبياء، أما غيرهم من الكهنة والسحرة والعرافين وغيرهم ممن يدعون معرفة ما في المغيبات، وذلك من خلال الوشائج التي أقاموها بينهم وبين الشياطين، فيزودونهم بشيء من الغيب النسبي، الذي قد يفتري معه مائة كذبة كما جاء في الحديث[1]، فلا يكون

(١) جاءت أحاديث عدة تدل على هذا، فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقّاً قال: **تلك الكلمة الحق** =

Black plate (175,1)

دليلاً من أدلة الصدق، إذ الصدق مغمور في بحار الكذب الذي يخبر به.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ. فإذا تحديت إلى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده، وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه)**.

هذا الوجه عليه أكثر العلماء[(١)]، وهو متعلق برصف القرآن ونظمه العربي وفصاحته، وإن كانت الدلائل كثيرة، لكن من الدلائل أن هذا الوجه هو الذي ينتظم عليه جميع سور القرآن، ويشهد له أن هذا النوع يقع التحدي به في أي سورة من السور، بخلاف غيره مما ذكروه من أنواع الإعجاز، فلو تأملنا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، فليس فيها، أي: شيء مما ذُكر من الأمور التي ظن أصحابها وقوع التحدي بها؛ كالإخبار بالغيوب، ونحوها، فهل يقال أنها غير متحدى بها لكون الأمور التي ذكروها منتفية عنها؟

= **يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة»**، متفق عليه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله؛ كالسلسلة على صفوان** ـ قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك ـ **فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر** ـ ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض ـ **فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض** ـ وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض ـ **فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقّاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء»**، أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٧٠١).

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي (ص٢٤).

Black plate (176,1)

لا يستريب عاقل في خطأ هذا.

ومما يجب التنبيه عليه ولفت النظر إليه، التفريق بين المتحدَّى به ووجوه الإعجاز الأخرى المذكورة عند العلماء، فالمتحدَّى به مقصور على (النظم العربي)، أما وجوه الإعجاز الأخرى التي ذُكرت ـ التي يصح أن يُطلق عليها دلائل صدق ـ فلا علاقة لها بالوجه المتحدَّى به، فإذا فرقنا بين الأمرين تبين الأمر واتضح.

ذلك أن دلائل الصدق في القرآن متنوعة وكثيرة، فالإخبار بالمغيبات دليل من دلائل الصدق، وكذا كل ما قيل فيه إنه من وجوه إعجاز القرآن راجع إلى كونه من دلائل صدق القرآن؛ بل إن التحدي نفسه من دلائل صدق القرآن، ولو كان من أنشأ مصطلح (الإعجاز) من المتكلمين ـ ثم من تبعهم ـ تنبَّه لانضباط المصطلح من عدمه، لوجد أن التعبير بدلائل صدق القرآن أدق من التعبير بالإعجاز، ويدخل فيه كثير مما يحكى أنه من إعجاز القرآن، دون أن يعتريه خلل أو اضطراب.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً،.... إلى قوله: لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام)**.

بيَّن في هذا الكلام وجه الإعجاز، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضع الكلمة التي لا يقدر أحد من البشر مهما أوتي من الفصاحة أن ينتزعها ويأتي بلفظة أخرى مكانها، بحيث تحمل من أداء المعنى، وجمال اللفظ في موقعه، وحلاوة الأسلوب كما هي اللفظة القرآنية، ومن ثَمَّ يتبين بطلان ما ذهب إليه النظام من القول بالصرفة[(١)]، وهي أن الله تعالى صرف همم المتحدَّين عن معارضته مع قدرتهم عليها، وذلك إما بسلب قدرتهم، وإما بسلب دواعيهم، وإما بسلب العلوم التي لا بدَّ منها في الإتيان بمثل القرآن، بمعنى: أنها لم تكن حاصلة لهم، أو بمعنى: أنها كانت حاصلة فأزالها الله تعالى، أي: كان عندهم العلم

(١) النكت والعيون (١/ ٣٣)، المواقف، للأيجي (٣/ ٣٧٨).

Black plate (177,1)

بنظم القرآن، والعلم بكيفية تأليف كلام يساويه أو يدانيه، والمعتاد أن من كان عنده هذان العلمان يتمكن من الإتيان بالمثل، إلا أنهم كلما حاولوا ذلك أزال الله تعالى عن قلوبهم تلك العلوم[١].

وهذا القول مردود وغير مقبول، تشهد الأدلة المتضافرة ببطلانه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، «فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً غيره، وليس فيه صفة إعجاز؛ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله، وأيضاً يلزم من القول بالصرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى، ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة»[٢].

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ألا ترى ميز الجارية نفس الأعشى...)** إلخ.

بيَّن في هذا قدرة العرب على تمييز الكلام بعضه من بعض، ومعرفة الفصيح منه من غيره، وذلك من خلال الملكة التامة التي كانوا يتصفون بها في هذا الأمر، إذ بلغوا الغاية القصوى في الذوق العربي السليم، فلو سمع أحدهم كلاماً مجانباً لأساليب العرب وبلاغتهم لضرب عنه صفحاً ومجَّه، وأبان حجم الخلل الذي اعتراه، مما يجعله كاسداً في سوق الفصاحة والبيان، ولما كانوا بهذه القدرة العالية في تمييز الكلام؛ عرفوا بلاغة القرآن، وبديع لفظه مما جعلهم يفرون من التحدي إلى اختيار القتال وسفك الدماء، ولو كانوا قادرين على المجيء بمثله لاكتفوا بالإتيان بأقل ما كانوا يطالبون به،

(١) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٨٤).
(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٩٤).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (178,1)

وسلموا من الحرب التي تذر النساء أيامى والولدان يتامى، وهذه دلالة عقليه ذكرها الخطابي في رسالته في إعجاز القرآن[١].

الأمر الآخر، وهو الذي أشار إليه المؤلف من كون المعجزة تأتي من جنس ما اشتهر به القوم المرسل إليهم، أقول: وهذا غير لازم؛ لأن شرط المعجزة مقصور على فهم القوم لها، سواء أكانت من جنس ما برع به القوم أو غير ذلك؛ فمعجزات الأنبياء كثيرة، ومتنوعة، وغير مقصورة على شيء واحد، فكون العرب تميزوا بالفصاحة، وقوم موسى كان فيهم من يجيد السحر، لا يعني جريان جميع المعجزات على هذا الأمر، ويشهد لهذا قوله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[٢]، والمعنى: «ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذي من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشاهد إلى الإيمان به»[٣]، ولم يرد في كلامه ﷺ ذكر ذلكم القيد الذي ينص على بروع القوم بجنس المعجزات.

كذلك أيضاً يجب التنبيه على أن دخول الناس في دين الله لا يلزم منه فهم الإعجاز ولا المعجزة، إذ قد يظن ظان تلازمهما، وعدم انفكاكهما، والصواب: أنه ليس كذلك؛ بل انقياد الناس لهذا الدين متنوع الأسباب، ومتعدد الظروف والأحوال، ولا يشترط في هداية الناس إلى الإسلام عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، ذلك أن الواقع يرد هذا؛ بل قد يدخل الشخص في الإسلام ويستمسك بمعالمه دون أن يكون شام لقضية الإعجاز بارقة.

فإعجاز القرآن أو التحدي به كان منوطاً بالعرب ومن حاله كحالهم، لكن ليس هو مقتضى الإيمان، فدلائل الصدق المتعددة هي التي كانت سبباً في إيمان كثير من الناس، وليس إعجاز القرآن وإدراكه.

(١) بيان إعجاز القرآن (ص٢١ ـ ٢٢).
(٢) متفق عليه.
(٣) الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٦٣٤).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (179,1)

ولعل تضخم موضوع الإعجاز من هذا الجانب كان بسبب بداية نشوء هذا المصطلح الذي كان من لدن المعتزلة، وكانوا يتجادلون فيه فيما بينهم، ويجادلون فيه بعض الزنادقة كذلك، فوقع الظن بأهمية الإعجاز وإدراكه من جهة الإيمان بالقرآن والدعوة إليه، وهي مسألة تحتاج إلى بسط لا يصلح له ها التعليق المختصر، والله أعلم.

هذا.. وقد سلك العلماء في الحديث عن الإعجاز مسلكين:

الأول: المسلك الأدبي، وهذا القسم متعلق بالوجوه البلاغية.

الثاني: المسلك العقدي، وهذا القسم يحرص على إثبات أن هذا القرآن حق من عند الله، وذلك بثبوت المعجزة، وهذا المسلك كان منوطاً بما حصل من المعتزلة وبعض الزنادقة في مسألة ثبوت أن هذا القرآن كلام الله، وأنه معجز للبشر.

وقد ترتب على هذه النقاشات الكلامية بين المعتزلة وغيرهم نشوء الكلام عن المعجزات؛ من تعريف المعجزة وبيان شروطها، والاختلاف في الوجه المعجز، وكل ما يتعلق بهذا الموضوع مما نراه جليّاً في كتب المعتزلة وغيرهم من المتكلمين.

وهذا النقاش الكلامي جعل الحديث عن الإعجاز والمعجزة حديثاً عقلياً ذهنيّاً لا يطابق واقع آيات الأنبياء، ولا آية نبيّنا ﷺ الكبرى، وهي القرآن.

ويكفي التنبيه هنا ـ على سبيل الاختصار ـ على أن شرط التحدي المذكور في تعريف المعجزة لا ينطبق إلا على القرآن فقط، دون سائر معجزاته ﷺ ومعجزات إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.



Black plate (180,1)

باب في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى

«اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول: خاطب الله بهذه الآية المؤمنين وشرّف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع، وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء، واستعملها أبو المعالي في الإرشاد[(١)]، وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال: حكى الله ولا ما جرى مجراه.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وهذا على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى، وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ فذلك استعمال عربي شائع وعليه مشى الناس، وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي، لكني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقع فيه نادراً، واعتذاراً عما وقع فيه المفسرون من ذلك.

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تنحمل على مجاز كلامها، فمن ذلك قول أبي عامر[(٢)] يرتجز بالنبي ﷺ:

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص١٥٥).
(٢) عامر بن الأكوع، كان شاعراً، ضرب رجلاً من المشركين يوم خيبر فقتله وجرح نفسه، فأنشأ يقول: قتلت نفسي، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**له أجران**»، انظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٢٢٧).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (181,1)

فاغفر فداء لك ما اقتفينا[١] .....

وقول أم سلمة: فعزم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله[٢]، ومن ذلك قولهم: الله يدري كذا وكذا والدراية إنما هي التأتي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك، قال أبو علي: واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق[٣] بقول الشاعر الجوهري:

لا همّ لا أدري وأنت الداري .....[٤]

قال أبو علي: وهذا لا ثبت فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعراب[٥].

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وكذلك أقول إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنخول شيء منها. وقد أنشد بعض البغداديين:

لا همّ إن كنت الذي بعهدي ولم تغيرك الأمور بعدي[٦]

وقد قال العجاج:

فارتاح ربي وأراد رحمتي .....[٧]

(١) متفق عليه، وهذا شطر البيت، وعجزه، وبعده:
وثبت الأقدام إن لاقينا وألقين سكينة علينا
إنا إذا صيح بنا أتينا وبالصياح عولوا علينا

(٢) رواه أحمد في المسند، مسند النساء، برقم (٢٦٦٣٥) بسند صحيح.

(٣) الحجة للقراء السبعة (١/ ٢٦٠).

(٤) نسب العكبري البيت لرؤبة، انظر: شرح ديوان المتنبي، للعكبري (٣/ ٣٥٩).

(٥) الحجة للقراء السبعة (١/ ٢٦١).

(٦) كذا ذكره أبو علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة (١/ ٢٦١)، وذكر أنه من جفاء الأعراب.

(٧) وعجزه: ونعمة أتمها فتمت، قال الأزهري: وتفسير ارتاح؛ أي: نظر إلي ورحمني، وقول رؤبة في فعل الخالق جلَّ وعز ارتاح قاله بأعرابيته، ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ في صفته، لأن الله جلَّ وعز إنما يوصف بما وصف به نفسه، ولولا أن الله هدانا بفضله لتحميده وحمده بصفاته التي أنزل في كتابه ما كنا لنهتدي لها أو نجترئ عليها، انظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٤٢).

Black plate (182,1)

وقال الآخر:

..... قد يصبح اللَّه أمام الساري[١]

وقال الآخر:

يا فقعسيّ[٢] لم أكلته لمه لو خافك اللَّه عليه حرّمه[٣]

وقال أوس (ت:٢ق هـ)[٤]:

أبني لبيني لا أحبّكم وجد الإلٰه بكم كما أجد[٥]

وقال الآخر:

وإنّ اللَّه ذاق[٦] عقول تيم[٧] فلمّا راء[٨] خفّتها قلاها[٩]

ومن هذا الاستعمال الذي يبنى الباب عليه قول سعد بن معاذ:

---

(١) هرب أعرابي ليلاً على حمار حذاراً من الطاعون، فبينما هو سائر إذ سمع قائلاً يقول:

لن يسبق الله على حمار ولا على ذي ميعة طيار
أو يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله أمام الساري

فكرّ راجعاً، وقال: إذا كان الله أمام الساري فلات حين مهرب، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٤/ ١٠٦٦).

(٢) **فقعس**: أبو قبيلة من بني أسد، وهو فقعس بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، انظر: الصحاح (٣/ ٩٥٩).

(٣) البيت منسوب لسالم بن دارة الغطفانيّ، انظر: الحيوان، للجاحظ (١/ ١٧٦).

(٤) أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر، كان كثير الأسفار، عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام، انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ٣١).

(٥) ديوان أوس بن حجر (ص٢١)، قال الشاطبي: ألفاظ يفتقر أصحابها إلى التعليم، وكانوا أقرب عهد بجاهلية تعامل الأصنام معاملة الرب الواحد سبحانه، ولا تنزهه كما يليق بجلاله، انظر: الاعتصام (١/ ٤٧٤).

(٦) قال ابن الجوزي: الذوق: بمعنى العلم، انظر: زاد المسير (١/ ٣١٣).

(٧) جميع المصادر التي وقفت عليها ذكرت حلوم قيس.

(٨) راء بمعنى: رأى، انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٢٤).

(٩) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٠٥).

Black plate (183,1)

«عرّق الله وجهك في النار»[١] يقول هذا للرامي الذي رماه، وقال: «خذها وأنا ابن العرقة».

وفي هذه الأمثلة كفاية فيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير موجود، وإن خرج شيء من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه في الاستعمال الذي قصدنا الاعتذار عنه والله المستعان»[٢].



(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، برقم (٤٩٢١) بسند ضعيف.
(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٥٤ ـ ٥٥).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (184,1)

الشَّرْح

بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب جانب الأدب مع الله، وذلك من خلال أن يُقتصر في نسبة الأفعال إليه ما جاءت به النصوص، فـ«أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماءُ المخلوقين صادرةٌ عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فِعاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أنْ كمل بالفعل، فالرب لم يزل كاملاً فحصلت أفعاله عن كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنَّه كاملٌ بذاته وصفاته، فأفعاله صادرةٌ عن كماله؛ كَمُلَ ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به»[(١)]، ومن ثَمَّ، فإن الأدب مع الله يقتضي ألا يضاف إليه فعل قد يتنافى مع كماله، فيقتصر على النصوص لأنه لا أحد أعلم بالله من الله وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابن القيم (ت: ٧٥١): «لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب ويكره، ونفسٌ مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً»[(٢)].

إذا تبيَّن ذلك فقد أرشد الله للأدب معه في كتابه في غير ما موضع، قال الرازي في سورة الحجرات: «هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو مع غيرهم من أبناء الجنس»[(٣)]، لكن من المتقرر أن باب الإخبار أوسع من باب الصفات وهذا الذي أشار إليه المؤلف، قال ابن القيم: «ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا»[(٤)]، ولهذا فإن

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص٢٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٥).
(٣) تفسير الرازي (٢٨/ ٩٧).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٦١).

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | [17x24] z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d

Black plate (185,1)

«ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفاً كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه»(١)، وحينئذ نستطيع القول فيما ذكره المؤلف: إن أريد بما ذكر الإخبار فلا حرج ولكن بقيد، وإن أريد به الوصف فغير جائز.

ذلك أن صفات الله أكمل الصفات وأجلها، وحينئذ لا يتأتى ذلكم الكمال إلا في ما جاءت به النصوص، قال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١]، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب»(٢)، فالله ﷻ أجلُّ مما يخطر في البال أو يعبر عنه المقال.

إن القيد الذي يجب التنبيه عليه، هو أن الإخبار عن الله ليس على إطلاقه، بحيث يسمع الطالب جواز الإخبار بما لم يرد في النصوص، فيطلق لسانه بما حسنت دلالته وصح معناه وضده، فهذا غير مراد بكلام العلماء الذي ذكرنا طرفاً منه؛ بل مرادهم أن ما خلت دلالته عن معنى سيئ فلا حرج، قال شيخ الإسلام: الإخبار عنه ﷻ لا يكون باسم سيئ، لكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم شيء، وذات، وموجود(٣).

وقال: «وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة؛ فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يترجم أسماؤه بغير العربية، أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح، لم يكن ذلك محرماً»(٤).

وقال: «فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٠).
(٣) المرجع السابق (٦/ ١٤٢).
(٤) الجواب الصحيح (٥/ ٨).

Black plate (186,1)

والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يخبر به عنه وجل مما هو حق ثابت، لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه ﷻ من العيوب والنقائص»[(١)].

إذا كان ذلك كذلك، فإن ما ذكره المؤلف من الكلام، منه ما هو حق، ومنه ما هو غير ذلك، فقول أبي عامر رضي الله عنه فاغفر فداء لك، مشكل: «لأنه لا يقال في حق الله، إذ معنى فداء لك نفديك بأنفسنا، وحذف متعلق الفداء للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء.

وأجيب عن ذلك: بأنها كلمة لا يراد بها ظاهرها؛ بل المراد بها المحبة والتعظيم مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ.

وقيل: المخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ، والمعنى: لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك، وعلى هذا فقوله: اللَّهُمَّ لم يقصد بها الدعاء، وإنما افتتح بها الكلام، والمخاطب بقول الشاعر لولا أنت النبي ﷺ إلخ، ويعكر عليه قوله بعد ذلك:

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فإنه دعا الله تعالى، ويحتمل أن يكون المعنى: فاسأل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم»[(٢)]، وكذلك قول أم سلمة رضي الله عنها: «فعزم الله لي»، هل أرادت الإخبار أم الوصف، فإن كان وصفاً فقد تنازع السلف في ذلك، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وهل يجوز وصفه بالعزم فيه قولان: **أحدهما**: المنع كقول القاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى؛ **والثاني**: الجواز وهو أصح، فقد قرأ جماعة من السلف (فإذا عزمت فتوكل على الله) بالضم[(٣)]، وفي الحديث

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٦٥).

(٣) قراءة جابر بن يزيد وأبي نهيك وعكرمة وجعفر بن محمد: (فإذا عَزَمْتُ) بضم التاء، قال ابن جني: تأويله عندي ـ والله أعلم ـ فإذا أَريتُك أمراً فاعمل به وصِرْ إليه، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٧٦).

Black plate (187,1)

الصحيح من حديث أم سلمة: «ثم عزم الله لي»، وكذلك في خطبة مسلم (ت: ٢٦١): «فعزم لي»[(١)]»[(٢)].

وكل ما ذكره المؤلف ينطوي تحت الضوابط التي أشرنا إليها آنفاً، فإن كان المراد بالكلام الذي لم تأت به النصوص وصفَ الباري ﷻ به، فغير جائز، وإن كان المراد بذلكم هو الحكاية فلا تجوز إلا بالضوابط التي أشرنا إليها في بدء حديثنا، لهذا قال ابن عبد البر: في قول الناظم: لو خافك الله عليه حرمه: «والله ﷻ لا يخاف أحداً على شيء ولا على غير شيء، ولا يلحقه الخوف جلَّ وتعالى عن ذلك، وأظن الشعر لأعرابي لا يقف على مثل هذا من المعنى[(٣)].

(١) قال الإمام مسلم: وظننت حين سألتني تجشم ذلك أن لو عزم لي عليه، وقضي لي تمامه، انظر: المسند الصحيح (١/ ٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٠٤).
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ١٥٨).

Black plate (188,1)



خاتمة

بعد أن منَّ اللهُ بالتعليق على ما تيسر من مقدمة المحرر الوجيز، وذِكْرِ ما اشتملت عليه من التمييز، نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد أوضحنا مسائلها المحققة، وفتحنا أبوابها المغلقة، كما نسأله سبحانه أن يمن على هذا التعليق بالقبول، وأن يبلغنا غاية المأمول، ومنتهى السول، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كان الفراغ من هذا الكتاب في اليوم الثامن عشر من شهر جمادى الأول لسنة ١٤٤١هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (189,1)

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس الفوائد العلمية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (190,1)

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (191,1)

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾	٢	٣٤
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾	٤	١٣٨
سورة البقرة		
﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾	٢٣	١٧١
﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾	٩٥	١٧٤
﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	٢٨
﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	١٨٩	٦١، ٨٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾	٢٠٦	٦
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾	٢٢٨	٦٠
﴿ٱلتَّابُوتُ﴾	٢٤٨	١٤٠، ١٤٩
﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾	٢٥٦	٤٢
﴿نُنشِزُهَا﴾	٢٥٩	١١٣
﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٥٥، ٦٣
سورة آل عمران		
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٥٢
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾	١٦٥	٧٢
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾	١٦٩	٨١
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾	١٧٥	٦
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾	١٩٣	٤٧

Black plate (192,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة النساء		
﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	٧٠
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٧٣
﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾	١١٩	١٠٣
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٣	٧٢
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾	٣٨	٧٣
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾	٨٩	١٢٠
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	١٧٢	١٨٠
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾	١٨٧	٨٠
سورة الأنفال		
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٣٠	٧
سورة التوبة		
﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾	٣٧	٨٥
﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَرُ﴾	١٠٠	١٣٩
سورة يونس		
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾	٥٨	٤٧
سورة هود		
﴿يُمَتِّعْكُم﴾	٣	٣٨
﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾	٧٨	١١٢

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (193,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة يوسف		
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾	٣	٤٦
﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾	٩٣	١١
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾	١١٠	١٠٣
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٧٢
﴿أَن يُوصَلَ﴾	٢١	٨٤
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾	٩	١٢٢
سورة النحل		
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٧٩
﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾	٤٧	١٢٠، ١٢١
سورة الإسراء		
﴿أُفٍّ﴾	٢٣	١١١
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾	٨٨	١٧٧
﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾	١٠٩	٥٤
سورة الكهف		
﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾	٧	١١
﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾	١٨	١١

Black plate (194,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة مريم		
﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾	١٩	١٤١
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾	١١	١١٥
سورة الفرقان		
﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾	٧١	٦
سورة النمل		
﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	٨٢	٨١
سورة القصص		
﴿قُصِّيهِۖ﴾	١١	١٨٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾	٨٥	٥٦، ٦٥
سورة الروم		
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾	٣٠	١٠٣
سورة الأحزاب		
﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ﴾	٢٣	١٤٩
سورة سبأ		
﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾	١٩	١١٣
سورة فاطر		
﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١	١٢٠

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (195,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾	٣٢	٤٥
سورة يس		
﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	٤١	٨٧
﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم﴾	٤٢	٨٨
سورة الصافات		
﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾	٢٨	٣٨، ٣٩
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾	١٨٠	١٨٥
سورة ص		
﴿تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾	٢٣	١١٤
سورة الزمر		
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾	٢٣	٤٦
سورة فصلت		
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾	٤٢	١٦
سورة الزخرف		
﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾	١٨	١٦٨
سورة الدخان		
﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾	١٠	٩٦
سورة الحجرات		
﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾	٦	١٤٦
سورة ق		
﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾	١٠	١٢١

Black plate (196,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	١٩	١١٤، ١٣٢
سورة الطور		
﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾	٦	٦٨
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾	٧، ٨	٥٠
سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾	٢٢	٥١
سورة الواقعة		
﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾	٢٩	١١٤
سورة الحديد		
﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾	٢٨	١٦٤
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ﴾	١	١٣٩
سورة الجمعة		
﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾	٧	١٧٤
سورة المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾	٥	٢٤، ٢٧، ٥١
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾	٦	١٢١، ١٦٤
سورة التكوير		
﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾	٢٤	١٤١
سورة الليل		
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾	١، ٢	١٤٣
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾	١	١٣٩

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (197,1)

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة القارعة		
﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾	٥	١١٤
سورة الماعون		
﴿ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾	٧	٧٠
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾	١	١٧٤
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾	١	١٧٥

Black plate (198,1)

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
ـ اتلوا هذا القرآن، فإن الله يأجركم	٤٣
ـ أشراف أمتي حملة القرآن	٤٥
ـ أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه	٥٥
ـ أفضل عبادة أمتي القرآن	٤٤
ـ أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه	٤٦
ـ اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران	١٥٤
ـ أقرأني جبريل على حرف	١٢١
ـ اقرؤوا القرآن قبل أن يجيء قوم يقيمونه كما يقام	٥٠
ـ ألا إن أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله	٤٥
ـ إن الذي يتعاهد هذا القرآن	٤٦
ـ إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف	١٢٨، ١٣٠
ـ إن من أشراط الساعة أن يبسط القول	٤٨
ـ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف	١١١، ١١٤، ١٢٠
ـ إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم	٤٢
ـ أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به	١٢٨
ـ أي علم القرآن أفضل؟	٥٥
ـ أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين	٤٣

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (199,1)

طرف الحديث — الصفحة

- الذي إذا رأيته يخشى الله تعالى ٥٠
- صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة ١٥٦
- عليكم بالقرآن ٤٨
- فلعله قرأ سورة البقرة ٤٧
- القرآن شافع، مشفع، وماحل مصدق ٤٥
- قيدوا العلم بالكتاب ٢٤
- كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن ١٥٥
- لا يفقه الرجل كل الفقه ٥٦
- لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المِراء ١٢٦
- اللهم علمه الكتاب ٩٣
- اللهم فقهه في الدين ..... ٧٥، ٩٣
- ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ١٥٧
- ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من كتاب الله إلّا آيا بعدد ٧٤
- ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ١٧٨
- ما من شفيع أفضل عند الله من القرآن ٤٤
- ملَّ أصحاب النبي ﷺ ملة ٤٦
- من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن ٤٢
- من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ٧٤
- من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي ٤٤
- من قرأ مائة آية كتب من القانتين ٤٥
- نحو قولك تعال وأقبل، وهلم واذهب ١٢٩

Black plate (200,1)

طرف الحديث	الصفحة
ـ هذا أوان يختلس العلم من الناس	٥٣
ـ ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجرا، وآمرا	١٢٩
ـ يا أبيُّ: إني أقرئت القرآن على حرف أو حرفين	١١٥



سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (201,1)

فهرس الأعلام

- أبان بن سعيد: ١٤٩
- إبراهيم النخعي: ٨٨، ١٠٥
- ابن الأنباري: ٥٨، ٦٠
- ابن الجزري: ١٣١، ١٤٦
- ابن القيم: ٨٤، ١٨٤
- ابن المنذر: ١٠٣
- ابن تيمية: ١٢، ١٩، ٩٦، ١٨٥
- ابن جزي: ٣٧
- ابن حبيب: ٣١
- ابن خلدون: ١٨، ١٩، ٢٢
- ابن زيد: ٧، ٣٨
- ابن سيرين: ١٥٢
- ابن شهاب: ١١١
- ابن عامر الشامي: ٣٧
- ابن عباس: ٤٥، ٥٧، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٧١، ٧٦، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤
- ابن عبد البر: ١٨٧
- ابن عرفة: ١٤٤
- ابن عمر: ٩٥، ٩٧
- ابن فارس: ٦٢، ١٦٦
- ابن قتيبة: ١٣١
- ابن كثير: ٣٧
- ابن لب: ١٤٤
- ابن مجاهد: ١٥٢
- ابن محيصن: ٣٧، ٣٨
- ابن مسعود: ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٧، ٨٦، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٥، ١٦١
- أبو الأسود الدؤلي: ١٥٢، ١٥٩
- أبو البقاء: ٨٤
- أبو الحسن المالقي: ١٢
- أبو الدرداء: ٤٩، ٥٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ١٤٣
- أبو السمال: ١٢٤، ١٤٧
- أبو الصهباء البكري: ٩٣
- أبو العالية: ٥٥، ٦٣، ٩٧، ٩٩
- أبو الفرج الأصبهاني: ١٥٢
- أبو الفضل الجوهري: ١١
- أبو المعالي الجويني: ١٨٠

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (202,1)

- أبو بكر الصديق: ٥٠، ٧١، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١٣٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤
- أبو بكر النقاش: ٧٧، ١٠٩، ١١٠
- أبو جعفر الضبي: ١٠
- أبو حاتم السجستاني: ٣٧، ٣٨، ٤١
- أبو حرة الجزري: ١٠٣
- أبو حيان: ٨٤
- أبو خزيمة الأنصاري: ١٤٨
- أبو سنان العجلي: ٩٥
- أبو صالح باذام: ٧٦، ١٠٤، ١٠٥
- أبو عبيد: ٩٥، ١١٩، ١٦٦
- أبو عبيدة: ٦١، ١٦٣
- أبو علي الفارسي: ٧٧، ١٠٩، ١٨١
- أبو عمرٍو الداني: ٤٧، ١٥٣
- أبو عمرٍو بن العلاء البصري: ٣٧
- أبو موسى الأشعري: ٩٧، ١٦٤
- أبو هريرة: ٥٠، ١١٥
- أبو وائل: ٨٥
- أبو يعلى: ١٨٦
- أبي بن كعب: ٧٥، ٩٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٤٣، ١٤٨، ١٥٥
- أحمد بن حنبل: ١٠٩
- أحمد شاكر: ١٦٨
- الأدفوي: ١١٠
- إسحاق بن راهويه: ٧٠
- أسيد بن حضير: ٤٧
- الأصمعي: ١٣٣
- الأعشى: ١٧١
- أم سلمة: ١٨١، ١٨٦، ١٨٧
- الإمام الذهبي: ٦٦، ٩٥
- أنس بن مالك: ٤٢، ٤٥، ١٢١
- أوس بن حجر: ١٨٢
- إياس بن معاوية: ٥٦
- أيوب السختياني: ١٠٢
- الباقلاني: ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٥٠
- البخاري: ٧٧، ١٠٦، ١٢١، ١٤٨
- الترمذي: ١٠٦، ١٤٩
- التلمساني: ١٢
- قاسم بن ثابت: ١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٣١
- ثابت بن قيس: ٤٧
- الثعلبي: ٥، ٢٠
- جابر الجعفي: ٥٥، ٥٦، ٦٤
- جابر بن زيد: ٩٨
- الجاحظ: ١٥٢
- جبير بن نفير: ٥٣
- جرير: ١٧١
- جعفر الصادق: ٤٤
- الجوهري: ١٨١
- الحاكم: ١٠٦
- الحجاج: ١٥١، ١٥٣

Black plate (203,1)

- حذيفة بن اليمان: ١٢٢، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٦
- الحسن البصري: ٥٠، ٥٧، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣ ـ ٧٦، ٨٨، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٥١
- الحسن بن علي: ٣٠
- الحسين بن علي: ٣٠
- حفصة: ١٣٧، ١٤٩
- حمزة: ٣٧
- خزيمة بن ثابت: ١٤٨، ١٤٩
- الخطيب البغدادي: ٥٨، ٦٥
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٦٠
- الدكتور الذهبي: ١٠٦
- ذي الرمة: ١٧١
- الرازي: ٥، ١٨٤
- رؤبة العجاج: ١٨١
- الزبيدي: ١٥٢
- الزجاج: ٧٧، ١٠٩
- زياد بن أبي سفيان (بن أبيه): ١٥٢، ١٥٩
- زياد بن لبيد الأنصاري: ٥٣
- زيد بن أسلم: ٨٨، ١٠٧
- زيد بن ثابت: ٧٥، ٩٧، ١٣٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥
- السدي: ٦، ٧٦، ١٠٤، ١٠٥
- سعد بن معاذ: ١٨٣
- السعدي: ٨٧
- سعيد المسيب: ٧٥، ٨٩
- سعيد بن العاص: ١٣٧، ١٤٩
- سعيد بن جبير: ٧٥، ٧٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧
- سعيد بن منصور: ٨٥، ١٠٦
- سفيان الثوري: ٩٩
- سفيان بن عيينة: ٧٠
- السيوطي: ٩
- الشاطبي: ٢٣، ٧١
- الشافعي: ١٠٥
- الشعبي: ٥٦، ٧٥، ٧٦، ١٠٤
- الشماخ بن ضرار: ٣٩
- صبيغ بن عسل: ٩٢
- الضحاك بن مزاحم: ٧٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧
- الطبري: ٥، ٧، ٣٠، ٣٢، ٤١، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٨٩، ٩٣ ـ ١٠٣، ١٠٧، ١١٠، ١٢٥، ١٢٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧
- عاصم: ٣٧
- عاصم الجحدري: ١٦٠
- عامر بن الأكوع: ١٨٠، ١٨٦
- عائشة: ٧٤، ٩٧
- عبادة بن الصامت: ٥٣
- عبد الرحمن بن الحارث: ١٣٧، ١٤٩

Black plate (204,1)

ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني: ٧٧، ١٠٥
ـ عبد الله بن الزبير: ١٣٧، ١٤٩
ـ عبد الله بن سبأ: ٦٤
ـ عبد الله بن عمرٍو بن العاص: ٤٤، ٤٨، ٧٥، ٩٧
ـ عبدالله بن الكواء: ٩٢
ـ عبد الملك بن مروان: ٩٩، ١٠٧، ١٥٠
ـ عثمان بن عفان: ٦، ٧١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٢٢، ١٢٣
ـ ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٠
ـ ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩
ـ عقبة بن عامر: ٤٨
ـ عكرمة: ٧، ٧٠، ٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣
ـ علباء اليشكري: ٣٠
ـ علقمة: ٧٦، ٩٨، ١٠٠، ١٤٣
ـ علي الأثرم: ٤٨
ـ علي بن أبي طالب: ٣٠، ٥٥، ٥٧، ٦٤، ٧١
ـ ٧٥، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٣٨
ـ علي بن أبي طلحة: ٧٧، ١٠٥، ١٠٦
ـ عمر بن الخطاب: ٤٥، ٥٠، ٧١، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١١٦، ١١٧
ـ ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٤
ـ عمرو بن العاص: ١٦٤
ـ غالب المحاربي: ١٠
ـ فاطمة الزهراء: ٣٠
ـ الفراهي: ٦٧
ـ الفربري: ١٠٦
ـ الفرزدق: ١٧١
ـ القاسم بن أبي بزة: ١٠٣
ـ قتادة: ٦، ٥٥، ١٥٣
ـ القرطبي: ١٦٨
ـ قطبة بن مالك: ١٢١
ـ القمي: ٦٤
ـ الكسائي: ٣٧، ٤٨
ـ لسان الدين بن الخطيب: ٩
ـ مالك بن أنس: ٣١
ـ الماوردي: ٤١
ـ المبرد: ١١٩، ١٥٢
ـ مجاهد: ٧، ٦٥، ٧٦، ٨٨، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦
ـ محمد بن كعب القرظي: ٤٧
ـ المروزي: ٦٩
ـ مسروق: ٥٦، ٦٥، ٨٦، ٩٦، ١٠٠
ـ مسلم: ١٠٦، ١١١، ١٢١
ـ معاوية: ٩٦
ـ معمر بن راشد: ١٠٥
ـ المفضل بن سلمة: ٧٧، ١٠٥

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (205,1)

- مقاتل بن سليمان: ١٠٥، ١٠٧
- مكي بن أبي طالب: ٧٧، ١١٠، ١٥٠
- منذر بن سعيد البلوطي: ٤١
- المهدوي: ٢٥، ٣٤، ٣٥، ٤١، ٧٧، ٨٤، ١١٠
- نافع: ٣٧
- نافع بن الأزرق: ٥٨، ٥٩
- النحاس: ٧٧، ١١٠
- النسائي: ١٠٦
- نصر بن عاصم: ١٥٢
- النووي: ٦٧
- هشام بن حكيم: ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧
- الواحدي: ٦، ٢٠
- الوليد بن المغيرة: ١٧١
- يحيى بن يعمر: ١٥١، ١٥٢، ١٦٠
- يزيد بن القعقاع: ٣٧
- يعقوب الحضرمي: ٣٧
- يوسف بن أسباط: ٥١

Black plate (206,1)

فهرس الفوائد العلمية

الفائدة	الصفحة
ـ عناية ابن عطية بتحرير عبارات السلف، وتبيين مراداتهم بعباراتهم	٥
ـ أنواع المعلومات في مقدمات المفسرين	٧
ـ حفظ الأصول هو الطريق الصحيح للوصول إلى ضبط العلوم	١٨
ـ الحرص على مبادئ العلوم لمن أراد الاشتغال بالتفسير	١٩
ـ العلوم الإسلامية خادمة للقرآن	٢٢
ـ ثقل القرآن غير مقصور على علم معانيه والعمل به	٢٧
ـ تجردت تفاسير السلف عن إلحاد أهل الباطن	٣٣
ـ أعرض المؤلف عن منهج المهدوي في التفسير لما يترتب عليه من الجهد والعناء	٣٦
ـ فتح باب الاحتمال بدون ضوابط يُعد من مشكلات التفسير الكبرى التي تحتاج إلى دراسة علمية تكشف هذه المشكلة وأبعادها	٤٠
ـ يتعين الاستقراء لمعرفة مدى الارتباط بين مقدمات المفسرين وتفاسيرهم	٤١
ـ العلاقة بين علم التفسير والنصوص التي تضمنت فضائل القرآن	٥٢
ـ الارتباط الوطيد بين علم التفسير والعمل بالقرآن	٥٣
ـ إعراب القرآن في النصوص لا يُراد به التغير الذي يطرأ على أواخر الكلمات لفظاً أو تقديراً باختلاف العوامل الداخلة عليه فقط، بل هو أعم من ذلك ...	٥٩
ـ الارتباط الوطيد بين علم التفسير والعمل بالقرآن	٥٣
ـ الرجوع إلى اللغة وعلومها يساعد على الترجيح بين الأقوال الفقهية	٦٠

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (207,1)

الفائدة — الصفحة

- حاجة المفسر إلى اللغة وعلومها أعظم من حاجته إلى مصادر التفسير الأخرى ٦١
- معرفة أسباب النزول تعين على ترجيح أحد المحتملات اللغوية للفظة القرآنية ٦١
- قراءة القرآن بتؤدة وتمهل أحد طرق تدبر القرآن ٦٧
- المراد من اقتصار النبي عليه الصلاة والسلام على تفسير آياتٍ معدودة ٧٨
- يتجاذب تفسير المغيبات بيان معنى اللفظ، وما يؤول إليه اللفظ من حيث ظهوره في الواقع المحسوس، فالأول ممكن للبشر، والآخر ممتنع عنهم ٨٠
- صحة النتائج لا تستلزم صحة الوسائل ٨٣
- لا يتأتى ربط الأحداث بآيات القرآن لمن كان جاهلا بالتفسير وأصوله ٨٧
- تخلي بعض المعاصرين عن الورع في التفسير وعدم تحليهم به كما هو دأب أهل العلم ٨٨
- طبقات التابعين في الاشتغال بالتفسير ٨٨
- تفاوت الخلفاء الأربعة في التصدي للتفسير من خلال المروي عنهم ٩٠
- المراد بعرض القرآن من مجاهد على ابن عباس رضي الله عنه ١٠٠
- كلام الأقران لا يؤخذ به في قدح بعضهم لبعض ١٠٣
- حفظ القرآن شرط من شروط التفسير عند الشعبي ١٠٥
- التفسير علم مستقل بذاته وليس فرعا عن غيره ١٠٦
- جرى عمل أهل العلم على قبول أسانيد التفسير من دون تمحيص لها ١٠٧
- تباين الحديث عن الأحرف السبعة بين ابن جرير وابن عطية ١٢٥
- جعْلُ ابن جرير الأحرف السبعة مغايرة للقراءات ١٢٥
- المقصد الأعظم والأهم من تشريع القراءة بالأحرف السبعة هو التيسير على الأمة ١٢٦

Black plate (208,1)

الفائدة | الصفحة

- جواز قراءة بعض ألفاظ القرآن بما يقابلها من المعاني نُسخ وارتفع في عصر النبوة ١٣٤
- يتأتى تمييز القراءات الثابتة بعد عمل عثمان من خلال طريقين ١٣٨
- عدم استقلال الرسم بوجوه الأحرف السبعة هو الأصل ١٣٩
- معنى: «فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ١٣٩
- الباعث على اختلاف كتبة المصحف مع وجود الصحف التي ينقلون منها ١٤٠
- لم يقتصر عثمان رضي الله عنه على حرف واحد من الأحرف السبعة ١٤٠
- لا يصح القول بوجود بعض القراءات التفسيرية في مصاحف الصحابة ١٤٢
- الرد على دعاوى المستشرقين في كتابة المصحف ١٤٥
- الخلاف في طريق ترتيب السور بين التوقيف والاجتهاد ١٥٤
- ثمرة الخلاف في طريق ترتيب السور بين التوقيف والاجتهاد ١٥٨
- خلاصة الملاحظات على عمل أبي الأسود في نقط المصحف ١٥٩
- كراهة الصحابة إدخال أي شيء في المصحف مما ليس من القرآن كالتعشير .. ١٦١
- تباين أقوال العلماء في وجود ألفاظ أعجمية في القرآن ١٦٧
- المراد بالمروي عن بعض الصحابة أن لفظة كذا بلغة كذا ١٦٧
- نقد رأي متقدمي الأشاعرة في ماهية إعجاز القرآن ١٧٣
- قد يكون للعقل مدخل في بعض القضايا الغيبية ١٧٤
- جماهير العلماء على أن إعجاز القرآن منوط برصفه ونظمه ١٧٥
- لا يلزم أن تكون المعجزة من جنس ما اشتهر به القوم المرسل إليهم ١٧٨
- مسلكا العلماء في حديثهم عن الإعجاز ١٧٩
- الاقتصار على ما جاءت به النصوص في نسبة الأفعال إلى الله ١٨٤
- باب الإخبار أوسع من باب الصفات ١٨٤
- متى ما خلت دلالة الإخبار عن الله عن معنى سيئ فلا حرج حينئذ ١٨٦

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (209,1)

فهرس المصادر والمراجع

- **الإبانة الكبرى**، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، نشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- **أبو بكر النقاش ومنهجة في تفسير القرآن الكريم**، جمع وإعداد الطالب: علي إبراهيم الناجم، رسالة علمية منشورة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.
- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لمحمد بن عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: أحمد السايح، توفيق وهبة، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الفضيلة.

Black plate (210,1)

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٥هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.
- **الاعتصام**، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، نشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- **الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣هـ.
- **إعجاز القرآن**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار المعارف ـ مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
- **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)**، لعبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، نشر: دار ابن حزم ـ بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **الأعلام**، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ـ أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، تحقيق: يحيى إسماعيل، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (211,1)

- **ألفية العراقي المسماة بـ: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق ودراسة: العربي الدائز الفرياطي، نشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ.
- **أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)**، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣هـ.
- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **الانتصار للقرآن**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي، تحقيق: محمد عصام القضاة، نشر: دار الفتح ـ عَمَّان، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- **أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٤هـ.
- **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.
- **بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير**، لمساعد بن سليمان الطيار، نشر: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.
- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، نشر: دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٢٥هـ.
- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

Black plate (212,1)

- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **البرهان في تناسب سور القرآن**، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ.
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، لأحمد بن يحيى الضبي، نشر: دار الكاتب العربي ـ القاهرة، ١٩٦٧م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية ـ لبنان/ صيدا.
- **بيان إعجاز القرآن**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، نشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.
- **تاريخ أصبهان**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
- **التاريخ الأوسط**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث ـ حلب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.
- **تاريخ دمشق**، لعلي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

Black plate (213,1)

- **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، لأبي الحسن علي بن عبد الله المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، نشر: دار الآفاق الجديدة ـ بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣هـ.
- **تأويل مشكل القرآن**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
- **تأويلات أهل السنة(تفسير الماتريدي)**، لأبي منصور لمحمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: محمد زياد محمد طاهر شعبان ـ فرح صبري شيخ البزورية، الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ.
- **تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل**، لأبي زرعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي، تحقيق: عبد الله نوارة، نشر: مكتبة الرشد ـ الرياض.
- **تذكرة الحفاظ**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- **التذييل على كتب الجرح والتعديل**، لطارق بن محمد آل بن ناجي، نشر: مكتبة المثنى الإسلامية ـ حولي شارع المثنى، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٦هـ.
- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، نشر: عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (214,1)

- **تفسير الراغب الأصفهاني**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب ـ جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.
- **تفسير القرآن**، لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- **تفسير القمي**، لعلي بن إبراهيم القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، نشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.
- **تفسير نور الثقلين**، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، نشر: مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.
- **التفسير والمفسرون**، محمد السيد حسين الذهبي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- **التفسير ورجاله**، لمُحمَّد الفَاضِل بن عاشُور.
- **تقريب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ.
- **التكميل في أصول التأويل**، لعبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد سميع مفتي.

Black plate (215,1)

- **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٣٨٧هـ.
- **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار**، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني ـ القاهرة.
- **تهذيب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- **الثقات**، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي، البُستي، نشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (216,1)

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.
- **الجرح والتعديل**، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، نشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ.
- **جزء فيه حديث أبي سعيد الأشج**، لأبي سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الأشج الكندي، تحقيق: أبو نجيد إسماعيل بن محمد سيد علي الجزائري، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، السخاوي، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، نشر: دار الفكر ـ بيروت.
- **جمهرة اللغة**، لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، لقاسم علي سعد، نشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

Black plate (217,1)

- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، نشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.
- **حجة القراءات**، لعبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة، تحقيق تعليق: سعيد الأفغاني، نشر: دار الرسالة.
- **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، تحقيق: بدر الدين قهوجي ـ بشير جويجابي، نشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر: السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ.
- **الحيوان**، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الشهير بالجاحظ، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، نشر: دار القلم، دمشق.
- **الدر المنثور**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر: دار الفكر ـ بيروت.
- **درء تعارض العقل والنقل**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ.
- **الدلائل في غريب الحديث**، لقاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، نشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- **ديوان الشماخ**، للشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وتعليق: صلاح الدين الهادي، نشر: دار المعارف بمصرذ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (218,1)

- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.
- **ديوان أوس بن حجر**، لأوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، نشر: دار بيروت، ١٤٠٠هـ.
- **الرسالة**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ.
- **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، لغانم قدوري الحمد، نشر: الجمهورية العراقية: اللجنة الوطنية لاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ.
- **رَفْعُ النِّقَابِ عَن تنقِيح الشّهاب**، لأبي عبد الله الحسين الرجراجي السِّمْلالي، تحقيق: أَحْمَد بن محمَّد السراح، عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- **روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام**، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي، تحقيق: سعيدة العلمي، نشر: كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٩هـ.
- **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي، نشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٢هـ.

Black plate (219,1)

- **الزاهر في معاني كلمات الناس،** لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- **زغل العلم،** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، نشر: مكتبة الصحوة الإسلامية.
- **الزهد والرقائق،** لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- **الزهد،** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **زهر الآداب وثمر الألباب،** لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، نشر: دار الجيل، بيروت.
- **زهر الأكم في الأمثال والحكم،** للحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، نشر: الشركة الجديدة ـ دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،** لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **السنة،** لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: سالم أحمد السلفي، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **سنن أبي داود،** لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.
- **سنن الترمذي،** لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ.
- **سنن سعيد بن منصور،** لسعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: الدار السلفية ـ الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (220,1)

- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- **السير والمغازي**، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ.
- **السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ.
- **شرح السنة**، لمحيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **شرح الشمقمقية**، لعبد الله كنون الحسني، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٩٧٩م.
- **شرح ديوان الحماسة**، لأحمد بن محمد الأصفهاني تحقيق: غريد الشيخ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **شرح ديوان المتنبي**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، نشر: دار المعرفة ـ بيروت.
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد النُّوَيْري، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: مجدي محمد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٥هـ.
- **شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي**، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ.
- **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (221,1)

- **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: أحمد صقر، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.
- **الضعفاء الصغير**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي ـ حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **الضعفاء الكبير**، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، نشر: دار المكتبة العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **الضعفاء والمتروكون**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشقري، نشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.
- **الضعفاء والمتروكون**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي ـ حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **الضعفاء والمتروكون**، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **طبقات الفقهاء**، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠م.
- **الطبقات الكبير**، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

Black plate (222,1)

- **طبقات المفسرين العشرين**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **طبقات المفسرين**، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- **طبقات النحويين واللغويين**، لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعارف، الطبعة: الثانية.
- **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي، نشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ.
- **العبر في خبر من غبر**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- **العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين**، حسين بن غنّام النجدي الأحسائي المالكي، نشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.
- **علوم القرآن الكريم بين المصادر والمصاحف المخطوطة: دراسات تطبيقية في مصاحف مخطوطة**، لغانم قدوري، نشر: مركز تفسير للقراءات القرآنية.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- **عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد**، لأحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط المعروف بابن السني، تحقيق: كوثر البرني، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن ـ جدة/ بيروت.
- **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، لأحمد بن أحمد الغِبْرِيني، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، نشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٩م.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (223,1)

- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ**، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، العظيم آبادي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.
- **العين**، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف الجزري، نشر: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
- **غريب الحديث**، لأبي عُبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ.
- **فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **فتح القدير**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٤هـ.
- **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي**، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، نشر: مكتبة السنة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **فتوح البلدان**، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، نشر: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ١٩٨٨م.

Black plate (224,1)

- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، نشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.
- **الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**، لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، نشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.
- **فصول في أصول التفسير**، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.
- **فضائل القرآن للقاسم بن سلام**، لأبي عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية وآخرين، نشر: دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- **فقه السيرة**، لمحمد الغزالي السقا، نشر: دار القلم ـ دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **فهرسة ابن عطية**، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان/ محمد الزاهي، نشر: دار الغرب الاسلامي ـ بيروت/ لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن**، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: سامي عطا حسن، نشر: دار القرآن الكريم ـ الكويت.
- **الكاشف عن حقائق السنن**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (225,1)

- **الكامل في ضعفاء الرجال**، لابن بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، نشر: الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، نشر: مكتبة المثنى ـ بغداد ١٩٤١م.
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ـ محمد المصري، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلاء الدين علي بن حسام الدين البرهانفوري الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني ـ صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ.
- **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، لموسى شاهين لاشين، نشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، نشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، مجاز القرآن، ١٣٨١هـ.
- **المجالسة وجواهر العلم**، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين ـ أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت ـ لبنان)، ١٤١٩هـ.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، لمحمد بن حبان الدارمي، البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي ـ حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

Black plate (226,1)

- **مجموع الفتاوى**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، نشر: وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٢هـ.
- **المحرر في علوم القرآن**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٣٩هـ.
- **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، تحقيق: عزة حسن، نشر: دار الفكر ـ دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- **مختصر الحجة على تارك المحجة**، لنصر بن إبراهيم المقدسي، تحقيق: محمد إبراهيم محمد هارون، نشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ.
- **مدخل في علوم القراءات**، للسيد رزق الطويل، نشر: المكتبة الفيصلية، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (227,1)

- **مذهب التفسير الإسلامي للمستشرق جولد تسهر**، لعبد الحليم النجار، نشر: مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣٧٤هـ.
- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، لأبي المظفر يوسف بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: محمد بركات، وآخرين، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، تحقيق: طيار آلتي قولاج، نشر: دار صادر ـ بيروت، ١٣٩٥هـ.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لأبي الحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري، نشر: دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك**، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، نشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.
- **مستدرك سفينة البحار**، لعلي النمازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
- **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، لأبي محمد عبد الله الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (228,1)

- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، لمحمد بن حبان الدارمي، البُستي، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ.
- **المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، نشر: الفاروق الحديثة ـ مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، لإبراهيم بن عمر البقاعي، نشر: مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، نشر: المكتبة العلمية ـ بيروت.
- **مصطلحات علماء القراءة للقراءة المقبولة من خلال كتب القراءات في القرنين الهجريين الرابع والخامس**، لمساعد بن سليمان الطيار، بحث مقدم في المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية في العالم الإسلامي، ١٤٣٤هـ، مدينة: مراكش.
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **معاني القراءات للأزهري**، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، نشر: مركز البحوث في كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر: عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.
- **معاني القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (229,1)

- **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرين، نشر: دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر، الطبعة: الأولى.
- **معجم البلدان**، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية.
- **المعجم في مشتبه أسامي المحدثين**، لأبي الفضل عبيد الله بن عبد الله الهروي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
- **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: دار الكتب المصرية.
- **معرفة الرجال عن يحيى بن معين(تاريخ ابن معين)**، رواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، لأبي زكريا يحيى بن معين البغدادي، تحقيق ج١: محمد كامل القصار، نشر: مجمع اللغة العربية ـ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ١٤٠١هـ.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، نشر: دار الفكر ـ دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، نشر: دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **المغني في الضعفاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطِيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (230,1)

- **مفاتيح الغيب**، لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٢٠هـ.
- **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، نشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢هـ.
- **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.
- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، نشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر١٣٩٩هـ.
- **مقدمة في أصول التفسير**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسِيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (231,1)

- **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: التهامي الراجي الهاشمي، نشر: مطبعة فضالة ـ بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
- **المواقف**، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، نشر: دار الجيل ـ بيروت، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، لشمس الدين محمد بن محمد المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، نشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ.
- **نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني**، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، نشر: دار ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.
- **النشر في القراءات العشر**، لشمس الدين محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، نشر: المطبعة التجارية الكبرى.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر ـ بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م.
- **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت/لبنان.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ.
- **النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ**، لأبي محمد عبد الله بن (أبي زيد) القيرواني، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلو وآخرين، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.

Black plate (232,1)

- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ـ جامعة الشارقة، نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر ـ بيروت، ١٩٩٤م.

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]

Black plate (233,1)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشارح	٥
ترجمة المؤلف	٩
مقدمة المؤلف	١٣
سبب تأليف الكتاب	١٥
شرح مقدمة المؤلف وسبب تأليفه للكتاب	١٨
منهج المؤلف في التفسير	٢٤
شرح منهج المؤلف في التفسير	٢٧
مزايا تفسير ابن عطية	٢٨
باب ما ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة، وعن نبهاء العلماء، في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به	٤٢
شرح باب ما ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة، وعن نبهاء العلماء، في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به	٥٢
باب في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه	٥٥
شرح باب في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه	٥٨
باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين	٧٤
شرح باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين	٧٨

Black plate (234,1)

الموضوع | الصفحة

باب **معنى قول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»** ١١١
شرح باب معنى قول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه» ١٢٥
باب **ذكر جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره** ١٤٨
شرح باب ذكر جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره ١٥٤
باب **في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق** ١٦٣
شرح باب في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق ١٦٦
نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن ١٧٠
شرح نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن ١٧٣
باب **في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى** ١٨٠
شرح باب في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى ١٨٤
خاتمة ١٨٨
الفهارس ١٨٩
- **فهرس الآيات القرآنية** ١٩١
- **فهرس الأحاديث النبوية** ١٩٨
- **فهرس الأعلام** ٢٠١
- **فهرس الفوائد العلمية** ٢٠٦
- **فهرس المصادر والمراجع** ٢٠٩
- **فهرس الموضوعات** ٢٣٣

سحب ملون/ شَـرْحُ مُقَدِّمَةِ تَفسيرِ ابْنِ عَطيَّة/ ٢٠٢٠/١١/٢٧ | z:/Mkt2020/Jawzi/Shrh-Mkdm.3d [17x24]